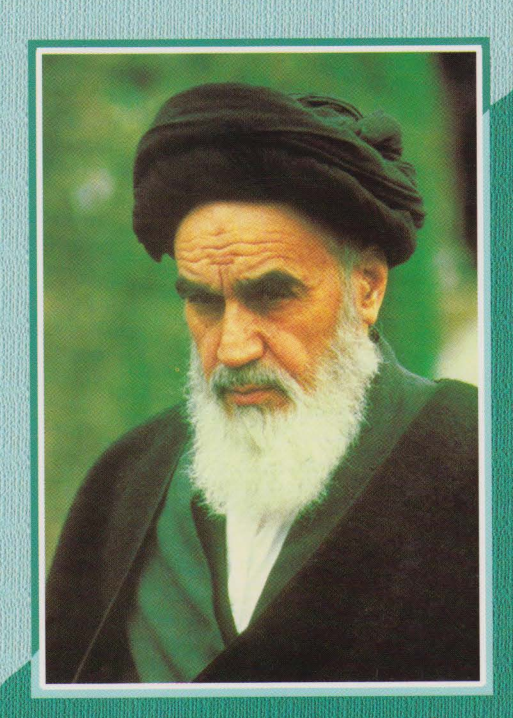
حديث الانطلاق



جولة في سيرة حياة الإمام الخميني (قده)

حميد أنصاري


مكتبة
مؤمن قريش
لو وضع إيمان أبي طالب في كفة ميزان وإيمان هذا الخلق
في الكفة الأخرى لرجح إيمانه .
الإمام الصادق (ع)
moamenquraish.blogspot.com



حديث الانطلاق

نظرة في

الحياة العلمية والسياسية للإمام الخميني(قده)

(من الولادة وحتى العروج)

تأليف

حميد الأنصاري

ذكراه، حديث الانطلاق

■ إشارة

حاولنا في هذا الكتاب، استعراض الفصول والوقائع المهمة في حياة الإمام الخميني(قده)، منذ ولادته وحتى عروجه الى الملكوت الاعلى، محاولين أن تكون نظرتنا تحليلية ولكن على سبيل الاشارة والاجمال.

ورغم أنّ عملية ترسيم ابعاد شخصية الإمام الخميني(قده) والفصول المهمّة في حياته عبر مقالة أو كتاب تشبه عملية جمع مياه البحر في كوزٍ صغير، غير أنّه لا بدّ من السعي لتحقيق هذه المهمّة، خاصة وأنّ العديد من محبي الإمام(س) قد أرسلوا الينا من مختلف انحاء العالم يعلنون عن رغبتهم في وجود كتاب يستعرض حياة الإمام (رضوان الله عليه).

عليه فقد تجنبنا ـ قدر الإمكان ـ الخوض في جزئيات الحوادث أو تقديم الوثائق الخاصة بها ـ إلا في بعض المواضع الضرورية. كما حاولنا أن لا نغفل أي مطلب ـ مهما كان صغيراً ـ مما يرتبط بحياة الإمام أو مما يعدُّ هاماً في حركة احداث حياته أو أساسياً في مواقفه في المسائل المهمة.

كذلك فقد أكدنا ومن خلال استعراض الحوادث على الأصالة الفكرية، وتأكيد سماحته على أولوية التربية والتهذيب، وتأثير البعد المعنوي والعلمي على مسير حياة الامام الخميني(قده) ومجاهداته.

إن شمولية ووحدة شخصية الإمام والانسجام الذي يطبع مدرسته الفكرية - والتي تجلت في نهضته وفي الثورة الاسلامية - لا يمكن تفسيرها من خلال الاحداث والوقائع التي تقع في بلدٍ او مجتمع ما، لذا فإن التحقيق في مقطع خاص أو بعدٍ واحد من أبعاد شخصيته لا يكفي للتعرف على أفكاره ومنهجه، فهذا الرجل الكبير لا بدّ وأن يُدرس من جميع النواحي: عقيدته، إيمانه، سلوكه، وفي جميع فصول حياته.

في هذا الكتاب سعينا لإلقاء نظرة شاملة على هذا المدى الواسع السامي.

كما حاولنا عرض مُجمل الاحداث والوقائع، وتحليل مواقف الافراد والتيّارات السياسية والفكرية، والمباني الفكرية للامام، وما تعكسه مواقفه وتوجيهاته.

ومع كل هذا فإن ما نقدمه ليس معصوماً من الخطأ والاشتباه، لذا فإني أرجو من المؤرخين الملتزمين وأولي الإطلاع على الأسس الفكرية للإمام الخميني(قده) وعلى حياته تنبيهنا إلى أيّ خطأ أو سهو قد نكون وقعنا فيه والله ولي التوفيق.

حميد الانصاري

تشرين الثاني ١٩٩٤م

بسم الله الرحمن الرحيم

يوم الكوثر

في النصف الثاني من عام ١٣٢٠هجري وُلد في ايران مولود غيَّر فيما بعد بثورته العملاقة مصير ايران وملامح العالم الاسلامي، وجعل جميع القوى العظمى وجميع اعداء حرية الشعوب واستقلالها يقفون صفاً واحداً في مواجهته ساعين في القضاء عليه، غير إنه ـ وبفضل الباري ـ أصابهم جميعاً ـ وبعمله العظيم وافكاره وعقيدته التي ينافح عنها وينادي باسمها ـ بالعجز والخيبة.

في ذلك اليوم، لم يكن احد يعلم بأنّ هذا المولود هو الذي ستعرفه الدنيا بأسرها ذات يوم مقبل باسم «الإمام الخميني» وحينما فجر ثورته، لم يكن أحد يعلم بأنّه سيقف بوجه عملاء اعتى القدرات واكثرها تسليحاً في العالم، وانه سيدافع عن استقلال بلاده وامجاد أمّته الاسلامية ليكون مجدداً لدين الله في عصر المسخ للقيم والمثل.

الخلفية التاريخية

بعد وفاة أبناء النبي الاكرم(صلى الله عليه وآله) الخدّج، فرح المشركون من القريشيين وراحوا يروجون القول بأنَّ النبي لا نسل له وإنه أبتر الخلف فانزل الله قرآناً فقال تعالى **﴿إنّا أعطيناك الكوثر... إن شانئك هو الأبتر﴾**(١)، فكان العشرون من جمادى الآخرة يوم جرى فيه كوثر الولاية والإمامة على هذه الأرض، ففيه ولدت ربيبة العفّة والطهر والإيمان الصدِّيقة الزهراء فاطمة (صلوات الله عليها) لتكون بعد ذلك أنيسة وزوجة إمام العدالة والانسانية الخالد أمير المؤمنين علي بن أبي طالب(ع)، ولتكون أم الأئمة الذين اقيموا على جادة الانسانية منائر للهداية، والذين يمثّل كل جانب من حياتهم حكمة الهية خاصة، فصلحهم وحربهم، مناجاتهم وسكوتهم، حلمهم وعلمهم، وحياتهم المشحونة بالمقاومة والبناء والمختومة بالشهادة، وأخيراً غيبة المنتظر الموعود منهم، كلها حكم إلهية تثبت بأن الارض وما عليها من عباد الله في عصور الظلمة والحصار غير موكلين لأنفسهم وأن دعاة الحق ومنائر الهداية موجودون على الدوام يمارسون دورهم في هداية البشر وإنّ الأرض لا تخلو من حجة أبداً.

حينما بدأ عصر الغيبة وتواصل النزاع الدائم بين الخير والشر، وقف - وفي كل جيل - الجبابرة وعبيد المال والمفسدون في جبهة الظلمة. في حين وقف المؤمنون والصالحون والنزيهون في وادي النور

لتستمر المواجهة بينهما. فسطعت أنوار الوحي على العالم وقام الاسلام بتوسيع رقعة حكومته بفتحه قلوب عباد الله الصالحين فبلغ أقصى اصقاع الشرق من جانب، وأعماق أوروبا من جانب آخر، فأقام حضارة عظمى ومنقطعة النظير وصار البشر امام تحول عظيم في العلم والأدب والثقافة والفن وجميع مظاهر الحضارة الحقيقية وعلى أساس ثابت من الايمان والعقيدة. وقد كان تقبل الفطرة السليمة لرسالة الرسول الأمين عميقاً واسعاً الى الحد الذي حال دون تمكن ظلم وجور حكام السوء من الوقوف بوجه تقدم الرسالة الالهية.

كانت اوروبا تحترق في بربرية القرون الوسطى، والماديون المتسلطون على عباد الله المظلومين تخندقوا في ذلك النصف من العالم متسترين بالصليب ساعين في الحيلولة دون بلوغ رسالة النبي الاكرم(ص) - الذي بشّر به المسيح(ع) - دنياهم المظلمة حتى لا تبور الدكاكين الكنائسية التي راجت في القرون الوسطى تعرض عقيدة خالية من الروح وتقيم حكومة تفتيش العقائد الأوروبية - التي تعدّ بحق عاراً في تاريخ البشرية - والمحيّر المحزن هو انهم وفي الوقت الذي انتبهوا فيه وعزموا على القضاء على دين النبي الخاتم(ص) اندلعت في هذا الجانب نار النفاق والرغبة في التسلط وشاعت الفرقة والتشتت.

وفي غضون ذلك ادَّت بعض العلل والعوامل لتهيئة الارضية المناسبة لتحقق الثورة الصناعية في أوروبا مما استتبع امتلاك حكومات الاعداء للتقنية والوسائل المتطورة فوسم التطور العلمي والتقني الجديد. والذي كان للحضارة الاسلامية السهم المهم والأساسي فيه - مجتمع اوروبا المتخلف بسمات جديدة. وبدلاً من ان يفكر قادة وحكام البلدان الاسلامية بما يصلح حالهم وحال شعوبهم رجّحوا الاستسلام للغفلة والتخلف بدلاً من المبادرة للعمل والاجتهاد

فنتج عن هذه الغفلة والخيانة تنامي قوة الاعداء يوماً بعد آخر. فانطلقوا يوسعون من مناطق نفوذهم حتى أصبحت ـ وللأسف ـ مناطق مترامية من العالم الاسلامي مستعمرات للدول الاستعمارية وعلى هذا الحال استمرت القصة المحزنة لحاكمية القدرة والمال والكفر، والتدخل العلني وغير العلني للمستعمرين في مصير البلدان الاسلامية عدّة قرون.

وفي إيران توالت سلالات الملوك والسلاطين على الحكم، وعلى رغم الجور والظلم المستمر الذي مارسته هذه السلالات الحاكمة إلا ان الشعب الإيراني الصابر ـ الذي نادى وبمجرّد وصول الرسالة المحمدية دياره بالقبول ـ كان منذ القدم في طليعة المسيرة الثقافية الحضارية للإسلام. غير أن ظلم الملوك ودسائس الاستعمار الجديد التي أراد بها بث الفرقة والتنازع كان في تزايد مضطرد ـ خصوصاً وان الاعداء دخلوا الميدان هذه المرة باستخدام وسائل جديدة وتحت ستار العمران والتقدم ـ فقد أدّت خيانات السلاطين القاجار[٢] وما رافقها من اجتياح للاراضي الإيرانية من قبل الانجليز والروس والقياصرة الى ظهور ظروف مؤلمة جديدة، فسفارات الدول الإستعمارية كانت تتدخل بشكل مباشر في جميع شؤون البلاد بما في ذلك عزل وتنصيب امراء البلاط والوزراء وذوي المناصب العسكرية الهامة. كما تم في هذه الفترة العصيبة إعطاء مناطق شاسعة من ارضنا الاسلامية الى الأجانب عبر اتفاقيات مذلة ومهينة، كما كانت البلاد تعاني من انعدام الأمن والعدالة ومن الفساد الاداري. وفي تلك العهود اوضحت فتوى العالم المجاهد الكبير آية الله العظمى الشيرازي في نهضة تحريم التبغ[٣] والصرخات المطالبة بالاصلاح التي اطلقها السيد جمال الدين الأسد آبادي[٤] ونهضة العلماء في ايران والنجف بوجه الاستعمار البريطاني، ما تمتلكه المؤسسة العلمائية الاسلامية من

اقتدار مؤثر في سير الاحداث، الأمر الذي جعل الانجليز يدركون مكامن الخطر، لذا فقد بادروا الى ممارسة مختلف انواع الحيل والأساليب التي تمّ عبرها التأكيد على ظلم المؤسسة العلمائية وإشاعة سياسة الفصل بين الدين والسياسة، فظهرت آنذاك الماسونية، والعملاء الفكريين الجُدد للغرب المتلبسين بلباس الثقافة، الذين زادوا من اشتعال النار في تلك المعركة المشتعلة داخل البلاد.

كذلك فقد كان الملك مظفر الدين القاجاري[٥] والذي كان يفتقد الموقع اللائق بين أبناء شعبه ويعيش على أمل تلقيه بالقبول من قبل الروس والانجليز..

وطبيعي ان سائر البلاد الاسلامية كانت تعيش حالاً مؤسفة مشابهة.

من الولادة وحتى الاستقرار في قم

إنّه العشرون من جمادى الآخرة عام ١٣٢٠ هجري (٢٤ سبتمبر١٩٠٢م) يوم من أيام الكوثر، اليوم الذي أطلَّ فيه روح الله الموسوي الخميني على هذا العالم في بيت من بيوت العلم والهجرة والجهاد وفي عائلة تشرفت بالانتساب الى الزهراء الطاهرة (صلوات الله عليها) في مدينة خمين من توابع المحافظة المركزية (أراك).

كان الإمام الخميني(قده) خلفاً لسلف بذلوا اقصى مساعيهم في هداية الناس وكسب المعارف الالهية فورثوه هذه السجايا.

عاصر المرحوم آية الله السيد مصطفى الموسوي ـ والد الامام الخميني ـ المرحوم آية الله العظمى الميرزا الشيرازي(رض) ودرس العلوم والمعارف الاسلامية في النجف الاشرف لعدة سنوات، وبعد ان بلغ مرتبة الاجتهاد عاد الى ايران ليُقيم في خمين ويصبح ملجأ وملاذاً وموجهاً للناس في أمور دينهم.

لم يُتم «روح الله» خمسة أشهر من عمره حتى قام الطواغيت والباشوات المدعومين من قبل عملاء السلطة آنذاك بالردّ على مساعي والده في احقاق الحق والوقوف بوجه الظالمين باطلاق النار عليه، فاستشهد على أيديهم الغادرة وهو في طريقه من (خمين) الى (أراك) وقد اصرّت عائلة الشهيد على المطالبة بحقها في القصاص من قاتله واجراء العدالة، مما اضطر (دار الحكومة) آنذاك الى النزول عند

إصرارهم. بعد مراجعتهم اياها في طهران. وانزال القصاص بحق قاتله. وبذا يكون الامام الخميني(قده) قد واجه ومنذ طفولته قسوة اليتم وتعرف على مفهوم الشهادة.

بعد وفاة والده امضى الإمام الخميني طفولته في أحضان والدته (السيدة هاجر). سليلة عوائل العلم والتقوى فهي من احفاد المرحوم آية الله الخونساري (صاحب زبدة التصانيف). ورعاية عمته الموقّرة (صاحبة خانم) المرأة الشجاعة التقيّة، حتى اذا ما بلغ الخامسة عشرة من عمره حُرم هذين الحضنين الحنونين.

درس الإمام واتّم ومنذ نعومة اظفاره ـ مستفيداً مما حباه الله به من ذكاء متدفق ـ قسماً من المعارف الشائعة في عصره وعلوم المقدمات والسطوح المعروفة في الحوزات الدينية مثل آداب اللغة العربية، المنطق، الفقه، الاصول، على ايدي معلمين وعلماء منطقته (كالميرزا محمود افتخار العلماء، والمرحوم الميرزا رضا النجفي الخميني والمرحوم الشيخ علي محمد البروجردي والمرحوم الشيخ محمد الكلبايكاني والمرحوم عباس الاراكي واخيه الأكبر آية الله السيد مرتضى بسنديده. الذي امضى عنده اكثر وقته المدرسي. سافر بعد ذلك وفي عام ١٩١٩ م الى آراك ليواصل دراسته في حوزتها.

السفر الى قم

بُعيد انتقال آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي[٦] (رحمه الله) الى قم، انتقل الإمام الخميني من اراك الى قم في رجب المرجب عام ١٣٤٠هـ فطوى سريعاً مراحل دراسته التكميلية في الحوزة العلمية في قم وعلى ايادي أساتذتها. فقد اكمل كتاب «المطوّل» (في علم المعاني والبيان) على يد المرحوم الميرزا محمد علي الأديب الطهراني، كما اكمل السطوح على أيدي المرحوم آية الله السيد محمد تقي الخوانساري، والمرحوم آية الله السيد علي اليثربي الكاشاني كذلك فقد اتمّ دروس خارج الفقه والأصول على يدي زعيم الحوزة العلمية في قم آية الله الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري اليزدي (رضوان الله عليه).

إنّ الروح المرهفة الوثابة التي كان الإمام الخميني(قده) يتحلى بها دفعته الى عدم الاكتفاء باتقان آداب اللغة العربية والدروس الفقهية والاصولية، وعليه فقد توجه سماحته ـ وفي غضون دراسته للفقه والاصول على ايدي فقهاء ومجتهدين ـ لدراسة الرياضيات والهيئة والفلسفة على أيدي المرحوم الحاج السيد ابو الحسن الرفيعي القزويني، ثم واصل دراستها مع العلوم المعنوية والعرفانية على أيدي المرحوم الميرزا علي الاكبر الحكيمي اليزدي، كما درس العروض والقوافي والفلسفة الاسلامية والفلسفة الغربية على أيدي المرحوم الشيخ محمد رضا

المسجد شاهي الاصفهاني، كما درس الاخلاق والعرفان على يد المرحوم آية الله الحاج الميرزا جواد الملكي التبريزي ثم درس اعلى المستويات من العرفان النظري والعملي، ولمدة ستة أعوام ـ على أيدي المرحوم آية الله الميرزا محمد علي الشاه آبادي ـ أعلى الله مقاماتهم أجمعين.

بعد وفاة آية الله العظمى الحائري اليزدي، أثمرت الجهود التي بذلها الإمام الخميني(قده) مع جمع من المجتهدين في الحوزة العلمية في قم في دفع آية الله العظمى البروجردي[٧] (رض) لتسنم زعامة الحوزة العلمية في قم وخلال هذه المدة التي امضاها الإمام الخميني (قده) في قم كان قد عُرف على انه احد المدرسين والمجتهدين من اولي الرأي في الفقه والاصول والفلسفة والعرفان والاخلاق، وكان قد شاع عنه الزهد والتواضع والتعبد والتقوى بين القريب والبعيد.

ان هذه الخصال والسجايا الرفيعة التي تمكن الإمام(قده) من اكتسابها عبر سنوات طويلة من المجاهدة والتريض الشرعي وامتحان المفاهيم والأسس العرفانية في حياته العملية الشخصية والاجتماعية، والمنحى السياسي الذي انتحاه والذي اظهر من خلاله اعتقاده الراسخ بحفظ كيان الحوزات العلمية وترسيخ قيادة الروحانية والزعامة الدينية باعتبارها الملاذ الوحيد للناس في تلك الأيام المضطربة الخطيرة، جعلته يوظف امكاناته العلمية ويبذل مساعيه وما تميز به من الفضل والشاخصية في تحكيم اسس الحوزة العلمية الفتية في قم، فوقف رغم ما لديه من لياقاتٍ ـ ورغم اختلاف نظرته العلمية عن سائر المجتهدين ـ مع سائر المجتهدين، يدعم مرجعية آية الله العظمى الحائري ثم آية الله البروجردي ـ أعلى الله مقامهما ـ وحتى بعد وفاة آية الله البروجردي ـ ورغم التوجه الواسع من قبل الطلاب والفضلاء والمجتمع الاسلامي نحوه لجعله احد مراجع التقليد ـ لم يخطُ الإمام

الخـمـيني(قـده) اية خطوة يشمُّ منهـا رائحـة السـعي لكسب المقـام والسلطة فكان يحث محبيه ومريديه دوماً على عدم الاهتمام بمثل هذه الأمور. بل انه أصرَّ على منحاه هذا حتى في الوقت الذي اجتمع حوله اهل الخبرة في المعارف الاسلامية باعتباره المنادي بالاسلام الحق وانه يمثل ضالتهم المنشودة لتحقيق آمالهم لما كان عليه من التقوى والعلم والوعي. فلم يغير من سيرته ومنهجه قيد انملة متمثلاً قوله الذي كان يكرر دائماً «إنني اعتبر نفسي خادماً وحارساً للاسلام والشعب»(٨).

انه ذات الرجل العظيم الذي عاد في ١٢ بهمن ١٣٥٧ش (١ شباط ١٩٧٩م) الى ايران ليجد عشرات الملايين من الإيرانيين وقد اجتمعوا في اكبر مراسم استقبال شعبي لزعيم سياسي في التاريخ، ثم اجاب ذلك الصحفي الذي سأله عن شعوره وهو يرى هذه الأبهة التي تنتظره، بالقول: لا شيء!

لقد توهم ذلك الصحفي بأن الإمام الخميني(قده) كسائر القادة السياسيين الساعين نحو السلطة يصابون في مثل هذه المواطن المثيرة بسكر خاص، تكاد ارواحهم تقفز له فرحاً. غير ان الجواب الذي سمعه اوضح له بأن الإمام الخميني(قده) من سنخ آخر.

لقد كان الإمام الخميني(قده) بحق. وكما اكّد على ذلك مرات ومرات. يعتقد بأنّ الملاك في جميع سلوكاته وحركاته هو جلب رضا الخالق تعالى والعمل بالتكليف والمسؤولية الشرعية، فهو يرى بأن الأمر سيّان بالنسبة له سواء كان متعرضاً للسجن والنفي ام تسلم أعلى مقام من القدرة والسلطة ما دام متحركاً في سبيل الله. وفي الأساس فقد أعرض سماحته وقبل عدّة عقود من ذلك التاريخ عن الدنيا وما فيها وسلك طريق الوصل والفناء في الله ولعلّ احلى وأجمل تفسير لجوابه الذي أجاب به الصحفي يكمن في بيت الشعر الذي قاله سماحته:

اذهب الى الخرابات واعتزل الخلق جميعاً
وعلق قلبك بالمطلق واترك الباقي[٩].

مارس الإمام(قده) - خلال سنوات طوال - التدريس في الحوزة العلمية في قم، فدرّس عدّة دورات في الفقه والأصول والفلسفة والعرفان والأخلاق الاسلامية في المدرسة الفيضية والمسجد الأعظم ومسجد محمدية ومدرسة الحاج ملا صادق ومسجد السلماسي... وغيرها، كما مارس تدريس الفقه ومعارف اهل البيت(ع) - وعلى ارفع المستويات - في الحوزة العلمية في النجف الأشرف، في مسجد الشيخ الانصاري(ره) لما يقارب الأربعة عشر عاماً وفي النجف الأشرف طرح - ولأول مرة - مبانيه حول مسألة الحكومة الاسلامية عبر سلسلة دروس القاها في موضوع ولاية الفقيه.

وعلى ما نقله طلابه فإن حوزة الإمام الخميني(قده) كانت تعدّ من افضل المراكز التعليمية، وقد قارب عدد من يحضرون درسه في بعض الدورات الدراسية - خلال السنوات التي قضاها في التدريس في قم - الألف ومائتي طالب، كان بينهم العشرات من المجتهدين المعروفين والمعترف باجتهادهم، فكانوا جميعاً ينتهلون من مدرسة الامام الخميني (قده) في الفقه والاصول. فكان من بركات ممارسته التدريس ان تمكّن سماحته من تربية المئات بل الآلاف - اذا اخذنا بنظر الاعتبار طول سنوات الدراسة - من العلماء والحكماء ممن اصبحوا بعد ذلك مشاعلاً واعلاماً في الحوزات الدينية، فهم الفقهاء المجتهدون والعرفاء المتميزون ممن يشار اليهم بالبنان اليوم في حوزة قم العلمية وفي سائر المراكز الدينية، فمن مفاخره العلامة الشهيد الاستاذ المطهري[١٠]. والشهيد المظلوم الدكتور البهشتي[١١] انهما كانا من المواظبين لسنوات على درس هذا العارف الكامل. واليوم فإن الوجوه الوضاءة من العلماء

الربانيين الذين يقودون مسيرة الثورة الاسلامية ويسيرون نظام الجمهورية الاسلامية هم من طلابه وخريجي مدرسته الفقهية والسياسية.

وسوف نشير في هذه المقالة الى خصائص ومميزات مدرسة الامام الخميني في العلوم المختلفة، كما سنتعرض في آخر المقالة وبشكل مختصر الى تعريف كتب ومؤلفات الامام.

الإمام الخميني
في خندق الجهاد والثورة

لقد كان لروحية المبارزة والجهاد في سبيل الله جذور تمتدُّ الى نوع الاعتقادات والتربية والمحيط العائلي والظروف السياسية والاجتماعية التي احاطت بحياة الإمام (قده). فقد وسمت ملامح الجهاد شخصيته منذ الصبا وتواصلت عملية التكامل في شخصيته في ابعادها الروحية والعلمية جنباً الى جنب تطور الظروف والاوضاع السياسية والاجتماعية التي كانت تمرُّ بها ايران والمجتمعات الاسلامية وفي عام (١٩٦١ . ١٩٦٢م) وفي حادثة تعديل قانون المجالس المحلية (مجالس المحافظات والمقاطعات)[١٢] سنحت الفرصة للإمام لأن يؤدي دوره في قيادة نهضة العلماء وبذا فقد انطلقت حركة الخامس عشر من خرداد (٥ حزيران ١٩٦٣م). التي شارك فيها العلماء وأبناء الشعب. معتمدة على دعامتين اساسيتين، أولاهما: قيادة الإمام المطلقة للحركة، وثانيهما: إسلامية الباعث على الحركة، واسلامية الشعارات المرفوعة والاهداف المحددة، لتمثل فصلاً جديداً في جهاد الشعب الايراني اثمر فيما بعد وعرف في العالم أجمع باسم الثورة الاسلامية.

لقد ولد الإمام الخميني في وقت كانت ايران تمرُّ فيه بأقسى

ادوار تاريخها، فالحركة الدستورية[١٣]. تعرضت للضياع نتيجة دسائس ومعارضات عملاء الانجليز في البلاط القاجاري والخلافات الداخلية وخيانة البعض من العملاء الفكريين للغرب وتعرّض العلماء ـ الذين كانوا يمثلون طليعتها ـ الى الاستبعاد من ميدان الاحداث بمختلف انواع المكائد ليعود النظام ملكياً مستبداً مرة اخرى. كذلك فإنَّ البطانة العشائرية التي كانت تتسم بها العائلة القاجارية المالكة، وضعف الحكام المتوالين وعدم صلاحيتهم أدّى الى التدهور الاقتصادي والاجتماعي الشديدين في ايران ومهّد السبيل لاطلاق ايدي الباشوات والاقطاعيين والاشرار لسلب الأمن والأمان، وفي ظروف كهذه كان العلماء بمثابة الملاذ الوحيد للناس في مختلف المدن والمناطق. وكما اشرنا سابقاً فقد شهد الإمام الخميني (قده) في طفولته استشهاد والده بينما كان يدافع عن حقوقه وحقوق اهل منطقته ويقف بوجه الباشوات والاقطاعيين وعملاء الحكومة آنذاك. ان أسرة الإمام تتميز بأُلفة فطرية للهجرة والجهاد في سبيل الله.

يستعرض الإمام الخميني(قده) بعض ذكرياته عن الحرب العالمية الاولى ـ وكان حينها يبلغ من العمر اثني عشر عاماً ـ فيقول «إنَّني أتذكر كلتا الحربين العالميتين... كنت صغيراً إلا أني كنت أذهب إلى المدرسة وقد رأيت الجنود الروس في المركز الذي كان في (خمين) رأيتهم هناك واذكر كيف تعرضت بلادنا للاجتياح في الحرب العالمية الاولى»[١٤].

وفي موضع آخر يذكر سماحته هذا الأمر متعرضاً لذكر اسماء البعض من الباشوات والاقطاعيين الظالمين الأشرار الذين كانوا يمارسون النهب والاعتداء على اعراض الناس واموالهم مدعومين من قبل الحكومة المركزية، فيقول«إنَّني في حرب منذ طفولتي... فقد كنا نتعرض لهجماتٍ من قبل امثال زلقي ورجب علي[١٥]، وكنا نمتلك

بندقية، أذكر أني كنت أقارب البلوغ آنذاك فكنت أذهب مع البقية لاتخاذ مواقعنا في الخنادق المعدّة للدفاع ضد هجوم اولئك الذين كانوا يقصدون الاغارة علينا، نعم كنا نذهب هناك ونتفقد الخنادق»[١٦].

ويقول في موضع آخر: «لقد كنا مضطرين الى اعداد الخنادق في خمين . في المنطقة التي كنا نعيش . وكانت عندي بندقية، غير اني كنت لا ازال حينها صبياً، لم اناهز الثامنة عشرة بعد، وكنت اتدرب على البندقية واحملها وبما يتناسب مع سني،... نعم كنا نذهب للتحصّن في الخنادق ونواجه هؤلاء الاشرار الذين كانوا يغيرون علينا لقد كان الوضع متسماً بالفوضى والهرج والمرج، ولم يكن لدى الحكومة المركزية القدرة على السيطرة على الاوضاع.... وفجأة سيطروا على خمين فهب الناس لمواجهتهم وحملوا السلاح وكنت من بين من حملوا السلاح[١٧].

كان انقلاب الثالث من اسفند (٢٢ شباط) الذي قام به (رضا خان ميرينج)[١٨] معداً ومدعوماً من قبل الانجليز . كما تشير الى ذلك الوثائق التاريخية الثابتة . ورغم انه قضى على حكم القاجاريين وانهى عهد الباشوات والخوانين والأشرار، الا انه أقام حكماً مستبداً حكمت تحت مظلته بضع مئات من العوائل مصير الشعب المظلوم وتصدت العائلة البهلوية للعب دور الباشوات والخوانين الغابرين.

لقد سيطر رضا خان طوال عقدين من حكمه على نصف الأراضي الزراعية في ايران وثَبّت ملكيتها له رسمياً وشكل هيكلاً ادارياً لادارتها والمحافظة عليها يفوق في تشكيلاته هيكلية الوزارات الكبرى وسعى في هذا السبيل . ما وسعه السعي . لحل المشاكل القانونية المترتبة على نقل ملكية الاراضي . حتى الموقوفة منها . فاصدر لذلك عشرات اللوائح والمصوبات القانونية من المجالس

البرلمانية الأجيرة التي كان يأمر بتشكيلها. وقد بالغ في ذلك الى درجة جعلت ما كتب عن حياته ـ من قبل مؤيديه أو معارضيه ـ يدور في أغلبه حول املاكه وما يقتنيه من الحلي والجواهر والشركات والمراكز التجارية والصناعية.

لقد اعتمد رضا خان على ثلاثة اصول سياسية في حكمه «الحكومة العسكرية والبوليسية القاسية ـ المواجهة الشاملة للدين والعلماء ـ العمالة للغرب» الأمور التي أصرّ عليها الى أواخر عهده.

وفي ظروف كهذه سارع علماء الدين الايرانيون ـ الذين تعرضوا للهجوم المتواصل من قبل الحكومات المتوالية التي أدارت الأمور بعد الحركة الدستورية مضافاً الى ما تعرضوا اليه من قبل عملاء الانجليز والمثقفين من عملاء الغرب الفكريين ـ للدفاع عن الاسلام وحفظ كيانهم وحيثيتهم.

ففي ذلك الوقت انتقل آية الله العظمى الحاج الشيخ عبد الكريم الحائري ـ ونزولاً عند رغبة علماء قم الاعلام ـ الى مدينة قم تاركاً أراك، وبعد مدة قصيرة من انتقاله، انتقل الإمام الخميني ـ الذي كان قد انهى وبسرعة دراسة المقدمات والسطوح في الحوزة العلمية في خمين وأراك ـ الى قم وساهم عملياً بدور فعّال في تحكيم وجود الحوزة الفتية في قم، ولم يمض وقت طويل حتى عُدّ الإمام الخميني (قده) من الفضلاء الأعلام في هذه الحوزة واشتهر في مجالات العرفان والفلسفة والفقه والأصول.

وكما أسلفنا الإشارة فإن حفظ كيان العلماء والمرجعية كان من أهمّ ما لزم المبادرة اليه ـ وذلك لافشال المخططات التي كان يُعدها رضا خان وابنه ـ والحيلولة دون تحقيقهم اغراضهم المتوخاة. وعلى هذا الأساس نرى بأنّ الإمام ـ ورغم ما كان بينه وبين آية الله العظمى

الحائري ومن بعده آية الله العظمى البروجردي من اختلاف في وجهات النظر في بعض المسائل حول كيفية مواجهة الحوزات العلمية ومراجع التقليد للظروف المستجدة، وحول دور العلماء في ذلك الخصوص . يقف على الدوام بقوة وحزم الى جانبهما للدفاع عن المرجعية طوال فترة زعامتهما.

كان الإمام الخميني (قده) مولعاً بمتابعة المسائل السياسية والاجتماعية. وكان رضا خان قد اقدم في تلك السنوات . وبعد ان فرغ من تثبيت دعائم حكمه . على تنفيذ مخطط واسع للقضاء على آثار الثقافة الاسلامية في المجتمع الايراني، فمارس انواع الضغوطات على العلماء، فأصدرالأوامر الرسمية بتعطيل مراسم العزاء والخطابة الدينية، ومنع تدريس المسائل الدينية والقرآن وإقامة صلاة الجماعة في المدارس، وروج للهمس حول نزع الحجاب عن النساء الايرانيات المسلمات. وقبل أن يعلن رضا خان عملياً عن أهدافه على مستوى واسع بادر علماء الدين الايرانيون الملتزمون للاعتراض على ممارساته نتيجة معرفتهم بالأهداف غير المعلنة التي كان رضا خان ينوي تحقيقها . وللاعتراض على بعض هذه الممارسات اقدم بعض علماء اصفهان الملتزمون وبقيادة آية الله الحاج آقا نور الله الأصفهاني عام (١٩٢٧م) على الهجرة الجماعية الى قم للاعتصام فيها، وترافقت هذه الحركة مع هجرة العديد من العلماء من مدنٍ اخرى الى قم ايضاً، وبالفعل فقد استمر هذا الاعتصام لمدة مائة وخمسة ايام (من ١٢ أيلول الى ٢٥ كانون الأول عام ١٩٢٧م) انتهى بعدها بالانسحاب الظاهري من قبل رضا خان، ونتيجة المواجهة الامنية له من قبل رئيس الوزراء أنذاك (مخبر السلطنة) الذي أمر بمحاصرة المدينة لانهاء الاعتصام وتعهد بالاستجابة لشروط المعتصمين غير أن هذا الاعتصام

لم ينجح عملياً في تحقيق النتائج المتوخاة وذلك نتيجة استشهاد قائد الاعتصام في شهر كانون الاول عام ١٩٢٧.

وقد اتاحت هذه الحركة الفرصة لطالب العلوم الدينية الشاب روح الله الخميني الذي كان يتحلى باللياقات والاستعدادات اللازمة للمواجهة والتصدي، لأن يطّلع عن كثب. ومن خلال حضوره المباشر في صُلّب تلك الحركة ـ على أساليب المواجهة، وما يتعرض له العلماء من ظلم، علاوة على التعرف على ملامح شخصية رضا خان.

ثم وفي حادثة المشادة التي حصلت بين آية الله البافقي ورضا خان في قم ومحاصرة هذه المدينة من قبل قوات الشرطة وتعرّض سماحة البافقي الى الضرب والنفي الى مدينة الري من قبل الملك. هذه الحادثة والحوادث المشابهة وما كان يحصل في المجالس التشريعية في تلك الأيام ـ خصوصاً الحركة الجهادية الدؤوبة التي كان يمارسها المجاهد المعروف آية الله السيد حسن المدرسي ـ تركت كلها الأثر على روح الإمام المرهفة الوثابة.

وحينما أصدر رضا خان أمره بفرض الامتحانات على طلاب العلوم الدينية في الحوزة العلمية في قم هادفاً القضاء على الحوزة، انبرى الإمام الخميني لفضح الأهداف الخفية لهذا الأمر وتصدى لمعارضته وحذّر بعض العلماء المشهورين ـ الذين عدّوا ذلك الأمر ونتيجة لسذاجتهم امراً اصلاحياً ـ من مغبّة القبول به.

وللأسف فإن المؤسسة العلمانية الايرانية كانت تعيش آنذاك حالة الانزواء نتيجة الاعلام المكثف الذي كانت تمارسه اجهزة النظام الإعلامية ونتيجة للظروف والاختلافات والاحباطات التي نجمت عن الحركة الدستورية، الأمر الذي أدّى الى معارضة البعض من المنحرفين فكرياً وطلاب الراحة والقشريين تدريس ودراسة بعض المواد الدراسية

الحوزوية كالعرفان والفلسفة التي تؤدي بالنتيجة الى إثارة الوجدان والبحث في المسائل والمصائب الواقعة.

وقد بلغ الضغط بهذا الاتجاه حداً عرّض الإمام الخميني الى تحمل ما لا يطاق من أجل تعطيل درسه في الفلسفة والعرفان والأخلاق، الأمر الذي اضطره الى إعطاء دروسه في الخفاء. فكان حصيلة تلك المساعي تربية شخصيات من أمثال العلامة الشهيد آية الله المطهري.

ونتيجة لذلك فقد أظهر العلماء والجماهير المقاومة في مواجهة رضا خان الذي سخَّر جلَّ طاقاته للقضاء على الاسلام ونزع الحجاب ومنع المراسم الدينية، الأمر الذي أدّى الى فشله في الكثير من طروحاته وأجبره على الانسحاب أحياناً.

بعد وفاة آية الله العظمى الحائري (١٩٣٧/١/٣٠م) واجهت الحوزة العلمية في قم خطر الانحلال من جديد، فبادر العلماء الملتزمون ولمدة ثمانية اعوام لإدارة الحوزة العلمية وهم ذوي السماحة: السيد محمد الحجت، السيد صدر الدين الصدر والسيد محمد تقي الخونساري(رضوان الله عليهم) وفي هذه الفترة وخصوصاً بعد سقوط رضا خان تهيأت الظروف للمرجعية الكبرى، فاقترح ان يرفع آية الله البروجردي الذي كان من أبرز الشخصيات العلمية لتسلم مقام المرجعية خلفاً لآية الله الحائري. وبسرعة تمَّ متابعة هذا الإقتراح من قبل تلامذة آية الله الحائري ومن ضمنهم الإمام الخميني، فسعى سماحته شخصياً في إقناع آية الله البروجردي للهجرة الى قم وقبول المسؤولية الخطيرة المتمثلة في تزعم الحوزة العلمية.

لقد ادرك الإمام الخميني ومن خلال اطلاعه على حساسية الظروف السياسية التي يمرٌ بها المجتمع والوضع الذي تعيشه الحوزات

العلمية وطبيعة حركة التاريخ التي كان يستلهمها من مطالعته المستمرة لكتب التاريخ المعاصر والمجلات والصحف الدورية الصادرة في ذلك الوقت. وما كان يقوم به من زيارات متوالية الى طهران(١٩) والحضور في مجالس العلماء الأعلام من أمثال آية الله المدرسي(٢٠) مما يتيح له تكميل الصورة عن الواقع ـ أدرك بأن المسألة التي تعطي أملاً بالتحرر والنجاة من حالة النكسة التي تلت مرحلة الحركة الدستورية وفشلها ـ وبالخصوص بعد تولي رضا خان للسلطة ـ انما تكمن في تسلح الحوزات العلمية بالوعي، على أن يتم قبل ذلك ضمان استمرار وديمومة وجود الحوزات العلمية وتمتين عُرى الإرتباط بين الجماهير والمؤسسة العلمائية.

وفي هذا الاتجاه عكف الإمام الخميني ـ بعد هجرة آية الله البروجردي الى قم ـ باعتباره احد المجتهدين والمدرسين المعروفين في الحوزة العلمية في قم ـ على تحكيم اسس زعامة ومرجعية آية الله البروجردي، وقد بذل في هذا السبيل مساعٍ حثيثة، واستناداً لما ينقله طلابه فإنّ الإمام قد التزم حينها بحضور درس المرحوم آية الله البروجردي في الفقه والأصول.

ورغبة منه في متابعة مسيرته في تحقيق أهدافه السامية أعدّ الإمام الخميني في عام (١٩٤٩م) مقترحاً لإصلاح البنية العامة للحوزة العلمية، ساعده في ذلك آية الله مرتضى الحائري، وقام بتقديمه الى آية الله البروجردي (ره) فيما بعد، وقد حظي هذا المقترح باستقبالٍ ودعمٍ من قبل طلاب الامام الواعين.

ولو كان تمَّ تطبيق هذا المقترح عملياً في تلك الظروف ـ التي ذكرناها ـ لأصبحت الحوزة العلمية مؤسسة ذات تشكيلات علمية واسعة تسهل عليها أداء دورها المطلوب، غير أن الخناسين والقشريين

الذين رأوا أن هذا المقترح سيؤدي الى تعكير صفو أوضاعهم المترفة الهادئة، أصيبوا بالاضطراب فانطلقوا يعارضون ويحبطون حتى بلغ الأمر ان غيّر آية الله البروجردي نظرته الأولى ورغبته القلبية في ذلك فاشاح أخيراً عن قبول هذا المقترح. ونتيجة لذلك تأثر آية الله مرتضى الحائري فسافر للاقامة في مشهد مدة من الزمن، غير أن الإمام الخميني اصر على البقاء رغم اضطراب الظروف ورغم تألمه مما حدث ومما تلا ذلك من الحوادث. آملاً في حركة الوعي المرتقبة الوقوع في الحوزة العلمية.

قبل ثمانية أعوام من ذلك التاريخ وفي (١٩٤١م) كانت ايران قد تعرضت للإحتلال من قبل جيوش الحلفاء، وقد استسلم المستبد - الذي أمضى عشرين عاماً في تجهيز قواته المسلحة منفقاً المبالغ الطائلة - أمام هجمات الغزاة وعلى ما أقرَّ به ابنه محمد رضا خان فإن الجيش قد بادر للفرار في مختلف المناطق أمام أول الاطلاقات التي اطلقتها قوات الحلفاء[٢١]. بذلك فقد تنازل رضا خان عن العرش رغم كل ادعاءاته - وغادر البلاد مجبراً، وكان رد الفعل الشعبي متناقضاً، فمن جانب كانت الجماهير تعيش الحزن والانكسار نتيجة اجتياح قوات الحلفاء لأراضي بلادهم، وفي الوقت نفسه كانت مشاعر السرور والفرح البالغ تعمّ الجميع نتيجة سقوط المستبد - الذي كانت امواله المنقولة - التي جمعها من كدح الفقراء ومن سنين النهب للثروات الوطنية - تُجاوِز الستمائة وثمانين مليوناً من الريالات الايرانية[٢٢]. (في ذلك الوقت) وذلك ينطوي على حقائق كثيرة لا مجال لتفصيلها هنا.

صدر الأمر بتعيين الملك الجديد من السفارة الانجليزية وبموافقة عضو آخر من قوات الحلفاء وهو روسيا، وكان الاختيار قد وقع على محمد رضا البهلوي، وبذلك ابتدأ فصل جديد من العذاب والعناء استمر لسبعة وثلاثين عاماً تميزت ببيع استقلال البلاد وعزتها.

الا ان العامين الأولين من حكومة محمد رضا تميزا بالتزلزل وعدم الاستقرار، الأمر الذي أتاح الفرصة للجميع بأن يلتقطوا انفاسهم، فبادرت الأحزاب والشخصيات السياسية إلى توضيح اهدافها ومراميها، فتوجه البعض نحو القومية التي كانت تتناغم مع اهداف الملك الشاب، في حين توجه جمع آخر من السياسيين نحو النفوذ في هيكل الدولة والتشكيلات التشريعية وشهدت الساحة آنذاك غياب بعض العلماء المجاهدين من امثال آية الله المدرسي الذين كان وجودهم في تلك الفترة سيمثل دعامة أساسية لخيمة الثورة الشعبية، فقد تعرض هؤلاء - ومن مدة - الى التصفية على أيدي ازلام رضا خان، كذلك فإنّ الشيوعيين والأحزاب السياسية المرتبطة بالخارج كانت تعلن عن مواقفها بناءً على الأوامر الصادرة من موسكو وغيرها.

أما الحوزة العلمية في تلك الأيام فقد كانت عاجزة عن تحمل مسؤولياتها الاجتماعية ودخول ميدان الاحداث - كما اشرنا سابقاً - وذلك نتيجة للحملات المسعورة التي شنها رضا خان عليها ونتيجة لنفوذ الإنتهازيين والمصلحيين فيها ممن ساهموا في إزوائها وعزلها عن المجتمع.

ومن الطبيعي ان لا تكون تلك حالة عامة شاملة، فقد كان جمع من الأخيار البارزين المجاهدين من أمثال نواب الصفوي[٢٣]. وانصاره - ممن كانوا يعتقدون بتشكيل الحكومة الاسلامية - يعدّون العدّة في تلك الظروف المضطربة استعداداً للسير في طريق الجهاد المسلح البطولي.

وقد وصف الإمام الخميني في تلك الأيام غربة المجاهدين في سنوات الكبت والاختناق التي مرت عليهم في عهد رضا خان بأبيات من الشعر قال فيها:

أين نتوجه للشكوى من جور رضا خان

وقد حبست الأنفاس في الصدور

كيف نصرخ ولم يبق من الأنفاس

ما يمكننا من الصراخ !

غير انه[٢٤]. وفي تلك الأيام بادر مغتنماً الفرصة لتدوين ونشر كتابه (كشف الأسرار١٩٤٣م) الذي تعرّض فيه لذكر المآسي التي تميزت بها فترة الحكم البهلوي والتي استمرت لمدة عقدين من الزمان ودافع فيه عن الاسلام والمؤسسة العلمائية، وأزال الشبهات التي أثارها المنحرفون، ونوه في كتابه هذا الى فكرة الحكومة الاسلامية وضرورة النهضة لإقامتها.

ثم أصدر وبعد عام من ذلك التاريخ وفي (شهر نيسان ١٩٤٤م) ما يمكن اعتباره اول بيان سياسي له، طالب فيه - وبصراحة - علماء الاسلام والأمة الاسلامية بالثورة العارمة، ويمكن القول بأن لهجة البيان ومحتواه وطبيعة المخاطبين الذين خاطبهم تشير كلها الى أن الإمام كان يتوقع قياماً وشيكاً من الحوزة رغم الظروف المؤسفة التي كانت تمر بها الحوزات، وكما كان متوقعاً فإن الإمام لم يتلق جواباً مناسباً على دعوته للثورة والقيام، غير أنّ بصيصاً من الأمل كان يشرق في ضمائر الطلاب الذين تحلقوا حول الإمام وعدوا جلسات دروسه بمثابة محافل حقيقية للأنس.

وبعد المساعي الأخيرة التي بذلها الإمام ظهرت ملامح شخصيته وآرائه السياسية، وبناءً عليه فقد توضحت تدريجياً حلقة مؤيدي الإمام العقائديين من بين طلابه، الذين كان لأغلبهم أدوار هامة في أحداث (الخامس من حزيران) وفي سنوات الاختناق التي تلتها، وباختصار فإنّهم واصلوا مسيرتهم مع الإمام حتى ما بعد الثورة، فمن تمكن منهم

من العبور بسلام من مضيق ما قبل الثورة وخرج سالماً من المعتقلات وأنواع التعذيب الذي كان المجاهدون يعرضون له أدّى دوره في المواقع الحساسة من هيكل النظام الاسلامي في أشدّ الظروف حساسية وحراجة.

على أية حال. فإن الوثائق التاريخية والمذكرات المكتوبة من قبل العديدين، تشير إلى أن سماحة الإمام قد بذل جهده الجهيد في المجال الحوزوي خلال فترة مرجعية وزعامة آية الله البروجردي(ره) فضلاً عن ممارسته دوره المعهود في التدريس والبحث وسائر المجالات المختلفة للدفاع عن موقع المرجعية والحوزات العلمية من جانب، ونشر الوعي السياسي والاجتماعي وتحليلاته للمسائل السياسية الجارية والمبادرة لاطلاق التحذيرات في الأوقات المناسبة حول اغراض النظام الملكي والحيلولة دون نفوذ العناصر المنحرفة والمترفة الى اوساط الحوزات العلمية من جانب آخر.

وفي غضون ذلك فإنه كان يواصل الإتصالات بالشخصيات السياسية الواعية في طهران من امثال آية الله الكاشاني، ويتابع وبدقة وعن طرقٍ مختلفة منها متابعة جلسات مجلس الشورى الوطني والنشرات المهمة التي كانت تصدر حينها الأحداث الجارية.

فعندما تناثر الهمس حول تشكيل المجلس التأسيسي لتغيير الدستور وجعل النظام الملكي الحاكم نظاماً ملكياً مستبداً وذلك في عام ١٩٤٩م، أشيع بأنّ آية الله العظمى البروجردي كان راضياً بتلك التغييرات المرتقبة وان مشاورات قد جرت بالفعل بينه وبين بعض المسؤولين الحكوميين حول ذلك الأمر، ثم طالب في رسالة مفتوحة اعدها بالتعاون مع بعض المراجع والعلماء الاعلام حينها آية الله البروجردي بتوضيح حقيقة الأمر. الأمر الذي دفع آية الله البروجردي

الى اصدار بيان كذّب فيه وجود أي اتفاق. وفي الوقت نفسه فقد اصدر آية الله الكاشاني بياناً من منفاه في لبنان طالب فيه بضرورة الوقوف بوجه القرارات والخطوات التي يزمع الملك القيام بها.

وحينها جرت انتخابات الدورة السادسة عشرة لمجلس الشورى الوطني، وتمّ انتخاب آية الله الكاشاني من قبل اهالي طهران، وقد أدى الائتلاف والتنسيق بين جناح آية الله الكاشاني والجبهة الوطنية الى ترجيح كفة الميزان لصالح انصار نهضة تأميم النفط ولغير صالح الملك. كذلك فإن فدائيي الاسلام الذين كانوا يتمتعون بدعم آية الله الكاشاني. قاموا بعدة عمليات خاطفة لم يسبق لها مثيل تم من خلالها انزال ضربات مؤثرة في هيكل حكومة الملك. واعتماداً على التأييد الذي توفر له استطاع الدكتور مصدق ان يتسلم قيادة البلاد، ثم قامت انتفاضة ١٢ تموز م)[٢٥] في طهران. فتلفعت ايران بوشاح الفرح والسرور نتيجة تحقق مطلبها القديم بتأميم النفط، غير انه لم يمض وقت طويل حتى ظهرت ملامح عدم الانسجام في جبهة الإئتلاف وتفاقمت الاختلافات بين فدائيي الإسلام وآية الله الكاشاني وقادة الجبهة الوطنية الى حد وقوع المواجهات أحياناً بين تلك الاطراف. فقد اصرَّ المرحوم الكاشاني على رفض اقتراح دفع الغرامة للانجليز في مقابل تأميم النفط، فسماحته كان يعتقد بأنَّ على الإنحليز أنفسهم أن يدفعوا الغرامة لإيران عن نهبهم النفط الإيراني لمدة خمسين عاماً، ولهذا السبب فقد حذر سماحته الدكتور مصدق بشدة من مغبة التنازل أو المساومة على هذا المبدأ.

من جانب آخر فإن آية الله الكاشاني كان يعارض بشدة استبدال الانجليز بالامريكان والشركات الأمريكية في مجال تعدين النفط وسائر المجالات الاقتصادية في البلاد. في حين ان الغالبية العظمى

من المسؤولين في حكومة مصدق كانوا يميلون بصراحة نحو هذا الاتجاه.

من جانب آخر فإنّ مشاركة بعض العناصر غير الاسلامية في نهضة تأميم النفط والاعتماد على (حزب تودة) الشيوعي كان من جملة الأمور المختلف عليها فقد أدى نفوذ تلك العناصر المتزايد جنباً الى جنب الى تنامي صلاحيات رئيس الوزراء، والى تنامي وتيرة الاعلام المبرمج المعادي للاسلام، وبلوغ خيانات حزب تودة الى اقصاها وإزواء التيار المتدين في النهضة مما اتاح الفرصة لأمريكا للقيام بانقلابها الناجح في (١٩ آب ١٩٥٣م) ليعود الملك ليمسك بزمام سلطة لا ينازعه عليها احد بعد قيامه بإبعاد المعارضين.

ويستنتج من خطابات الإمام وكلماته التي ألقاها حول أحداث الإنتفاضة الوطنية بأن سماحته كان مطّلعاً على عدم ثبات الإئتلاف المقام حينها.

لقد حققت النهضة الوطنية انتصارات ملحوظة في اهدافها المعادية للإستعمار إلا أن عملية تأميم صناعة النفط كانت تنطوي على ثغرات مقطعية وزمانية حالت دون تحقيقها منفردة ديمومة النهضة على المدى الطويل. فعدم إيمان التيار الوطني في النهضة بالشعارات والأهداف المطروحة من قبل التيار الديني - والتي كانت تحظى بتأييد الجماهير وفقدان القائد الواحد ونفوذ العناصر المنحرفة وفقدان الأهداف السياسية المشتركة والثقافة التي يمكنها استقطاب تأييد الجماهير الايرانية المسلحة على المدى الطويل، ناهيك عن التحركات الأمريكية والضغوط الخارجية، كلها كانت عوامل حالت دون امكانية استمرار النهضة.

لقد مثّلت نهضة تأميم النفط انعكاساً للظروف السياسية

والاجتماعية التي أحاطت بالحركة الدستورية وبشكل مصغر واتسمت بنفس نقاط قوتها وضعفها لذا فقد تعرضت لنفس المصير. فحتى التيارات الدينية أيضاً لم تكن تتمتع بوحدة النظر والدعم الشعبي. فحركة فدائيو الإسلام وكذلك مساعي آية الله الكاشاني حرمت ـ ولأسباب ـ دعم وتأييد آية الله العظمى البروجردي ـ المرجع والزعيم القوي آنذاك ـ فضلاً عن ظهور الاختلافات الحادة بينهما ايضاً.

وفي ظروف كهذه لم تتمكن المواقف الداعمة للتأميم والتي وقفتها بعض الشخصيات المعروفة من أمثال آية الله العظمى الخونساري في قم والمواقف الضمنية الداعمة من أمثال الإمام الخميني من ترك أي أثر على مسير الأحداث.

على أية حال فقبل ان يتذوق الشعب الايراني حلاوة نهضة التأميم فوجئ بطعم المرارة الناجمة عن الاختلافات والحوادث المريرة اللاحقة والتي ختمت بانقلاب (التاسع عشر من آب) ورغم أن فدائيي الاسلام لم يلقوا السلاح الا أنهم وبعد عامين اي في تاريخ (١٦ تشرين الثاني ١٩٥٥م) تعرضوا ـ ونتيجة فشل عملية الاغتيال التي قاموا بها لقتل حسين علاء رئيس الوزراء آنذاك بينما كان يهم بالسفر الى بغداد للتوقيع على معاهدة بغداد (السنتو) ـ للاعتقال ثم الحكم على قادتهم بالاعدام في محكمة عسكرية سرية وذلك في شهر كانون الاول من عام ١٩٥٥م. ولم تثمر مساعي الإمام الخميني(قده) وسائر العلماء للحيلولة دون تنفيذ حكم الاعدام بهم.

هذه الأحداث المريرة تركت أثرها على روح الإمام الخميني(قده) المرهفة، الا انها شكلت نوعاً من التجارب والخبرات النافعة للمراحل اللاحقة من حركته الجهادية.

أما الملك وبلاطه فإنهم أصبحوا بعد الانقلاب ـ وفي ظروف

تختلف عن العهد السابق للانقلاب. تحت أمر امريكا، فالانجليز قد أخلوا مواقعهم للأمريكان. وبسرعة تم تأسيس دائرة الأمن (السافاك)[٢٦]. عام (١٩٥٧م) وسادت أجواء القمع والاضطهاد الشديدين في حق المعارضين وتلبدت الأجواء بغيوم الكبت والاختناق لتهيئة الظروف الاجتماعية المناسبة لإجراء الإصلاحات التي كانت امريكا بصدد المطالبة باجرائها. وتسابقت الشركات الأمريكية نحو الخليج الفارسي خلال العقدين السادس والسابع من القرن العشرين لاحتلال المواقع التي كان يتمتع بها الاستعمار الانجليزي، كذلك فإن أجواء الحرب الباردة بين أمريكا والاتحاد السوفياتي زادت من حساسية منطقة الخليج الفارسي الاستراتيجية، وقد سال لعاب البيت الأبيض للثروات النفطية الإيرانية والاقليمية، لذا فقد أقدم ساسة البيت الأبيض على تفويض الملك لعب دور شرطي المنطقة والحفاظ على مصالح الغرب فيها، وقد تم ترجيحه للعب هذا الدور على جميع الأنظمة الأخرى في المنطقة من جميع الجهات. وكانت امريكا تسعى لتحقيق هدف آخر من توقيعها الاتفاقيات مع الملك وتوفير الدعم له. فالمواجهة بين الدول الاسلامية واسرائيل الغاصبة كانت امراً لا بد منه، لذا فإن الطبيعة الخيانية للعائلة البهلوية وشخصية الملك محمد رضا، اعتبرت من قبلهم عوامل تساعد في امكانية الاستفادة من النظام الملكي لإيجاد شرخ في صفوف العالم الاسلامي، وكان للنفط في هذا المخطط دور أساسي أيضاً، فإن أزمة الطاقة كانت الأمر الشاغل للغرب في حالة وقوع مواجهة عسكرية بين الدول النفطية الاسلامية واسرائيل، عليه فإن توسيع عمليات التنقيب عن النفط في ايران، وزيادة استثماره وتقوية النظام الملكي كانت تعد الضمانة الوحيدة للتقليل من أثر الأزمة المتوقعة في تلك الظروف.

غير ان الهيكلية الاجتماعية والاقتصادية التقليدية في ايران والمعتمدة على الزراعة بشكل أساسي كانت تعتبر عائقاً أساسياً أمام إجراء الاصلاحات الامريكية في ايران، فإيران كانت تفتقر الى الاستعداد الكافي في تلك الظروف للتوسع في انتاج النفط وزيادة مدخولاتها النقدية من بيعه مستقبلاً ـ وهي الايرادات التي كان يجب ان تنفق في شراء التجهيزات العسكرية وشراء السلع والبضائع الأمريكية الأخرى ـ لذا فقد انهالت اللوائح والطروحات والاقتراحات على مجلسي (الشيوخ والشورى) لتغيير الظروف وتهيئة الأرضية لذلك واستناداً لما ورد في الاعترافات الصريحة التي أدلى بها مسؤولو النظام السابق وكذلك ما أظهرته الوثائق والمستندات التي تمت مصادرتها من وكر التجسس الأمريكي (السفارة الامريكية السابقة) في ايران، تدل بوضوح على ان اعداد مضمون أغلب تلك اللوائح كان يتم في امريكا أو في سفارتها في ايران. فكان مشروع الاصلاح الزراعي(٢٧). خطوة اختبارية أريد بها إعداد الأرضية للمصادقة على أصول ثورة الملك البيضاء، نعم تمّ اختيار المشروع كأول خطوة مدروسة، فطُرح ترافقه حملة دعائية مكثّفة وشعارات طنانة، كالوقوف بوجه الباشوات والاقطاعيين، وتقسيم الأراضي بين الفلاحين المحرومين، وزيادة الانتاج الى ما شابه ذلك. وبذا فقد كانت المعارضة للأهداف الخفية لمشروع الاصلاح الزراعي، تعدُّ بمثابة الوقوف مع ملاّك الأراضي الزراعية الكبار، والاقطاعيين، لذا فإنها كانت تقمع بشدة.

لقد تزامنت السياسة الامريكية والملكية في عام (١٩٦١م) مع وقوع حادثتين مؤسفتين هامتين. ففي الثلاثين من آذار ١٩٦١م، التحق آية الله العظمى البروجردي بالرفيق الأعلى والذي أعادت خدماته الجليلة وشخصيته العلمية للمرجعية موقعها المتميز باعتباره أهم ملاذ

للجماهير في ميدان الحياة الاجتماعية في ايران فوجود سماحته بحدّ ذاته كان يمثل عائقاً أساسياً يحول دون تحقيق النظام الملكي لأغراضه. لذا فقد عُدَّت وفاته نازلة ثقيلة. وبعد عام تقريباً ودع الحياة ايضاً العالم المجاهد آية الله الكاشاني، الذي كان اسمه ذات يوم يبعث القشعريرة في جسد الملك.

أما الإمام الخميني ـ وكما هو ديدنه ـ فإنه لم يخطُ خطوة واحدة في سبيل المرجعية بعد وفاة آية الله البروجردي رغم التفاف مجتمع الحوزة العلمية والجماهير حوله، بل انه رفض بشدة الاقتراحات والخطوات التي قام بها بعض اصحابه ومريديه في هذا الاتجاه، وكان ذلك في الوقت الذي كان فيه الإمام الخميني قد اتمّ تعليقته على كتاب العروة الوثقى منذُ خمسة اعوام قبل وفاة آية الله البروجردي، وفي تلك السنوات بالتحديد كان سماحته قد كتب حاشية على كتاب وسيلة النجاة لتكون رسالته العملية.

ان النظرة الزاهدة في الدنيا التي كان الإمام الخميني يتحلى بها، وإعراضه عن المقامات والمناصب الاعتبارية الدنيوية يمكن استشرافها من بحوثه الأخلاقية والعرفانية المعمقة والتي وسمت آثار المكتوبة، كشرح الأربعين حديثاً وسر الصلاة وآداب الصلاة والتي كان قد كتبها قبل سنوات من ذلك التاريخ.

بعد ارتحال آية الله البروجردي وتجزأ المرجعية الكبرى، أظهر النظام الملكي نشاطاً أكثر واندفاعاً في تحقيق الاصلاحات التي كانت امريكا ترغب فيها، كما انه سعى في الوقت ذاته لاخراج المرجعية من ايران، غير ان النظام كان مخطئاً في حساباته.

في (٨ تشرين الاول١٩٦٢م) صادقت وزارة أسد الله علم على اصلاح لائحة المجالس المحلية، وتغيير بعض مضامينها كاشتراط

اسلامية المرشحين، والقسم بالقرآن الكريم، واشتراط الرجولة في المرشحين والناخبين، وقد أريد تمرير بعض الأهداف من خلال المصادقة على اشتراك النساء في الانتخابات، كذلك فإن حذف وتغيير شرطي الرجولة والاسلام كان يراد منه بالضبط ادخال العناصر البهائية في المراكز الحساسة من هيكل النظام الحاكم.

كما أشرنا سابقاً أيضاً فإن دعم الملك للكيان الصهيوني وتوسيع العلاقات الايرانية الاسرائيلية كانت شروطاً امريكية في مقابل توفير الدعم للملك، ولتحقيق هذه الشروط كان لا بد من زيادة نفوذ أتباع المسلك الاستعماري البهائي في السلطات الايرانية الثلاث.

وبمحض انتشار خبر المصادقة على اللائحة المذكورة بادر الإمام الخميني ومجموعة من العلماء الاعلام في قم وطهران ـ وبعد التشاور ـ للاعتراض العام والشامل على هذا الأمر.

وقد كان للإمام الخميني دور فعال في توضيح الأهداف الحقيقية للنظام الملكي والتنبية على خطورة دور العلماء الرسالي والحوزات العلمية في تلك الظروف.

أدّت البرقيات والرسائل المفتوحة المعترضة التي بعث بها العلماء الى الملك والى رئيس الوزراء، إلى بث روح الدعم والتأييد في نفوس الجماهير. كما أن برقيات الإمام الخميني التي أبرق بها الى الملك ورئيس الوزراء تميزت باللهجة الحادة والحازمة والمحذرة، يقول سماحته في احدى تلك البرقيات: «إنّني انصحكم مجدداً بأن تطيعوا الله تعالى وتنصاعوا للدستور، وان تحذروا العواقب الوخيمة لمخالفتكم للقرآن واحكام العلماء الاعلام وزعماء المسلمين والدستور، فلا تعرّضوا البلاد عمداً وبلا مبرر للخطر، وإلا فإن علماء الاسلام سيقولون رأيهم فيكم»[٢٨].

بادر النظام الملكي بادئ الأمر إلى التهديد وتكثيف الاعلام المعادي للمؤسسة العلمائية . وصرح اسد الله علم في مقابلة اذاعية أجريت معه بالقول «إنّ الحكومة لن تتراجع عن تنفيذ مشروعها الإصلاحي الذي هي بصدد اعداده» ولكن رغم ذلك فإنّ الحركة الشعبية تزايدت بإطراد، فعُطلت الأسواق في طهران وقم وبعض المدن الاخرى، وتجمع الناس في المساجد للتعبير عن دعمهم لحركة العلماء.

ولم يمض اكثر من شهر ونصف على بداية الحادثة، حتى انسحبت الحكومة عن تنفيذ مشروعها، وأبرق الملك ورئيس وزرائه برسالتيهما الجوابية الى العلماء هادفين ارضاءهم وتبرير الأمر، غير أن النظام الملكي امتنع عن مخاطبة الإمام الخميني لما عرفه عنه من قوة الشخصية وثباتها.

رأى بعض العلماء في الحوزة العلمية بأن موقف الدولة هذا كافٍ لحسم النزاع، غير أن الإمام الخميني عارضهم بشدة، فسماحته كان يعتقد بأنّ على الحكومة أن تبادر لالغاء لائحة المجالس المحلية بشكل رسمي وعلني، ففي البين من رسالته الجوابية على سؤال بعض الكسبة والتجار من أهالي قم حول لائحة المجالس المحلية كشف سماحته النقاب عن الأهداف التي رامها النظام من وراء هذه اللائحة وأشار الى ان المقصود هو ادخال عناصر البهائيين والجواسيس الاسرائيليين في هيكل النظام الايراني، فقال في جانب من رسالته: «إنّ الشعب المسلم لن يسكت ما لم ترفع هذه الاخطار، ولو أن أحداً رضي بالسكوت فإنه سيكون مسؤولاً أمام الله القادر، وسيحكم عليه بالزوال في هذا العالم ايضاً» كما حذّر سماحته في ذات الرسالة نواب مجلسي الشيوخ والشورى من مغبّة التصويت لصالح هذه اللائحة فكتب يقول: «إنّ الشعب المسلم وعلماء الاسلام أحياء واعون، وانهم

سيقطعون آيّة يدٍ خائنةٍ تمتد للمساس بأساس الاسلام واعراض المسلمين»(٢٩).

وبالنتيجة فإن النظام الملكي قَبِل بالهزيمة، ففي ٨ تشرين الثاني ١٩٦٢م. ألغت الهيئة الحاكمة اللائحة السابقة، وأبرقت للعلماء والمراجع في طهران وقم تعلمها بالأمر. غير أنّ الإمام الخميني أصرّ مجدداً على مواقفه السابقة وأعلن في اجتماعٍ ضم العلماء الاعلام في قم بأن إلغاء اللائحة بشكل سرّي أمر غير كافٍ وأضاف بأنّ النهضة ستتواصل ما لم يُعلن أمر الإلغاء في أجهزة الاعلام.

وفي اليوم التالي، أُعلن خبر إلغاء لائحة المجالس المحلية في صحف النظام، واحتفلت الجماهير بأول نصر كبير تحقق لها بعد نهضته تأميم صناعة النفط.

وفي حديث له في أيام الفرح تلك قال الإمام الخميني: «الهزيمة الظاهرية ليست مهمة، المهم هو الهزيمة الروحية، والمرتبط بالله لا يُهزم. الهزيمة لأولئك الذين تمثل الدنيا غاية آمالهم ... فالله لا يهزم ولا تهنوا ولا تحزنوا... خلال الشهرين الماضيين اضطرتني الأحداث الى الاكتفاء بساعتين من النوم يومياً... ومرة أخرى إذا رأينا أنّ شيطاناً من الخارج أراد استهداف بلادنا، فنحن كما نحن والدولة كما هي... النصيحة من الواجبات... فعلى العلماء ان ينصحوا الجميع، بدءاً من الملك وحتى آخر فرد في البلاد...»(٣٠).

وبهذا فإن حادثة لائحة المجالس المحلية كانت تجربة ناجحة وهامة للشعب الايراني، خصوصاً وانه تعرف من خلالها على شخصية تؤهلها سجاياها لقيادة الأمة الاسلامية من جميع النواحي.

ورغم هزيمة الملك في حادثة المجالس المحلية، إلا أن أمريكا واصلت الضغط عليه لتنفيذ الاصلاحات التي كانت تريدها. وفي

مطلع عام ١٩٦٣م عدد الملك الأصول الاصلاحية الستة وطالب بطرحها للاستفتاء الشعبي فأعلنت الأحزاب القومية عن موافقتها برفعها شعار «نعم للاصلاحات، لا للاستبداد» كما أنّ الشيوعيين أيضاً واعتماداً على تحليلهم بأن الاصلاحات الملكية ستسرع من مسير ديالكتيكية النظام الاقطاعي نحو النظام الصناعي والرأسمالي اعلنوا عن موقفهم المنسجم مع الموقف الذي أعلنته اذاعة موسكو واعتبروا بأن أسس الثورة البيضاء أسس تقدمية وأولئك هم أنفسهم هم الذين عدّوا نهضة الخامس من حزيران حركة رجعية قامت للدفاع عن الاقطاعيين(٣١).

ومرة اخرى طالب الإمام الخميني المراجع والعلماء الاعلام في قم لعقد اجتماع للتباحث حول الأمر. لكن اولئك الذين يرون المرجعية من زاوية مباشرة الأمور الدينية للناس لا من زاوية المسؤولية في مواجهة المصائب والنوازل التي تحلُّ بالأمة الاسلامية، لم يرقهم امر القيام، ورغم أن الأهداف غير المعلنة للنظام الملكي من وراء ذلك الاستفتاء وتلك الاصلاحات كانت واضحة لشخص الإمام، وان المواجهة أمر لا بد منه، الا أنّ الاجتماع قرر بالاجماع فتح باب الحوار مع الملك واستكشاف نواياه.

كانت الرسائل المتبادلة بين الطرفين (الملك والعلماء) ترسل بواسطة ممثلين للتفاوض وفي عدة مراحل مكوكية. وفي لقائه لآية الله كمال وند، هدد الملك بأن الاصلاحات سيتم تنفيذها بأي ثمن ولو كان بسفك الدماء وتخريب المساجد(٣٢)!

في الاجتماع اللاحق للعلماء الاعلام في قم، طالب الإمام بتحريم المشاركة في الاستفتاء الشعبي الذي طرحه الملك، لكنّ الجناح المحافظ الذي كان حاضراً في الاجتماع، عدّ المواجهة في تلك الظروف بمثابة

«نطح الصخرة من قبل الوعل» واعتبرها امراً عديم الجدوى. ورغم ذالك ونتيجة لاصرار الإمام الخميني وثباته على موقفه تقرر ان يقوم المراجع والعلماء بمعارضة الاستفتاء بصراحة وتحريم المشاركة فيه. وفي الثاني والعشرين من كانون الثاني عام ١٩٦٢م اصدر الإمام بياناً شديد اللهجة[٣٣]، أدى انتشاره الى تعطيل السوق المركزي في طهران لأعماله، وخروج الجماهير في تظاهرات معارضة، وهجوم رجال الشرطة على جموع المتظاهرين. ومع اقتراب موعد الاستفتاء المفروض اتخذت المعارضة الجماهيرية ابعاداً جديدة. مما اضطر الملك ـ ولأجل التخفيف من حدّة المعارضة ـ إلى السفر الى قم.

وقد كان الإمام الخميني معارضاً بشدة لفكرة قيام بعض العلماء باستقبال الملك، بل انه حرّم الخروج من المنازل والمدارس يوم وصول الملك الى قم. وكان تأثير هذا التحريم كبيراً الى درجة جعلت المتولي لحرم حضرة المعصومة(ع) والذي يعتبر اهم منصب حكومي في المدينة ـ يمتنع عن الخروج لاستقبال الملك الأمر الذي أدى الى عزله من منصبه.

ولدى وصوله عبر الملك عن غضبه من علماء الدين والجماهير من خلال خطابه الذي القاه في جمع من الموظفين الحكوميين وعملاء النظام الذين اصطحبهم معه من طهران بأشد العبارات ركة وفضاضة.

وبعد يومين من زيارة الملك لمدينة قم، أجري الاستفتاء في وضع مؤسف إذ لم يشارك فيه غير عناصر النظام وأزلامه.

وقد سعى النظام من خلال وسائل اعلامه التي كررت إذاعة برقيات التهنئة التي بعث بها المسؤولون الأمريكان والاوروبيون الى اخفاء فضيحته المتمثلة في اعراض الجماهير عن المشاركة في الاستفتاء.

واصل الإمام الخميني فضح النظام واغراضه ومقاصده من خلال

الخطابات والبيانات، فكان من ضمن ما أصدره بيان حازم ومستدل عرف فيما بعد «ببيان التسعة»[٣٤]. واستعرض فيه مخالفات الملك وحكومته للدستور، وتوقع فيه أن تؤدي الإصلاحات الملكية الى تدهور الزراعة وضياع استقلال البلاد، ورواج الفساد والفحشاء كنتائج قطعية.

وقبولاً باقتراح الإمام الخميني فقد حُرّم الاحتفال بعيد النوروز لعام ١٣٤٢ (٢١آذار ١٩٦٣م) إعتراضاً على ممارسات النظام وقد أطلق الإمام الخميني في بيانه الصادر بهذا الخصوص عبارة «الثورة السوداء» على ما سُميّ «بالثورة البيضاء» كما أنه فضح انصياع الملك للمخططات الأمريكية الإسرائيلية، قال سماحته في هذا البيان: «وإني لا أرى حلاً سوى أن يُصار الى إقالة هذه الحكومة المستبدة بجريرة مخالفة أحكام الاسلام وتجاوز الدستور، ثم يتمّ تشكيل حكومة مستندة الى أحكام الإسلام تتمتع بعمق شعبي لدى الشعب الإيراني. اللّهم لقد أدّيت تكليفي ـ اللهم قد بلّغت ـ وإذا مُدّ في عمري فإني سأواصل أداء تكليفي بإذن الله»[٣٥].

إن إدراك أهمية هذا الكلام لا يتسنى الا لأولئك المطلعين على السجون الرهيبة والجو الخانق الذي كان سائداً في تلك الأيام، والذين يدركون كيف كان يؤدي أقلّ انتقاد إلى مواجهة السجن والتعذيب والنفي.

من جانب آخر فإن الملك الذي كان قد أكدّ لواشنطن بأن المجتمع الإيراني مهيأ لتقبل الإصلاحات الأمريكية وأطلق على اصلاحاته اسم «الثورة البيضاء» رأى بأن معارضة العلماء له ستكلفه ثمناً باهظاً، لذا شرعت أجهزة الاعلام حملتها الواسعة ضد العلماء والإمام الخميني فقد قرر الملك القضاء على النهضة.

ففي الثاني من فروردين ١٣٤٢ش (٢٢ آذار ١٩٦٣م) - الذي صادف ذكرى استشهاد الإمام جعفر الصادق(ع)[٣٦]. هاجم أزلام النظام المسلحين - متنكرين بملابس مدنية تجمع طلاب العلوم الدينية في المدرسة الفيضية ثم تلا ذلك دخول قوات الشرطة المدرسة الفيضية مستخدمين اسلحتهم النارية لتنفيذ هجومهم الوحشي فقتلوا وجرحوا الكثيرين من الطلاب. وفي الوقت ذاته تعرضت المدرسة الطالبية في تبريز لهجوم مماثل وفي غضون تلك الاحداث كان منزل الإمام الخميني يستقبل كل يوم مجاميع كثيرة من الثوريين والجماهير الغاضبة التي كانت تأتي للتعبير عن تضامنها وتعزيتها ودعمها للعلماء وللاطلاع على آثار جريمة النظام في قم.

وكان الإمام الخميني يحمّل الملك شخصياً وبصراحة - اثناء خطاباته في الجماهير - المسؤولية الكاملة عن تلك الجرائم وعن التحالف مع إسرائيل، ويحثّ الجماهير على القيام. وفي خطابه الذي ألقاه في الأول من نيسان عام ١٩٦٣م إنتقد بشدة سكوت علماء قم والنجف وسائر البلاد الاسلامية ازاء جرائم الملك الأخيرة، فقال: «ان السكوت اليوم يعني التضامن مع النظام المتجبر»[٣٧].

وفي اليوم التالي أي في الثاني من نيسان عام ١٩٦٣م أصدر الإمام بيانه المعروف تحت عنوان «محبة الملك تعني التدمير». وقد وضع الإمام في بيانه هذا الذي يعدّ من أشدّ بياناته السياسية لهجة - الملك في قفص الاتهام وأكد في ختامه على تحريم التقية في تلك الظروف وعلى أن اظهار الحقائق واجب (ولو بلغ ما بلغ) كتب الإمام الخميني في بيانه هذا مخاطباً الملك وأزلامه يقول: «لقد أعددت اليوم قلبي لتلقي طعنات حِراب أزلام الملك راضياً بذلك، ولكني لن أرضى

بقبول الظلم ولن أرضى بالخضوع أمام تجبر النظام»[٣٨].

لقد اختار الإمام الخميني طريقه بوعي، فقد صار يمتلك حصيلة من التجارب السياسية والمواقف الجهادية الحلوة والمرّة. وكان يرى أن بانتظاره وقائع خطيرة وطريقاً محفوفاً بالمخاطر. غير انه كان لا يتحرك بناءً على ما لديه من حصيلة من الماضي ولا على أساس ما ينتظره في المستقبل. انه يفكر دوماً بأداء تكليفه رافعاً شعار «العمل بالتكليف ولو بلغ ما بلغ».

ان الإمام الخميني يرى بأن معنى «الهزيمة والنصر يختلف عما شاع لهما في عرف السياسيين المحترفين» فهو ـ وخلافاً للكثير من المناضلين المشهورين والقادة والاعلام من سياسي العالم، والذين يدخلون الميدان السياسي بأيّ وسيلة ثم يحرصون على مظهرهم السياسي وشخصيتهم في وسط ذلك الميدان المضطرب ـ قد دخل الميدان السياسي وقام بأداء دوره القيادي للثورة الإسلامية في عام ١٩٦٣م بعد أن طوى العديد من مراحل التهذيب وكسب الفضائل المعنوية والمعارف الحقيقية بسطوحها العالية ومارس الجهاد الأكبر لسنوات طويلة. فالإمام يعتقد بأن بناء النفس والجهاد الباطني مقدّم على الجهاد الخارجي، حتى إنه كان يقول دوماً بأنّ العلوم المختلفة ـ بما في ذلك علم التوحيد ـ إذا لم تكن توأماً مع تهذيب النفس فإنّها لن تكون سوى حجاب ولن تؤدي الى الوصول الى الحقيقة.

ان العبارات الحادة التي اطلقها الإمام في بيانه الصادر في ٢ نيسان ١٩٦٣م وأشباهها التي وسمت الكثير من تراثه السياسي، لم تكن مناورة سياسية لاخراج مناوئيه من الميدان، بل انها كانت عرضاً لحقائق تنبع من عمق وجود شخصية ترى أن العالم محضر الله. فالامام لم يكن يكنّ لأحد من خصومه من أمثال محمد رضا أو صدام أو كارتر أو

ريغان وغيرهم ممن وقفوا بوجهه خلال جهاده، حقداً أو عداءً شخصياً، فهو كان حريصاً على إنقاذ المجتمع البشري من سلطة أتباع الشيطان وإعادة البشرية الى هويتها الفطرية الالهية ـ الرحمانية. وقد حرص على الاعتقاد والعمل بهذه المبادئ قبل ان يدعو غيره اليها.

وللوقوف على سر موفقية الإمام الخميني ينبغي البحث في جهاده الطويل لنفسه وسعيه لبلوغ المعرفة الشهودية الحقيقية. فلا يمكن فهم دوافع الإمام الخميني وأهدافه من نضاله السياسي دون التأمل في مراحل تكامل شخصيته الروحية والمعنوية والعلمية.

لقد رأى العالم الكثير من العناصر التي ميّزت جهاده وثورته، إلا أن ما يميز ما قام به الإمام الخميني وما يميز ثورته عن سائر الثورات، ويجعلها متصلة بثورات الأنبياء، هو أنّ من تصدى للثورة الإسلامية في القرن العشرين لم يترك ـ على قول من رافقوه طوال فترة ما قبل النهضة حتى انطلاقها ومن ذلك الوقت حتى رحيله عن الدنيا ـ نافلة صلاة الليل والدعاء ليلة واحدة، ناهيك عن الفرائض والواجبات. إنّه ذلك الرجل الذي جلس يردُّ على أسئلة العشرات من الصحفيين والمصورين الذين اجتمعوا من انحاء العالم في آخر لقاء صحفي له في محل اقامته في (نوفل لوشاتو)[٣٩]. وما ان مرت بضع دقائق وحان موعد الصلاة، حتى قام ليؤدي صلاته غير مكترث لذلك الجمع.

وللوقوف على سرّ التأثير المميز لبيانات الإمام وكلامه في الاستحواذ على مخاطبيه والى الحد الذي يدفعهم إلى التضحية بأرواحهم ينبغي البحث في أصالة هذا الفكر. والحزم في الرأي والصدق الخالص معهم.

أن من اهم المزايا التي وسمت نهضة الامام الخميني: الاعلان عن مسارٍ في نضاله، اتخاذ مواقف واضحة والثبات عليها، والحزم في

التحرك نحو الأهداف، وهي الأمور التي أقر بها العدو والصديق.

ان دراسة البيانات والمواقف السياسية التي صدرت عن الامام خلال فترة النهضة التي قادها في مواجهة النظام الملكي وأمريكا ومقارنتها مع ما صدر عن بعض الشخصيات العلمائية والسياسية والأحزاب والتجمعات والتيارات السياسية الاخرى، تظهر بوضوح مدى ثبات الإمام على المضي نحو تحقيق اهدافه وعزمه الراسخ على مواصلة النهضة بالنسبة لمدعي القيادة والرئاسة الآخرين.

ان الوثائق التاريخية تدل بوضوح على كيفية نزول بعض الجماعات والأفراد من اعلام السياسة والدين في الانتفاضة التي وقعت بين الاعوام ١٩٦١ ـ ١٩٦٣م الى ميدان الاحداث وكيف انهم كانوا يتمسكون بأشد المواقف السياسية حدّةً، وكيف انهم ـ وبمحض تعرضهم لأول ردّ فعل من النظام الملكي ـ تراجعوا عن كل مواقفهم واختار البعض منهم الانزواء والسكوت الطويل الذي. استمر حتى أيام بلوغ الثورة ذروتها في عام ١٩٧٩ وانتصارها، كذلك فإن عدداً منهم أيضاً حاول الابتعاد لمسافة كبيرة عن المواقف التي اتخذها قائد النهضة واختاروا ـ وبدلاً من الجهاد والوقوف بوجه السياسات الاستعمارية الامريكية في ايران، ومعارضة النظام الملكي المستبد على اعتبار انه السبب الأساسي لتسليط الأجانب على البلاد ـ الأنشغال بالمسائل الجزئية المعاصرة ورفع الشعارات الفضفاضة المطالبة بحرية الانتخابات او تطبيق الدستور مثلاً.

ولا يخفى على المطلعين على احداث التاريخ الايراني المعاصر بأن رفع امثال تلك الشعارات في تلك الأيام لم تكن له نتيجة غير حرف المسار الجماهيري للنهضة عن مواجهة الأسباب الأصلية، لذلك نرى بأن دائرة الأمن (السافاك) بادرت الى ترسيخ تلك التوجهات وتشجيعها.

وفي هذا الوسط أصرَّ الإمام الخميني وانصاره على مواصلة مسيرتهم والثبات على مواقفهم. والمرابطة على مواضعهم رغم تعقيد الظروف والتحولات السياسية التي كان الواحد منها يكفي لأن يكون سبباً مقبولاً لتغيير المواقف واختيار العزلة والسكوت والتسليم أمام السلطة. وبذا فقد قدَّم الإمام وانصاره التضحيات واصروا على ما اعلنوه من المواقف الجهادية، الأمر الذي لم يكن يتحقق دون الثبات والاستقامة والايمان بالأسس والحقائق التي تسمو على مقتضيات الظروف السياسية والاجتماعية آنذاك.

أطلّ عام ١٣٤٢ ش(١٩٦٣م) ليقترن بتحريم مراسم الاحتفال بعيد النوروز (الربيع) وليصطبغ بدماء المظلومين التي أُريقت في الفيضية.

من جانب أصرّ الملك على تنفيذ الاصلاحات التي كانت تطالب بها أمريكا، ومن جانب آخر أصر الإمام الخميني على توعية الجماهير واستنهاضهم للوقوف بوجه التدخلات الأمريكية في الشؤون الداخلية والخيانات التي يرتكبها الملك.

في الثالث من نيسان ١٩٦٣، أبرق آية الله العظمى الحكيم من النجف إلى العديد من العلماء والمراجع في ايران يطالبهم بالهجرة الجماعية الى النجف الأشرف، موضحاً بأن الهدف من هذا الاقتراح هو الحفاظ على حياة العلماء وكيان الحوزات العلمية، وقد عبّر النظام الملكي ـ وعبر العديد من الممارسات ـ عن غضبه واستنكاره لدعم علماء النجف وكربلاء وآية الله الحكيم لنهضة العلماء في ايران، ومن اجل خلق جوٍ من الرعب والحؤول بين العلماء وبين الاجابة على برقية آية الله الحكيم، فقد بادر النظام الملكي الى ارسال افواجٍ من قوات الأمن الداخلي الى مدينة قم، كما ارسل في الوقت ذاته وفداً رسمياً أخذ على عاتقه نقل رسالة التهديد الملكية الى مراجع التقليد. وقد امتنع

الامام الخميني عن استقبال هذا الوفد. وقد اشار سماحة الامام الخميني الى هذه القضية في خطابه الذي ألقاه في (١٩٦٣/٥/٢) مشيراً الى الملك بكلمة «التافه» فقال: «ان هذا التافه، رئيس هذه الحكومة الخبيث، أرسل وفداً من الشرطة الى منازل المراجع طبعاً انا لم استقبلهم، وليتني فعلت، ليتني يومها سمحت لهم بدخول المنزل ثم هشمت أسنانهم! يرسل، الى منازل المراجع من يقول: ان الملك قد أمر بإرسال من يقوم بهدم بيوتكم وقتلكم وانتهاك أعراضكم اذا نبستم ببنت شفة في القضية الفلانية».

وقد ابرق الامام برسالة جوابية الى سماحة آية الله العظمى الحكيم غير عابئ بتلك التهديدات وأكّد في تلك البرقية على ان السفر الجماعي من قبل العلماء وإخلاء مواقعهم في الحوزة العلمية في قم أمر يتعارض مع المصلحة الاسلامية. كتب الامام في جانب من هذه البرقية يقول: «اننا سوف نؤدي تكليفنا الالهي ان شاء الله وسوف نوفّق لإحدى الحسنيين، إما قطع ايدي الخونة عن الاسلام والقرآن الكريم، او مجاورة رحمة الحق جلّ وعلا وانّي لا أرى الموت إلا سعادة والحياة مع الظالمين الا برما»[٤٠].

وفي بيانه الذي أصدره بتاريخ ٢ نيسان ١٩٦٣ بمناسبة اربعينية فاجعة الفيضية. أكدّ على وقوف العلماء والشعب الايراني الى جانب قادة الدول الاسلامية والدول العربية ضد اسرائيل الغاصبة. وأدان الاتفاقيات المبرمة بين الملك محمد رضا واسرائيل[٤١]. وبذا فقد اوضح ـ ومنذ الأيام الأولى لإنطلاق نهضته بأن النهضة الاسلامية في ايران ليست بمعزلٍ عن مصالح الأمة الاسلامية، وان نهضته انما كانت طلباً للاصلاح في كل العالم الاسلامي غير محدودة بحدود ايران الجغرافية. كتب الإمام الخميني في معرض رسالة وجهها الى العلماء

يقـول: «إن الخـطرالاســرائيلي علـى الاســلام وايران وشــيـك للـغــاية، فـالمعـاهـدة مـع اسـرائيل فـي مـقـابل الـدول الاسـلامـيـة امـا انهـا أبـرمـت أو انهـا علـى وشـك ذلـك... وبالسكوت والإعـتـزال سـنضـيّـع كـل شـيء، إنّ للاسـلام علينا حقاً، فعلى علمـاء الإسـلام والمتمسكين بالديانة المقدسة أن يؤدوا ما عليهم من دَين لدينهم في هذا الزمان الذي تتعرض فيه كل الجهود المضنية التي بذلها ذلك العظيم (ص) للزوال. لقد صممت على عدم التراجع حتى الزم هذا النظام الفاسد حدّه...»[٤٢].

انتفاضة الخامس من حزيران

وفي حزيران عام ١٩٦٣م أطلّ شهر محرم الحرام فبادر الإمام الخميني لتحقيق اقصى استفادة من هذه الفرصة في تحريك الجماهير ودفعها لمواجهة النظام الملكي المستبد. وفي (عاشوراء) انطلق مئات الآلاف من المتظاهرين في طهران وهم يحملون صور الإمام، وتجمعوا امام (قصر المرمر) (محل إقامة الملك) ورددوا لأول مرة في العاصمة شعار «الموت للمستبد» ثم تلتها مظاهرات اخرى في الأيام اللاحقة، تجمع فيها المتظاهرون في الجامعة والسوق المركزي وفي مقابل السفارة البريطانية معلنين عن دعمهم لنهضة الإمام.

وفي عصر يوم عاشوراء لعام ١٣٨٣ق (٣ حزيران ١٩٦٣م) (القى الإمام في المدرسة الفيضية خطابه التاريخي والذي كان بداية لقيام الخامس من حزيران. وقد خصص سماحته القسم الأعظم من خطابه لاستعراض المصائب التي الحقتها العائلة البهلوية بالبلاد، وفضح العلاقات السرية بين الملك واسرائيل. وفي هذا الخطاب كان الإمام يصيح مخاطباً الملك بالقول: «يا سيد! إني انصحك! يا جناب الملك! يا حضرة الملك! اني انصحك، فلتكفَّ عن ممارساتك هذه ! انهم يتسغفلونك يا سيد. ولست ارغب أن يبادر الجميع للتعبير عن شكرهم لله في اليوم الذي يتقرر فيه أن تُنحى عن مقامك... فإذا كانوا يلقنونك ما تقول، فلتفكر قليلاً... واستمع لنصيحتي... فما هي

العلاقة بين الملك واسرائيل حتى تطالب مديرية الأمن بعدم التعرض لاسرائيل... فهل إنّ الملك اسرائيلي»(٤٣).

لقد وقع خطاب الإمام كالمطرقة على روح الملك. وقد كان ما اصيب به من جنون القدرة والتكبر الفرعوني حديثاً للقريب والبعيد. لذا فقد اصدر اوامره بكم صوت الثورة هذا، فبادرت قوات أمنه أولاً لاعتقال جمع من أنصار الإمام في ليلة الرابع من حزيران، ثم وفي فجر يوم الخامس من حزيران داهم المئات من رجال الكومندو الذين تمّ ارسالهم من طهران، منزل الإمام الخميني لاعتقاله في الوقت الذي كان يؤدي فيه نافلة صلاة الليل وتمّ نقله على الفور الى طهران ليودع في معتقل (باشگاه افسران) نادي الضباط ثم نقل في غروب ذلك اليوم الى (سجن القصر).

وبسرعة انتشر خبر اعتقال الإمام في مدينة قم وضواحيها، فانطلق الرجال والنساء من القرى من مدينة قم نحو منزل قائدهم وهم يرددون شعار «الموت او الخميني» الذي ملأ ارجاء المدينة وقد بلغ الغضب الشعبي حداً دفع رجال الشرطة في البداية نحو الفرار الا أنهم عادوا لمواجهة الجماهير بعد ان تسلحوا بمختلف التجهيزات العسكرية وبعد أن استقدمت قوات دعم عسكرية من المعسكرات الواقعة على اطراف المدينة.

وبينما كانت جموع الجماهير تغادر حرم حضرة المعصومة (عليها السلام) فتحت قوات النظام التي استقرت خارج الحرم المطهر نيران اسلحتها الأوتوماتيكية، ولم تمض عدة ساعات على المواجهة بين الجماهير وقوات النظام، حتى دار حمام من الدم في المدينة، ولم يكتف النظام بذلك، فقد ارسلت عدة طائرات مقاتلة للتحليق في سماء المدينة واختراق حاجز الصوت لادخال الرعب والهلع على قلوب

الجماهير وتمّ مواجهة الانتفاضة بالسلاح للسيطرة على الأوضاع.

بعدها بادرت العجلات العسكرية لجمع أجساد الشهداء والجرحى من الشوارع والأزقة لنقلهم بسرعة الى أماكن غير معلومة. وفي غروب ذلك اليوم كانت مدينة قم تعيش حالة النكبة والحزن.

في صباح يوم الخامس من حزيران كان خبر اعتقال الإمام قد وصل الى طهران، مشهد، شيراز وسائر المدن مما فجر أوضاعاً مشابهة في تلك المدن. فقد انطلقت مجاميع الناس من اهالي (ورامين) والمناطق السكنية في ضواحي طهران نحو العاصمة، ولما كانت دبابات النظام وآلياته وقواته المسلحة قد احاطت بالعاصمة للحيلولة دون وصول المعارضين اليها. فقد اشتبكت تلك القوات مع تلك المجاميع في تقاطع (وارمين) مما ادى الى سقوط العديد من القتلى والجرحى من الأهالي.

كذلك فإن تجمعاً كبيراً كان قد حصل في السوق المركزي في طهران وفي وسط المدينة مردداً شعار «الموت أو الخميني» ثم توجه الجمع نحو قصر الملك كما انطلقت سيول الجماهير من جنوب مدينة طهران متوجهة نحو مركز العاصمة وكان بينهم طيب الحاج الرضائي والحاج اسماعيل الرضائي[٤٤]. وهما اثنان من فتوات منطقة جنوب طهران ـ مع مجموعتهم ـ وقد اعتقل هذين الاخوين فيما بعد وفي ٢ تشرين الثاني١٩٦٣م تم اعدامهما ونفي انصارهما الى مدينة بندر عباس.

وقد كشف النديم الدائم للملك (العميد حسين فردوست)[٤٥] في مذكراته، النقاب عن استخدام افضل الخبرات الأمنية والسياسية الامريكية آنذاك للقضاء على الانتفاضة، وكذلك على الاضطراب الذي اصاب الملك والبلاد وقادة الجيش والسافاك في تلك الساعات، وأشار

الى وخامة الأوضاع فكتب يقول: «قلت لأويسي (قائد فرقة الحرس الخاص): بأن السبيل الوحيد لحلّ هذه المعضلة هو ان تقوم بتجنيد جميع الطباخين والخدام وعمال التنظيف والحراس وغيرهم في فرقتك...»

وكتب اسد الله علم رئيس الوزراء في مذكراته يصف ما خاطب به الملك ذلك اليوم فقال: «اذا ما تراجعنا فإن الفوضى ستعم ايران بأسرها وسوف يتعرض نظامنا للسقوط المذلّ وفي مثل هذه الحالة فاني اعرض في خدمتكم بأننا يجب ان نصرّ على مواجهة هذا الموقف حتى وإن تطلّب إنقاذ جلالتكم تنحيتي عن موقع المسؤولية والاعلان عن استنكاركم لما فعلت، ثم الحكم عليّ بالاعدام باعتبار أنّي المسبب لما حدث!»[٤٦].

على أية حال، فقد أُعلنت الأحكام العرفية في الخامس من حزيران في كلٍ من طهران وقم، وعلى الرغم من ذلك فإن تظاهرات واسعة انطلقت في الأيام اللاحقة وان كانت تنتهي كل مرة بالمواجهة الدامية.

لقد كان الخامس من حزيران ١٩٦٣م يوم انطلاقة ثورة الشعب الايراني الاسلامية.

بعد تسعة عشر يوماً من الاعتقال في سجن القصر، تم نقل الإمام الخميني الى معتقله الجديد في (معسكر عشرت آبد).

بعد يومين من انتفاضة الخامس من حزيران، وصف الملك ذلك القيام الشعبي بأنه مصيبة وعمل وحشي نجم عن اتحاد الرجعية السوداء والحمراء، وسعى لربط ما حدث بالخارج وصرح بأنّ هناك أيادٍ حركت الأحداث من أمثال جمال عبد الناصر[٤٧]. ولم يخف على احدٍ حينها تهافت الادعاءات التي اطلقها الملك. وعلى العكس تماماً من

ادعاءاته تلك فإن حزب تودة وسائر الشيوعيين الايرانيين قد أصرّوا في كتاباتهم ومواقفهم المعلنة على اعادة وتكرار وجهة نظر موسكو حول أحداث الخامس من حزيران والتي كانت تصرح بها من خلال الإذاعة والصحف الصادرة في الاتحاد السوفياتي والمتمثلة في اعتبار تلك الانتفاضة حركة رجعية عمياء للوقوف بوجه الاصلاحات التقدمية التي كان الملك يرغب في تنفيذها[٤٨].

كذلك فإن أحداً لم يصدق الإدعاء الكاذب للملك والذي أراد من خلاله توجيه الاتهام الى جمال عبد الناصر رغم سعي السافاك ودسائسه التي حاكها في هذا السبيل. فالاستقلال التام لانتفاضة الخامس من حزيران ظهر بجلاءٍ ووضوح للجميع الى درجة لم تتمكن معه امثال هذه الحصّيات الصغيرة من توجيه ادنى ضربة لها.

وباعتقال قائد النهضة وممارسة القتل الوحشي بحق الجماهير في الخامس من حزيران عام ١٩٦٣م فإن النهضة تكون قد أجهضت في الظاهر.

وفي محبسه امتنع الإمام الخميني عن الرد على أسئلة ضباط التحقيق، معلناً بوضوح وشجاعة بأنّ الهيئة الحاكمة في ايران والقوة القضائية تفتقد بأجمعها إلى الرصيد القانوني والصلاحية الرسمية وفي زنزانته الانفرادية في (معسكر عشرت آباد) لم يفرط الإمام الخميني بالفرصة التي سنحت له فراح يكثر من مطالعة كتب التاريخ المعاصر وما كتب عن الحركة الدستورية في ايران، وبعض ما كتب عن (جواهر لآل نهرو).

بعد اعتقال سماحته ايضاً انطلقت الأصوات المعارضة الواسعة من قبل علماء ومختلف طبقات الشعب ومن مختلف انحاء البلاد مطالبة باطلاق سراح قائدها. فقام جمع من العلماء الأعلام بالسفر

الى طهران والاعلان عن معارضتهم لاعتقال الإمام. وكان توقع اقدام النظام على تصفية الإمام يثير القلق بين الجماهير ويدفعها لاظهار ردّ فعل قوي. عموماً فقد تعرض العلماء الذين تجمعوا في طهران لهجوم أزلام السافاك، فتمَّ اعتقالهم وايداعهم السجن لمدة من الزمن.

وعندما رأى الملك بأن انتفاضة الخامس من حزيران وجهت ضربة للاستقرار والضمانات التي اعطاها لأمريكا، حاول ان يقلل من أهمية تلك الإنتفاضة ويُظهر بأنَّ الأوضاع عادية وتحت سيطرته. من جانب آخر كان الغضب الجماهيري نتيجة استمرار اعتقال الإمام في تنامٍ مضطرد، عليه اضطر النظام في الثاني من آب ١٩٦٣م الى نقل الإمام من معتقله ليوضع تحت الاقامة الجبرية في منزل تحاصره قوات الأمن في (منطقة الداودية) في طهران، وبمجرد اطلاع اهالي طهران على انتقال القائد، توجهوا نحو منطقة الداودية، ولم تمرّ عدة ساعات من تجمع الأهالي حتى اضطر النظام الى تفريق الجموع ومحاصرة المنزل بشكل علني بواسطة رجال الشرطة.

في مساء الثاني من آب نشرت صحف النظام خبراً مفتعلاً أشارت فيه ابرام اتفاق بين الإمام الخميني والمسؤولين في الحكومة، ولم يكن ممكناً بالنسبة للإمام الخميني الاطلاع على الخبر أو تكذيبه، غير ان العلماء الاعلام كذبوا من خلال بيانات اصدروها آنئذٍ وقوع أيّ اتفاق أو تفاهم بين الإمام والنظام وقد تميَّز البيان الذي أصدره آية الله المرعشي النجفي(ره) بحدّة اللهجة والتأكيد على فضح أساليب النظام مما جعله من البيانات البالغة التأثير.

بعد ذلك تم نقل الإمام مخفوراً الى منزل في محلة قيطرية في طهران وبقي تحت الاقامة الجبرية هناك الى يوم اطلاق سراحه في ٧ نيسان ١٩٦٤م.

وفي الثلث الأول من عـام ١٩٦٤ تصـور النظام بـأنّ الشـدة التي واجه بها الجماهير في حادثة الخامس من حزيران، قد أدّت الى تنبيه الجماهير ودفعت المجاهدين إلى إختيار جانب السكوت، لذا فقد حاول النظام الايحاء بأن وقائع العام الماضي قد تم نسيانها.

وفي مسـاء السـابع من نيسـان ١٩٦٤م تم ـ وبلا اطلاع سـابق ـ اطلاق سـراح الإمام الخميني ونقله الى قم وبمحض اطلاع الجماهير الى الأمر عمت مظاهر الفرح مدينة قم بأسرها وأقيمت الاحتفالات البهيجة في المدرسة الفيضية وسائر الاماكن ودامت عدة أيام.

ولم تمر ثلاثة أيام على اطلاق سراح الإمـام الخـمـيني حتى بادر سماحته الى ابطال كافة التصورات والدعايات التي تمسك بها النظام وذلك من خلال خطابه الثوري الذي القاه فور اطلاق سراحه، فقال سماحته: «لا معنى للاحتفال اليوم، فما دام للشعب عمر يحياه، فإنه غارق في حزنه على مصيبة الخامس من حزيران». وردّ على ما نشرته الصحف الأجيرة من أكاذيب فقال: «كتبوا في مقالة صحفية ان تفاهماً قد حصل مع علماء الدين، وان علماء الدين يؤيدون ثورة الملك والشـعب البـيـضـاء. أيّة ثورة هذه؟ وأيّ شـعب؟... ان الخـمـيني لن يساومهم حتى وان أعدموه... ولا يمكن تنفيذ الاصلاحات تحت أسنّة الحراب»(٤٩).

ولما كان السافاك قد اقدم على مؤامرة بث الفرقة وايجاد شرخ في صفوف المجاهدين في الحوزة العلمية ـ وذلك من خلال ايجاد الخلافات بين العلماء والمراجع ـ تعرض الإمام الخميني في خطابه الذي ألقاه في المسجد الأعظم في قم بتاريخ ١٥ نيسان ١٩٦٤م الى هذه المسألة هادفاً إفشال تلك المؤامرة فقال: «اذا وجه أحدهم إهانةً لي، بل اذا لطمني على وجهي، أو ضرب احد اولادي على وجهه، اقسم

بالله تعالى بأني لا أرضى أن يهبّ أحدٌ لمواجهته والدفاع عني، لست ارضى، انني اعلم بأن البعض يهدفون ـ اما عمداً أو جهلاً منهم ـ الى بث الفرقة في هذا المجتمع... انني ومن موقعي هذا أقبل ايادي جميع المراجع، من كان منهم هنا أو في النجف أو في سائر البلاد، مشهد، طهران، واينما كانوا اني اقبل ايادي جميع علماء الاسلام. ان هدفنا اسمى من هذه الامور اني امدّ يد الاخوّة الى جميع الشعوب الاسلامية، والى جميع المسلمين في مشارق الارض ومغاربها»[٥٠].

وفي هذا الخطاب كشف الإمام النقاب عن العلاقات السريّة بين الملك واسرائيل وصاح بأعلى صوته: «أيتها الجماهير! أيّها العالم! اعلموا بأنّ شعبنا يخالف أيّ اتفاق مع اسرائيل، إنّ من يقوم بذلك هو ليس من شعبنا، ليس علماءنا، فإن ديننا يمنعنا من ابرام أيّ اتفاق مع اعداء الاسلام». وفي هذا الخطاب ايضاً عبر سماحته عن الملك بكلمة «التافه» فقال موجهاً الخطاب اليه: «لا تشتبهوا! فحتى لو داهنكم الخميني فإن الأمة الإسلامية لن تداهنكم. لا تشتبهوا! فنحن في نفس خندقنا الذي كنا فيه، نعارض كل اللوائح المخالفة للإسلام، ونقف بوجه كل تجبركم... ان شعبنا المجيد مستاءٌ غاية الاستياء من اسرائيل وعملائها ومن الحكومات التي تصالح اسرائيل»[٥١] وفي الذكرى السنوية الاولى لانتفاضة الخامس من حزيران اصدر الإمام وسائر المراجع بياناً مشتركاً، كما صدرت بيانات مستقلة عن الحوزات العلمية تم فيها تجليل ذكرى الانتفاضة واعلن يوم ذكراها يوم حداد عام[٥٢].

وفي شهر تموز عام ١٩٦٤ تم اعتقال المجاهد الكبير آية الله الطالقاني[٥٣] والمهندس مهدي البازركان[٥٤] وعدد من قادة تجمع (نهضة الحرية في إيران) الذين اعلنوا عن دعمهم لانتفاضة الخامس

من حزيران وقُدموا الى محكمة عسكرية وحكم عليهم بالسجن لمدد طويلة فأصدر الإمام الخميني بياناً حذّر فيه الجماهير فقال: «إنَّ على المواطنين ان يتوقعوا أياماً صعبة»[٥٥]. كما اقترح الإمام الخميني ان يعقد علماء الدين جلسات اسبوعية منتظمة لمتابعة أهداف النهضة وهداية القيام الشعبي.

مواجهة «لائحة الحصانة القضائية»

وفي جانب آخر، كان الملك ـ وتحت الضغط الامريكي ـ مصمماً على تنفيذ الاصلاحات التي اعدت في البيت الأبيض متصوراً ان المذابح والمعتقلات والمحاكمات، قد أدت الى إزاحة ثقل قوات المقاومة من طريقه. ولما كانت الاصلاحات يجب ان تؤدي الى تحقيق النفوذ الشامل لأمريكا في البلاد وتمكنها من الايفاد المباشر لخبرائها للحضور في مختلف المجالات الاقتصادية والعسكرية وفي مختلف المواقع الحساسة في النظام الملكي، لذا وجب ان يكون الشرط الاول لتحقيق ذلك هو ازالة الموانع الحقوقية والقانونية امام حضور القوات الامريكية في ايران وضمان أمنها واطلاق العنان لها.

وبذا تم احياء نظام الحصانة (الحصانة السياسية والدبلوماسية والقضائية للمواطنين الامريكان في ايران). فكان اقرار لائحة الحصانة من قبل مجلسي الشيوخ والشورى رصاصة الخلاص التي اطلقت على استقلال ايران الذي كان يعيش مقيداً مضطهداً.

ومن أجل تنفيذ ذلك بادر النظام الى مواجهة المجاهدين بوحشية وإلقاء العديد منهم في السجون أو نفيهم، وقد أدت ممارسات الحكومة البوليسية للملك حبس الأنفاس في الصدور ومنع أيّ أحد من المعارضة أو المخالفة.

ومرةً أخرى ـ وفي هذا الجو المضطرب ـ صمم الإمام على أداء

رسالته التاريخية، فانبرى للقيام من جديد، وللبدء في ذلك اختار الإمام الخميني يوم السادس والعشرين من تشرين الاول من ذلك العام (وهو يوم ميلاد الملك، الذي اقترن باقامة الاحتفالات المفروضة وإنفاق الأموال الطائلة) فأرسل الرسائل ونشر البيانات التي حثّت العلماء في مختلف المدن على التجمع في قم. ومن اجل إخافة الإمام الخميني وثنيه عن عزمه على إلقاء خطابٍ في ذلك اليوم، قام الملك بإرسال مبعوثه الخاص الى قم، غير أن الإمام رفض استقباله، فقام المبعوث بإبلاغ رسالة الملك الى السيد مصطفى نجل الإمام الأكبر.

وفي اليوم الموعود، ودون الاكتراث بالتهديدات، ألقى الإمام الخميني خطابه في حشد كبير من علماء الدين وأهالي مدينة قم وسائر المدن. كان ذلك الخطاب التاريخي - في الحقيقة - محاكمة للهيئة الحاكمة في امريكا على تدخلاتها غير القانونية في شؤون البلد الاسلامي ايران، وفضحاً لخيانات الملك، وقد ابتدأ الإمام وبصلابة لا توصف خطابه بهذه الكلمات: «... لقد سُحقت عزتنا لقد انهارت عظمة ايران ومجدها... لقد سحقت عظمة الجيش الايراني. فقد طرحوا على المجلس قانوناً جديداً، يُلحقنا بمعاهدة فينا... فيكون لجميع المستشارين العسكريين وعوائلهم، وموظفيهم الفنيين، وموظفيهم الاداريين وخدامهم... حصانة اذا ارتكبوا أيّة جناية في ايران... إني أحذركم أيها الجيش الايراني اني احذركم... ايها السياسيون الايرانيون، اني احذركم... أقسم بالله مأثوم من لا يصرخ... والله ان من لا يصيح يرتكب كبيرةً... يا قادة الاسلام، انقذوا الاسلام. يا علماء النجف انقذوا الاسلام... يا علماء قم انقذوا الاسلام».

وفي هذا الخطاب بالذات قال الإمام الخميني مقولته المشهورة: «... امريكا أسوأ من انجلترا.. انجلترا أسوأ من أمريكا... والاتحاد

السوفياتي أسوأ من كليهما، بعضهم أسوأ من بعض، بعضهم أخبث من بعض، غير أننا اليوم مضطرون للوقوف بوجه هؤلاء الخبثاء، بوجه امريكا... فليعلم الرئيس الامريكي بأنه أشد الناس بغضاً في أعين شعبنا... كل مصائبنا بسبب امريكا، كل مصائبنا بسبب اسرائيل، واسرائيل ربيبة أمريكا»(٥٦).

وفي ذات اليوم (٢٦ تشرين الأول ١٩٦٤م) أصدر الإمام الخميني بياناً ثورياً كتب فيه: «ليعلم العالم بأن كل المصائب والمشكلات التي يتعرض لها الشعب الإيراني والشعوب الاسلامية، إنما هي من الأجانب ومن امريكا. ان الشعوب الاسلامية مستاءة من الأجانب عموماً ومن أمريكا خصوصاً... امريكا التي تدعم اسرائيل وانصارها، امريكا التي تجهّز اسرائيل بالقوة والقدرة لتشرّد العرب المسلمين»(٥٧).

وبذا فقد أثمرت جهود الإمام الخميني لفضح مؤامرة الحصانة، في دفع ايران الى حافة الثورة من جديد في تشرين الأول من عام ١٩٦٤م، غير أن الملك بادر وبسرعة لمواجهة الموقف مستفيداً من تجربته في انتفاضة الخامس من حزيران، هذا ومن جانب آخر كان العديد من العناصر الدينية والسياسية البارزة والمدافعة عن نهضة الإمام يقبعون في تلك الأيام في السجن أو المنفى. كذلك فإن عدداً من مراجع التقليد والعلماء الاعلام ممن ساهموا في أحداث الخامس من حزيران كانوا قد انسحبوا من الميدان تدريجياً والتزموا الصمت يدفعهم الى ذلك الحفاظ على مصالحهم، الأمر الذي استمر أيضاً الى عام ١٩٧٩سنة انتصار الثورة.

من جانب آخر وبناءً على الوثائق التاريخية التي تمّ نشرها بعد انتصلر الثورة الاسلامية، فإن البعض من امثال السيد شريعتمداري، كانوا يسعون في تلك الأيام الى دفع بعض انصارهم ومؤيديهم الى

انتحاء جانب الصمت وعدم اعلان الدعم لدعوة الإمام الخميني مستفيدين من نفوذهم ومواقعهم المميزة لتحقيق ذلك.

وبذا يكون الخطر الأساسي الذي هدّد النظام الملكي هو وجود الإمام الخميني، الذي لم تنفع أية حيلة لإجباره على السكوت فهو الآن قائد محبوب ومعروف لجميع المجاهدين من الشعب الايراني، وهو مرجع تقليد للكثير من المسلمين، ولما كانت التجربة السابقة قد أثبتت بأن إعتقاله في داخل البلاد سيضاعف من مشاكل النظام مئات المرات، ولما كان الاقدام على تصفيته جسدياً سيؤدي الى تفجير اوضاعٍ لا يمكن السيطرة عليها، اتخذ النظام قراراً بنفيه الى خارج البلاد.

نفي الامام الى تركيا

وفي فجر الرابع من تشرين الثاني من عام ١٩٦٤م داهم رجال الكوماندو الموفدون من طهران منزل الإمام الخميني في قم بعد محاصرته. والملفت أنّ سماحته كان يؤدي مراسم المناجاة وصلاة الليل تماماً كما كان حاله لدى اعتقاله في العام الماضي. وتمّ اعتقال الإمام ونقله مباشرة الى مطار (مهرآباد الدولي). حيث كانت طائرة عسكرية بانتظاره فأقلته مخفوراً من قبل رجال الأمن والشرطة الى (أنقرة) وفي عصر ذات اليوم نشر السافاك في الصحف المحلية خبر نفي الإمام بتهمة التآمر على النظام!

ورغم الجو الخانق الذي كان سائداً آنذاك فقد انطلقت موجات من الاحتجاجات. فقد خرجت مظاهرات في السوق المركزي في طهران، تمّ تعطيل الحوزة لدروسها لمدة طويلة، وارسلت الطوامير والرسائل الى المؤسسات الدولية والى مراجع التقليد.

وكان آية الله الحاج مصطفى الخميني قد اعتقل في نفس يوم اعتقال الإمام وأودع السجن وفي الثالث من كانون الثاني عام ١٩٦٥م تم نفيه إثر والده الى تركيا أيضاً وقد كانت فترة نفي الإمام الى تركيا عصيبة للغاية. فقد منع الإمام هناك حتى من ارتداء الزي الروحاني، غير أن أياً من تلك الضغوط الجسدية والروحية لم تتمكن من اجبار الإمام على الاستسلام.

كان اول محل لإقامة الإمام في تركيا هو فندق (بولوار بالاس) في (أنقرة) (الغرفة رقم ٥١٤ من الطابق الرابع) ولأجل اخفاء محل اقامة الإمام، تمّ في اليوم التالي نقله الى شارع اتاتورك. ثم في ١٢ تشرين الثاني عام ١٩٦٤م ـ ولأجل إزواءه وقطع أيّ نوع من الارتباط معه ـ تم نقله الى مدينة (بورسا) الواقعة على بعد ٤٦ كلم غرب أنقرة.

وفي تلك المدّة سُلب الإمام امكانية أي تحرك سياسي ووضع تحت مراقبة مباشرة وشديدة من قبل رجال أمن ايرانيين تم ارسالهم لهذا الغرض وبالتعاون والتنسيق مع قوات الأمن التركية.

دامت إقامة الإمام في تركيا مدة احد عشر شهراً، قام النظام الملكي خلالها ـ وبسرعة منقطعة النظير ـ بتصفية بقايا المقاومة في ايران، وبادر الى تنفيذ الاصلاحات التي رغبت امريكا في تنفيذها في فترة غياب الإمام.

وقد اضطر النظام ـ واستجابة لبعض الضغوط التي مارستها الجماهير وبعض العلماء ـ الى السماح بسفر بعض الممثلين عن الجماهير والعلماء للاطمئنان على صحة الإمام وسلامته.

وخلال مدة إقامته في تركيا أشار الإمام ومن خلال الرسائل التي بعث بها الى أقاربه ومؤيديه وعلماء الحوزة ـ تلميحاً واشارة وعبر التماس الدعاء ـ الى ثباته على مواقفه الجهادية، كما طلب ارسال بعض كتب الأدعية والكتب الفقهية اليه.

كانت فترة الاقامة الاجبارية في (تركيا) فرصة ثمينة للامام اغتنمها في تدوين كتابه القيم (تحرير الوسيلة). وهو الكتاب الحاوي لفتاوى الامام الفقهية، ذكر فيها ـ ولأول مرة في ذلك الوقت ـ مسائل تتعلق بأحكام الجهاد والدفاع والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والمسائل العملية الهامة الأخرى، الأمور التي كانت حتى ذلك الوقت

منسيةً لا يتعرض لذكرها احد.

من الجدير بالذكر أن آراء الإمام الاجتهادية في الفقه والأصول كانت قد نشرت ـ ومنذ سنوات قبل رحيل آية الله البروجردي ـ في العديد من الآثار والمؤلفات التي نشرت عن الامام الخميني، وسوف نشير ـ في هذه المقالة ـ الى تلك الآثار والمؤلفات.

النفي المجدد من تركيا الى العراق

في الخامس من تشرين الأول من عام ١٩٦٥م، تم نقل الإمام الخميني بمعيّة نجله آية الله الحاج مصطفى الخميني من تركيا الى منفاهما الجديد في العراق. ولا يسعنا في هذا المختصر التعرض بتفصيل الى علل واسباب تغيير محل منفى الإمام الخميني. ولكن نشير باقتضاب الى انها تتركز فيما يلي: الضغوط التي مارسها المتدينون والحوزات العلمية في داخل البلاد، والمساعي والتظاهرات التي قام بها المسلمون في خارج البلاد من اجل اطلاق سراح الإمام، سعي النظام الملكي لاظهار الاوضاع بالمظهر العادي والاشارة الى قدرة وثبات نظامه لجلب المزيد من الدعم الامريكي لنظامه، المشاكل الامنية المتفاقمة في تركيا وتزايد الضغوط الداخلية من قبل الاسلاميين على الحكومة التركية، واهم من كل ذلك تصور النظام الملكي بأن الهدوء وعدم وجود الرغبة في التدخل في الأمور السياسية والذي كان يسود الحوزة العلمية في النجف الأشرف، ووضع النظام الحاكم في بغداد ستصبح كلها حواجز كبيرة تحدُّ من فعاليات الإمام الخميني.

بعد وصوله الى بغداد توجه الإمام الخميني لزيارة مراقد الأئمة الأطهار في الكاظميين وسامراء وكربلاء، ثم سافر بعد اسبوع واحد

الى محل اقامته الجديد في مدينة النجف الأشرف.

وقد أثبت الإمام الخميني، منذ بداية وجوده في العراق ومن خلال لقائه المقتضب مع ممثل الرئيس العراقي آنذاك (عبد السلام عارف) ورفضه الاقتراح القاضي بعقده مؤتمر صحفي وتلفزيوني، بأنه ليس ذلك الشخص الذي يرضى بأن يجعل من أصالة ثورته الالهية ثمناً للمصالحة بين نظامي بغداد وطهران.

وقد بقي هذا المنحى من ـ السير المستقيم ـ صفة تصف منهج الإمام طوال فترة اقامته في العراق، وبذا فقد أثبت الإمام الخميني بأنه أحد أندر القادة السياسيين في العالم ممن لم يقبلوا ـ وهم في أشدّ حالات التعرض للضغط والمشكلات ـ بالدخول في المهاترات السياسية المتعارفة والمساومة على اهدافه.

لقد كان يكفي ـ بعد ظهور المناوشات السياسية بين حكومتي بغداد وطهران ـ أن يعطي الإمام الخميني موافقته المبدئية حتى تنهال عليه انواع الامكانات لتوظيفها في مواجهة النظام الملكي الايراني، غير أن الإمام لم يمتنع عن الاقدام على ذلك وحسب، وانما كان يقف في تلك المواطن على جبهتين لممارسة دوره الجهادي، حتى ان الأمر قد بلغ في عدة مرات حدًّ المواجهة والقيام ضد النظام الحاكم في بغداد ايضاً.

وبلا شك فلو لم يستخدم الإمام الخميني ذكاءه وحيطته لكادت الثورة الاسلامية أن تسير منذ ذلك الوقت في الطريق الذي طوته غالبية الحركات والجبهات والأحزاب السياسية الايرانية عدّة مرات، والذي لم ينتهِ بها الا إلى الارتباط والخذلان.

إنّ الفترة الطويلة ـ والتي ناهزت الثلاثة عشر عاماً ـ التي امضاها الإمام الخميني في منفاه في النجف الأشرف بدأت في ظروفٍ ـ وإن

كانت ظاهراً تخلو من الضغوط والقيود المباشرة التي تعرض لها في ايران وتركيا ـ إلا أنّ المعارضات والتحبيطات والكلام الجارح الذي انطلق من العلماء القشريين وأهل الدنيا المتخفين في لباس أهل الدين لا من جبهة العدو كانت واسعة ومؤلمة الى درجة جعلت الإمام يتحدث ـ رغم ما عرف عنه من صبر وحلم ـ عن ظروف الجهاد العصيبة في تلك السنوات بمرارة بالغة كلما ذكرها.

لكنّ أيّاً من تلك المصائب والمصاعب لم تستطع ثنيه عن مواصلة الطريق التي اختارها بوعي وادراك.

كان الإمام قد أدرك مسبقاً بأن الحديث عن الجهاد والدعوة للقيام في ذلك الجو عملٌ لا جدوى منه. فقد كان يتوجب عليه البدء من نفس النقطة التي ابتدأ منها في سنوات ما قبل انتفاضة الخامس من حزيران في ايران والحوزة العلمية في قم، بمعنى البدء بالاصلاح والتغيير التدريجي للظروف وتربية وتعليم جيل يمكنه حمل رسالته.

ومن هذا المنطلق شرع الإمام بتدريس خارج الفقه في مسجد الشيخ الانصاري في تشرين الثاني عام ١٩٦٥م رغم الجهود المغرضة التي بُذلت من أجل ثنيه عن ذلك الأمر الذي استمر حتى فترةٍ ما قبل سفره الى باريس.

وقد أدت المباني المتقنة للإمام في الفقه والأصول، وتسلطه على مختلف فنون واقسام المعارف الاسلامية الى جعل درسه وحوزته من أبرز الحوزات الدراسية في النجف الأشرف كماً وكيفاً وبعد مدة قصيرة ورغم ما بذله الرجعيون من جهود مثبطة محبطة. فقد حضر درسه الطلبة الايرانيون، الباكستانيون، العراقيون، الأفغان، الهنود والخليجيون وغيرهم لينتهلوا من نبع علومه المغداق. وقد رغب أنصار الإمام ومحبوه ممن كانوا في ايران في الهجرة الجماعية الى النجف

الأشرف، غير أن توصيات الإمام الخميني والخاصة بلزوم الثبات وحفظ الحوزات العلمية في ايران منعتهم من تنفيذ رغبتهم، وان كان العديد من عاشقي الإمام الخميني قد انطلقوا نحو النجف الأشرف ليساهموا في تنشيط مجمع الثوريين المعتقدين بنهج الإمام. والذين حملوا على عواتقهم فيما بعد مسؤولية التبليغ برسالة الإمام في سنوات الثورة فيما بعد.

ومنذ وصوله الى النجف الأشرف لم يقطع الإمام الخميني ارتباطه بالمجاهدين في داخل ايران، فقد اتخذ من المبعوثين والرسائل وسيلة لحفظ ارتباطه ذاك. وقد حرص على تضمين رسائله، التوصيات القيّمة حول ضرورة الثبات على مواصلة النهضة لتحقيق اهداف انتفاضة الخامس من حزيران. والعجيب ان الكثير من الرسائل التي كان الإمام الخميني يرسلها كانت تتضمن الإشارة الى قرب وقوع إنفجار عظيم على المستوى السياسي والاجتماعي في ايران، ومطالبة المجتمع العلمائي الايراني باعداد العدّة لتحمل مسؤولياته في هداية المجتمع في المستقبل، في وقت كانت ظواهر الأمور تشير الى انعدام الأمل بتغيّر الظروف السياسية والاجتماعية، وفي حال كان النظام الملكي يبدو فيها اكثر اقتداراً نتيجة قضائه على جميع جيوب المعارضة الشعبية.

وبنفي الإمام الخميني وممارسة القمع والاضطهاد الشديدين بحق المعارضة، ابتدأ أسوأ فصول حكومة الملك البوليسية. فقد تحول (السافاك) الى وسيلة لممارسة القدرة الملكية المطلقة، حيث بلغ الأمر حدّاً جُعل توظيف أصغر موظف في أبعد نقطة من البلاد مرتبطاً بموافقة جهاز السافاك. ولم يبق في هذا العهد من السلطات الثلاث

الا اسماءها، فقد كان الملك وعدد من حواشي البلاط وازلامه من الرجال والنساء هم المسؤولون عن كل نشاطات البلاد. وإن كانت اعترافات الملك ـ التي سطرها في آخر كتاب أصدره واللقاءات التي أجريت معه ـ وما كتبه اقرباؤه والمنسوبون اليه من موظفي وحواشي البلاط ومن امراء الجيش واقطاب النظام الآخرين والتي نشرت بعد سقوط النظام الملكي في ايران، وكذا الوثائق التي تمت مصادرتها من السفارة الامريكية في ايران، تشير كلها ـ وبما لا يقبل الشك ـ الى ان الملك والبلاط ايضاً لم يكونا سوى آلاتٍ مسلوبة الإرادة لا غير، فقيادة الأمور وما كان يصدر عن البلاط والنظام الملكي، حتى تعيين الوزراء وقادة الجيش وتنظيم اللوائح المهمة كان يتم بواسطة السفارة الامريكية ـ والانجليزية أحياناً ـ ونكتفي هنا بالإشارة الى مقطعين مما كتبه الملك للتدليل على ذلك، كتب محمد رضا يقول: «... ان سفراء انجلترا وامريكا كانا يؤكدان لنا في كل لقاء بأنهم يدعموننا، وخلال خريف وشتاء ١٩٧٨ ـ ١٩٧٩م، شجعونا كثيراً على ايجاد جو سياسي مفتوح... غالباً ما كنت استقبل السياسيين أو المبعوثين الامريكان، وكانوا يشجعونني على الثبات على موقفي، ولكن عندما سألت السفير الامريكي عن ذلك، أجابني بأنّه لم يتلق حتى الآن أمراً بذلك... وقبل ذلك بعدة اسابيع، وعندما استقبلت مسؤول المخابرات الامريكية الجديد في طهران، اصابتني الحيرة من تصريحاته، تحدثنا قليلاً عن الجو السياسي المفتوح واذا بي انظر ابتسامة عريضة ترتسم على محياه... على أيّة حال، فإن اولئك الذين كانوا لسنواتٍ طويلة اصدقاءنا الأوفياء، كانوا يخفون لنا من الغرائب الكثير مما فاجئونا به بعد ذلك»(٥٨).

والملفت ان الملك سعى من خلال هذا الكتاب الى الايحاء بأن هذه

العوامل والأسباب المفاجئة الخارجية، هي التي أدّت الى سقوط نظامه، حتى انه صرَّح بأن الجنرال ربيعي ـ قائد القوة الجوية ـ قال للقضاة قبل إعدامه: «ان الجنرال هايزر، ألقى بالملك خارج البلاد كما يُلقي بفأرة ميتة!»[٥٩]. والحال أنَّ حديثه هذا يعتبر بحدٍّ ذاته تحريفاً للتاريخ، فطبقاً للوثائق والمستندات التي لا تحصى ـ وأهمها وأوضحها اعترافات الجنرال هايزر نفسه في كتابه[٦٠] ـ، فإن من المؤكد ان الجنرال هايزر كان قد وفد الى طهران من أجل الحفاظ على النظام الملكي الذي كان يتهاوى تلك الأيام، وكان بصدد تنظيم إنقلابٍ عسكري للسيطرة على الأوضاع في تلك الفترة الحرجة.

وعلى فرض قبول ادعائه، فإن الملك وخلافاً للاسم الذي اختاره لكتابه، لم يعط أي جواب للتاريخ، وإلا فهل يمكن مع كل تلك الادعاءات التي كان يدعيها ـ من أمثال: «لينم كورش رغداً، فنحن يقظون!!» وغيرها مما اطلقه طوال ٣٧ عاماً من حكومته ـ ان يتعامل مع استقلال بلاده بتلك الطريقة، بحيث يتمكن جنرال أمريكي من الطراز الكذائي ومن خلال اقامته في طهران لعدّة أيام من إلقائه كالفأرة الميتة خارج البلاد!!؟؟

على أية حال، فبعد ضرب إنتفاضة الخامس من حزيران، ونفي الإمام من البلاد، لم ير الملك حينها أي مانع أمامه يحول بينه وبين تحقيق مقاصده. فقد وصلت البلاد الى وضع اصبحت فيه بعض نساء البلاط يمارسن دورهن في عزل وتنصيب الوزراء والنواب والقضاة ولقبت فيه (أشرف بهلوي) أخت الملك بلقب (الكلّ بالكل) في حين ان فضائحها الاخلاقية ومسارها الاخلاقي المنحرف وترأسها لعدّة عصابات تمارس تهريب المواد المخدرة كانت تملأ الصحف والمجلات الأجنبية، واختيار احد البهائيين (امير عباس هويدا) الذي كان يردد

مقولته المشهورة دوماً: «روحي فداء لجلالة الملك» وبقائه على مسند صدارة الوزارة الشكلية لم يعنِ سوى انعدام استقلال السلطات الحاكمة، وانعدام أي أثر وعلى أوطأ المستويات لحاكمية الجماهير في السلطة.

كان الملك يسعى بقوة نحو التمدن العظيم الذي كان يتخيله، فقد أسس للتمدن المستند على ترويج الثقافة الغربية، وشيوع التحلل والتفسخ الاخلاقي، والإغارة على الثروات الوطنية والقومية عبر المئات من الشركات الأمريكية والاوروبية في ايران، وتخريب البنية التحتية للزراعة الايرانية المستقلة نسبياً، وترحيل القوى المنتجة الايرانية إلى اطراف المدن وتحويلها الى قوى معطلة ومستهلكة، وتوسيع الصناعة التجميعية المرتبطة وغير الضرورية، وتجهيز ونصب محطات الانذار المبكر ومحطات التنصت والجاسوسية والقواعد العسكرية الامريكية في ايران وفي منطقة الخليج الفارسي، من جيب الشعب الايراني.

وخلال الفترة من عام ١٩٧٠ الى ١٩٧٧ انفق مبلغ ٢٦,٤مليار دولار من عائدات النفط على الواردات التسليحية الايرانية من امريكا، وخلال عام ١٩٨٠ كان الملك قد أبرم اتفاقاً لاستيراد ما قيمته ١٢ مليار دولار من الاسلحة الامريكية[٦١]. الأمرالذي أُريد من خلاله - وبناءً على سياسة البيت الأبيض - الحفاظ على المصالح الأمريكية في منطقة الخليج الحساسة، وهي مهمة أُنيطت ايضاً بالمستشارين الأمريكان الذين بلغ عددهم آنذاك (٦٠) ألف مستشار.

كان النظام الملكي وفي أوج ثباته ودون أن يعاني من أية مشكلة خارجية يبيع يومياً ٦ ملايين برميل من النفط الذي تجاوزت قيمته الثلاثين دولاراً للبرميل الواحد، وذلك لأسباب متعددة منها الحرب

العربية الاسرائيلية والمساعي الغربية لتخزين كميات اكبر من النفط لأجل مواجهة التوقف المحتمل في تدفق النفط الاسلامي نحو الغرب واحتمال تعاضد الدول الاسلامية المنتجة للنفط بوجه الغرب، وفي الوقت الذي لم يتجاوز عدد نفوس ايران الثلاثة وثلاثون مليوناً، في حين أنّك ترى آنذاك بأن العديد من الطرق الرئيسية غير معبدة، والقسم الأعظم من أبناء الشعب محرومين من نعمة الطاقة الكهربائية، بل من أبسط الحاجات الأساسية والمستوى الصحي.

في ذلك الوقت وبينما كانت مناطق واسعة من البلاد تعاني من ظروفٍ كالتي ذكرنا، كان عشرات الرؤوساء والقادة والوزراء من البلدان الأخرى يجتمعون في العاصمة طهران لمشاهدة الاحتفالات بمرور ألفين وخمسمائة عام على بداية الامبراطورية الفارسية ليسعدوا برؤية تلك الاحتفالات الاسطورية، ولما كان المئات من العمال والعشرات العاطلين المشرَّدين يعيشون في الأقبية والأكواخ المعدّة من الصفيح في جنوب وشرق وغرب طهران وفي وسطها في حالة يرثى لها من الفقر والتردي الصحي. ولمّا كان هذا الأمر من السعة والانتشار في طهران الى درجة كبيرة فقد أُجبر النظام أثناء تلك الاحتفالات على القيام باحاطة هذه الأحياء - خصوصاً الواقعة منها على جانبي الطرق التي تمر منها الوفود الأجنبية - بأسوار جميلة ومطليّة حتى لا تظهر آثار التمدن العظيم للعيان!!

وفي تلك الأيام كانت العديد من المحلات السكنية في جنوب وغرب طهران تفتقد الى الماء الصالح للشرب، وكان قد وضع لكلّ مائة عائلة ماسورة ماء واحدة ليشربوا منها. وكان معدل الأميّة في عام ١٩٧٦ ما يعادل ٥٢,٩٪ بين من تتراوح أعمارهم بين السابعة وما فوق(٦٢). وحينما فرّ الملك من ايران في عام ١٩٧٨م كان قد مضى على

ثورته البيضاء والاصلاحات المدعومة من قبل امريكا خمسة عشر عاماً، وخلال تلك المدة، ورغم انتاج وبيع النفط وسائر الثروات الوطنية بشكل مسرف ـ ورغم دعم الدول الأجنبية للنظام، فإن ايران لم تفشل في تحقيق استقلالها وحسب. وانما كان الارتباط الاقتصادي والزراعي والصناعي بالخارج يزداد يوماً بعد آخر وبازائه كان التدهور الاقتصادي والفقر وضياع العدالة يزداد باضطراد. أما من الناحية السياسية فقد حول الملك ايران الى اكثر بلدان العالم عمالة للغرب وخصوصاً امريكا.

وعلى رغم الظروف الصعبة والمعقدة التي كان الإمام الخميني يمرُّ بها منذ نفيه، فإنه لم يكف عن الجهاد والوقوف بوجه النظام الملكي. فكان يبعث ـ ومن خلال خطاباته وبياناته ـ الأمل بالنصر المؤزر في النفوس. فقد كتب في ١٦ نيسان ١٩٦٧ في خطاب وجهه الى الحوزات العلمية في ايران يقول: «انني اطمئنكم أيها السادة المحترمون واطمئن الشعب الايراني بأن النظام سيواجه الهزيمة، فإن اسلاف هذا النظام قد تلقوا الضربة المناسبة من الاسلام، وهؤلاء ايضاً سينالون نصيبهم. استقيموا ولا تستسلموا في مواجهة الظلم... وهؤلاء سيرحلون وأنتم الباقون... إنَّ هذه السيوف الصدئة سوف تعود إلى أغمادها...»[٦٣].

وفي ذلك اليوم أيضاً كتب الإمام رسالة مفتوحة الى رئيس الوزراء (امير عباس هويدا) استعرض فيها ممارسات النظام المجرمة وحذّره من الوقوف الى جانب اسرائيل في مقابل الدول الاسلامية فقال: «لا تعقدوا عهد الأخوة مع اسرائيل عدوة الاسلام والمسلمين، والتي شردت اكثر من مليون مسلم، لا تمسوا عواطف المسلمين، لا تطلقوا يد اسرائيل وعملائها الخونة في أسواق المسلمين اكثر من هذا، لا تعرضوا اقتصاد البلاد للخطر لأجل اسرائيل وعملائها، لا تجعلوا من

ثقافتنا فداءً للأهواء... فلتخشوا غضب الجبار، ولتحذروا غضب الشعب... إنّ رَبَك لبالمرصاد[٦٤]» [٦٥].

غير أنّ الملك لم يكترث لتحذيرات الإمام الخميني، ورغم كون البلدان الاسلامية في حالة حرب مع اسرائيل، كانت البضائع والسلع الاسرائيلية رائجة في السوق الايرانية وتتمتع بدعم خاصٍ من النظام، فكانت انواع الفواكه والمواد الغذائية تعرض في الأسواق الايرانية بأسعار متدنية نافست المنتجات الداخلية وعرّضتها للبوار.

وفي (٧ حزيران ١٩٦٧م) أصدر الإمام فتواه بتحريم اي نوع من الارتباط التجاري والسياسي من قبل الدول الاسلامية مع إسرائيل، وحرّم شراء البضائع الاسرائيلية، وذلك بمناسبة حرب الأيام الستة بين العرب واسرائيل[٦٦] الأمر الذي أنزل ضربة قوية في العلاقات المتنامية بين النظام الملكي واسرائيل.

كذلك فإن العلماء وطلبة العلوم الدينية في ايران، قاموا بتوزيع بيان جعل النظام يتعرض لضغط شديد. مما دفعه بالنتيجة الى الانتقام، وذلك بالهجوم على منزل الإمام الخميني في قم ومصادرة الكثير من الوثائق والكتب الخاصة به، ثم الهجوم على المدارس الاسلامية في قم وجمع آثار وصور الإمام الخميني. وقد تم خلال هذه الهجمات القاء القبض على نجل الامام الخميني حجة الاسلام السيد احمد الخميني، وكذا حجة الاسلام الحاج الشيخ حسن الصانعي، والمرحوم آية الله الاسلامي(ممثل الاستفتاءات الشرعية للامام). فقد أدت جهودهم مع سائر انصار الإمام الخميني الثوريين إلى إفشال مخططات وممارسات السافاك والنظام الملكي التي هدفت الى قطع المرتبات الشهرية الموزعة من قبل الامام، والحؤول دون ارسال الحقوق الشرعية من قبل الجماهير الى مرجعهم.

وكان السيد احمد (نجل الامام) قد تعرض قبل مدة من ذلك للاعتقال أثناء عودته من النجف وذلك عند الحدود العراقية الايرانية بعد ان كان قد سافر من قم الى النجف لاستلام رسائل واوامر الامام الخميني حول مواصلة النهضة وكيفية ادارة منزله في قم. وقد سيق بعد اعتقاله الى سجن (قزل قلعة) وذلك اوائل عام١٩٦٧م.

واستناداً الى الوثائق التاريخية التي تمَّ الحصول عليها من مؤسسات السافاك، فإن جهود منظمة الأمن قد تركزت في تلك الفترة على قطع الارتباط بين الامام ومقلديه في ايران والحيلولة دون قيام الامام بدفع المرتبات الشهرية الى طلبته في الحوزة العلمية في قم. وقد تظافرت وتواصلت في غضون ذلك جهود وكلاء الامام الشرعيين في ايران امثال ذوي السماحة: الاسلامي التربتي، والحاج الشيخ محمد صادق الطهراني (الكرباسچي) وآية الله البسنديدة (شقيق الامام الخميني الاكبر) رغم التهديدات التي عرضهم النظام لها، ورغم تكرار اعتقالهم وابعادهم. وكذلك فقد بذل المسؤولون عن إدارة منزل الامام في قم والذي اصبح مقراً لادارة النهضة ـ وكان يُدار من قبل نجل الامام الخميني ـ والجهود التي ساهمت في منع النظام من تحقيق اهدافه.

وقد اتسمت تصرفات المسؤولين في جهاز الأمن (السافاك) بالحساسية تجاه النشاطات الهادفة الى احياء اسم الامام الخميني وذكره وتنشيط دور منزله في قم، الى درجة دفعتهم الى وضع منزله تحت المراقبة المتواصلة عبر مجموعة من عناصره وبعض عناصر الشرطة التي كانت تراقب المنزل طوال ساعات النهار وقسماً من ساعات الليل، وتحول دون تردد المراجعين والمقلدين على المنزل. غير ان المراجعين والمقلدين كانوا يفدون على منزل الامام في ساعات

متـأخرة من الليل وذلك بعد ذهاب المأمورين، للحصول على الاجوبة والتوجيهات اللازمة.

في تلك الأيام (حزيران ١٩٦٧م) ايضاً فشل مشروع النظام في إعادة نفي الإمام الخميني مجدداً من النجف الى الهند، وذلك نتيجة قيام العديد من مؤيدي الإمام والتيارات السياسية بمواجهة ذلك وفضحه داخل البلاد وخارجها.

وبمجيء حزب البعث (١٧ تموز ١٩٦٨م) الى السلطة في العراق تضاعفت الضغوط والمشاكل امام نهضة الإمام الخميني، وذلك للطبيعة العدائية التي يكنها حزب البعث للحركات الاسلامية غير ان الإمام لم يكف ايضاً عن مواصلة النهضة. فقد مهّدت اقامته في النجف، ونهضة العالم الاسلامي في قضية الحرب بين العرب واسرائيل، الفرصة امام الإمام لتوسيع نطاق جهاده المتمثل في احياء الاعتقاد الديني في عصر مظلومية الدين، والعثور على الهوية، واستعادة الامجاد السابقة وتحقيق وحدة الأمة الاسلامية وعدم تحديده في مواجهة الملك الايراني.

وقد أوضح الإمام الخميني في لقائه مع ممثل حركة فتح الفلسطينية في (١١تشرين الاول ١٩٦٨م) آراءه حول مختلف المسائل التي تهمُّ العالم الاسلامي وحول جهاد الشعب الفلسطيني، وأكد في ذلك اللقاء على وجوب تخصيص جزء من الزكوات للمجاهدين الفلسطينيين[٦٧].

في اوائل عام ١٩٦٩م تزايدت الخلافات بين النظام الملكي الايراني ونظام حزب البعث الحاكم في العراق حول الحدود المائية المشتركة بين البلدين. وقد بادر النظام العراقي آنذاك على ترحيل

اعداد كبيرة من الايرانيين المقيمين في العراق وفي أسوأ الظروف، كما سعى حزب البعث العراقي جاهداً لاستغلال العداء بين الإمام الخميني والنظام الايراني في تلك الظروف. من جانب آخر فإن الملك الايراني كان يتحين الفرصة للحصول على أقل مبرر للنيل من استقلال نهضة الإمام الخميني، لكنّ الإمام وبوعيه وقف امام الدسائس التي كان كلا النظامين يحوكانها. وقد قام آية الله السيد مصطفى الخميني ممثلاً عن والده بتسليم مذكرة احتجاج على ترحيل الطلبة والكسبة الايرانيين المقيمين في العراق - والتي تضمنت رفض اي نوع من المصالحة والتنسيق بين الإمام الخميني والنظام العراقي الى الرئيس العراقي - أحمد حسن البكر وسائر المسؤولين ممن حضروا اللقاء.

في ٢١ آب ١٩٦٩م قامت مجموعة من الصهاينة المتطرفين باحراق جانب من المسجد الاقصى. وعلى الفور تطوع الملك في ايران بقبول اقتراح تعمير المسجد نتيجة للضغط الذي كان يتعرض له من الرأي العام، فقد أنبرى لمساعدة اسرائيل للتخفيف من غضب المسلمين. وعلى الإثر أصدر الإمام الخميني بياناً فضح فيه مكائد الملك واقترح في المقابل: «ما دامت فلسطين محتلة، فعلى المسلمين ان لا يقوموا باعادة بناء المسجد الأقصى وترميمه، فليتركوا هذه الجريمة التي ارتكبتها الصهيونية ماثلة امام انظار المسلمين لتكون سبباً لدفعهم نحو تحرير فلسطين»[٦٨].

لقد استطاعت أربعة أعوام من التدريس ومساعي التوعية التي مارسها الإمام الخميني تغيير وضع الحوزة الى حدّ ما، ففي عام ١٩٦٩م اصبح لدى الإمام مخاطبين جدد من العراقيين واللبنانيين ومن سائر بلاد المسلمين ممن اتخذوا من نهضة الإمام الخميني أُسوة لهم،

علاوة على الأعداد الكبيرة من المجاهدين داخل البلاد.

وفي مطلع عام ١٩٧٠م شرع الإمام بتدريس سلسلة مباحث حول الحكومة الاسلامية او (ولاية الفقيه) وقد ادى نشر هذه المجموعة من الدروس في كتاب تحت عنوان (ولاية الفقيه أو الحكومة الإسلامية) - في ايران والعراق ولبنان وفي موسم الحج - الى تفجير موجة جديدة من الحماس في صفوف المجاهدين. لقد عرض هذا الكتاب - وعلى لسان قائد الثورة - ابعاد الجهاد وأهداف النهضة والمباني الفقهية والاصولية والعقلية للحكومة الاسلامية والمباحث النظرية المربوطة بأساليب الحكومة الاسلامية.

في نيسان ١٩٧٠ م نشرت الصحف الامريكية خبر وصول هيئة رفيعة المستوى من الرأسماليين الامريكان برئاسة روكفلر الى ايران. وقد وصل هذا الوفد لتحري الطريق التي يتمُّ من خلالها اعادة عائدات النفط الايراني الى امريكا، فتلك العائدات كانت قد بدأت منذ ذلك العام بالتزايد بشكل جنوني، لذا صار لازماً معرفة اسلوب مشاركة الشركات الامريكية في تلك السفرة العامرة!.

ورغم ان السافاك منع - ومنذ عدة اشهر - العديد من العلماء من ارتقاء المنبر، الا أن علماء الدين الملتزمين - ممن اطلعوا على آراء الإمام في مسألة الحكومة الاسلامية - دفعهم الحماس الى فضح المخططات الملكية ومعارضة تزايد النفوذ الامريكي في ايران. وكان آية الله السعيدي من أشد مؤيدي الإمام معارضة لما كان يجري، مما عرضه الى الاعتقال في نفس شهر نيسان ١٩٧٠م ولم تمض عليه اكثر من عُشرة أيام حتى فارق الحياة نتيجة شدة التعذيب الذي مورس معه في دهاليز السافاك في سجن قزل قلعة.

وعلى اثر شهادته أصدر الإمام الخميني بياناً تأبينياً خلد فيه جهاد هذا الرجل مؤكداً من خلاله: «إنّ المرحوم السعيدي ليس وحده الذي سقط في سجنه معارضاً لهذا الوضع المؤسف» وقد جاء في هذا البيان ايضاً: «إنّ الخبراء وأصحاب رؤوس الأموال الأمريكان هجموا على ايران باسم ـ اكبر توظيف لرؤوس الأموال الأجنبية في البلاد ـ وذلك لتكريس أسر الشعب الايراني المظلوم... ان أيّ اتفاق يبرم مع أصحاب رؤوس الأموال الأمريكان وسائر المستعمرين يخالف ارادة الشعب واحكام الاسلام»[٦٩].

الاحزاب والتيارات السياسية

(منذ قيام ١٥ خرداد حتى انتصار الثورة الاسلامية)

ان أهم حركة سياسية كان لها حضور جدي في ميدان الجهاد الشعبي بعد انتفاضة الخامس من حزيران وساهمت بفعالية في حركة الثورة حتى انتصارها، والتي كانت المقدامة في متابعة تنفيذ اهداف النهضة، هي الحركة غير الحزبية وغير المسيّرة والتي مثّلها علماء الدين المعتقدين بنهج الإمام الخميني الذين كانوا يوجهون الحركة الجهادية بأساليب وأشكال مختلفة. كان الإمام الخميني يحدّد أطرها في كلّ مقطع من مقاطع الجهاد. معتمدين في ذلك على مواقعهم الدينية المتميزة بين الجماهير، والعلاقات المباشرة التي كانت لهم مع مختلف شرائح وطبقات الناس في المدن والقرى. وقد كان المنع من ارتقاء المنبر الخطابي، والنفي الى المناطق النائية والاعتقال المتكرر وما يرافق ذلك من التعذيب الوحشي والذي قد يؤدي الى الشهادة في سجون النظام الملكي، أموراً كان علماء الدين الإيرانيون الملتزمون قد اعدّوا انفسهم لمواجهتها بُعيد انتفاضة الخامس من حزيران ودون ان تؤدي الى تراجعهم أو منعهم من السعي في تحقيق اهدافهم.

من جانب آخر، وبعد انتفاضة الخامس من حزيران ١٩٦٣ قامت مجموعة من الهيئات الدينية في طهران (تتكون في الأساس من

الكسبة وجمع من الشخصيات العلمائية والمؤمنة بقياد ومرجعية الإمام الخميني) بتشكيل جمعية باسم (الهيئات الاسلامية المؤتلفة) عمل الجناح العسكري لها بطريقة (فدائيي الاسلام).

وكان من أهم الأعمال التي قامت بها هذه الجمعية، اغتيال رئيس الوزراء (حسن علي منصور) الذي قبل تحمل عار المصادقة على لائحة الحصانة اثناء فترة حكومته، وقد أقدم النظام الملكي على اعتقال عدة عناصر مؤثرة من هذه الجمعية عقب نجاح تلك العملية. فقام بإعدام البعض والحكم على الآخرين بالسجن لمدد طويلة. كان لأعضاء ومؤيدي هذه الجمعية دور أساسي ومؤثر طوال مدة الجهاد، فقد اشرفوا على عملية طباعة وتوزيع بيانات الإمام الخميني وتنسيق احتجاجات الكسبة والمهنيين، كما كان لهم السهم الوافر في تنظيم المظاهرات والاضرابات في الأشهر الأخيرة من عمر النظام الملكي.

كذلك فقد أُسس (حزب الشعوب الاسلامية) من بعض العناصر العلمائية والجامعية ومن سائر فئات الشعب بعد انتفاضة الخامس من حزيران هادفاً مواجهة النظام عسكرياً وقد عكف هذا الحزب فور تأسيسه على تسليح وتدريب عناصره، غير أن قياداته انكشفت بعد مدة من تأسيسه نتيجة تحري وملاحقة السافاك، فبادر ـ على اثر ذلك ـ بعض قادة واعضاء الحركة الى الفرار واللجوء الى الجبال الواقعة في شمال مدينة طهران، لكن محاصرة قوات الشرطة لهم وبشكل منظم اوقعتهم في الأسر فسيقوا إلى السجون.

ومن بين الجمعيات والأحزاب السياسية التي يمتد تاريخ تأسيسها الى ما قبل انتفاضة حزيران ١٩٦٣م يمكن الاشارة الى (حزب تودة) و(الجبهة الوطنية) و(نهضة حرية ايران).

اما (حزب تودة الشيوعي) فكان متهماً من قبل الجماهير

بالخيانة، ومن الناحية العملية فإن الحزب كان قد صالح النظام منذ مدة طويلة سبقت انتفاضة الخامس من حزيران ونقل تشكيلاته الحزبية الى خارج البلاد، وكان يعيش حالة دائمة من الإختلافات الداخلية، علاوة على ان العديد من قادته سقطوا بعد اعتقالهم وتوجهوا للتعاون مع النظام والى حد قبول بعض المناصب السياسية والادارية في النظام الملكي. كانت السياسات التي انتهجها حزب تودة تابعة بشكل مباشر للمواقف السياسية التي تصدر عن موسكو، وقد تركزت سياسة الكرملين خلال الخمس وعشرون عاماً الأخيرة من العهد الملكي على حفظ العلاقات مع النظام وعدم التفريط بالمنافع الاقتصادية السوفياتية في ايران، عليه فإن نشاطات حزب تودة خلال تلك الفترة انحصرت في اصدار البيانات السياسية وتشغيل اذاعة من الخارج لم تمثل في الحقيقة سوى اداة بيد موسكو للضغط على النظام لتحقيق اهدافها.

كذلك فإنّ (الجبهة الوطنية) وعلى رغم الموقع الذي تسلمته في نهضة تأميم صناعة النفط الا أنها بعد انقالب ١٩ آب تعرضت للانزواء والانشقاقات والاختلافات الداخلية، وقد انحصرت النشاطات الاعلامية المتفرقة لانصار الجبهة عموماً في الأوساط الطلابية والاتحادات التي كانوا يشكلونها خارج البلاد. وقد التزم انصار الجبهة من الاسلاميين والجامعيين . رغم مواقف قادتهم . جانب التأييد والدعم لنهضة الإمام الخميني.

حركة (نهضة حرية ايران) التي كانت تتمتع بدعم المجاهد آية الله الطالقاني، بادرت بعد انتفاضة حزيران الى دعم نهضة الإمام الخميني، وكانت هذه الحركة تتمتع بدعم محدود من قبل بعض المتدينين في الجامعة وبعض الجامعيين الدارسين خارج البلاد، كما

انها كانت تفتقد التشكيلات السياسية القادرة على توظيف الحركة الجهادية.

منظمة (مجاهدو خلق) تأسست ما بين عامي ١٩٦٥ ـ ١٩٦٦م بهدف القيام المسلح بوجه النظام الملكي، ونتيجة لسطحية معرفة قادة هذه المنظمة بالاسلام، فإن المنظمة وقعت في الالتقاطية، ورغم انها قدمت تنظيمها على انه تنظيم اسلامي، الا انها كانت تتعاطى في الخفاء بعض المطالب الماركسية في علم الاقتصاد، وفي اساليب المواجهة.

ورغم عدم انكشاف الانحرافات العقائدية لدى هذه المنظمة في تلك الظروف، الا أن الإمام الخميني امتنع عن دعمها وتأييدها، حتى حينما ذهب ممثل الحركة للقاء الامام في النجف الاشرف مطالباً إياه بدعم الحركة، امتنع سماحته موضحاً الانحرافات الفكرية التي وقعت فيها الحركة.

منظمة (فدائيو الشعب) أيضاً كانت تمثل تشكيلاً آخر تكون من إئتلاف مجموعتين ماركسيتين صغيرتين[٧٠]. في عام ١٩٧١ م معلنة عن وجودها ومتخذة من الجهاد المسلح اسلوباً عملياً. وقد كان تشكيل هذه المنظمة أساساً نتيجة الاحساس بالحقارة الذي أصاب الشيوعيين الايرانيين نتيجة وضع حزب تودة والخيانات التي ارتكبها من جهة، وتفوق وتضحيات العلماء والعناصر الاسلامية في انتقاضة الخامس من حزيران من جهةٍ اخرى.

وقد حرصت كلا المنظمتين في السنوات الاولى من تشكيلها على كسب وتدريب بعض العناصر[٧١] ثم انها بادرت بعد ذلك للقيام بعدة عمليات مسلحة محدودة ومتفرقة تمَّ على أثرها ـ ونتيجة تحقيقات السافاك ـ كشف قيادات المنظمتين واعتقالهم مما ادّى الى تفكك

المنظمتين. فقد أُعدم بعض قادة الحركتين مما دفع البقيّة الى تقديم تعهدات للنظام بالكف عن نشاطاتهم الحزبية والذوبان في هيكل النظام. ـ ورغم ان السافاك قصد ـ من خلال المقابلات التلفزيونية التافهة التي اعدها مع بعض عناصر الحركتين ـ تشويه صورة المجاهدين الحقيقيين في أذهان الناس إلا أن تلك المقابلات التلفزيونية والاعترافات المذهلة التي اقرّ بها اولئك كشفت النقاب عن الانحرافات الاخلاقية والعقائدية والتصفيات الدموية التي كانت تعيشها تلك المجاميع. ومما تجدر الاشارة اليه أن بعض المعتقلين من عناصر هاتين الحركتين تحملت على عاتقها مسؤولية التجسس على المعتقلين السياسيين المؤمنين بخط الإمام الخميني لصالح السافاك.

على أية حال، فعلاوة على (الهيئات الاسلامية المؤتلفة) و (حزب الشعوب الاسلامية) كانت هناك مجاميع إسلامية مجاهدة اخرى مارست دورها في الدفاع عن نهضة الإمام الخميني باتخاذ اسلوب الجهاد المسلّح، ويمكن على سبيل المثال ذكر المجاميع السبعة[٧٢] التي انصهرت فيما بعد في تشكيل واحد، وكذلك مجموعة الروحاني المجاهد الشهيد على اندرزكو[٧٣].

في السنوات التي تلت انتفاضة حزيران ١٩٦٣م كان لمجموعة تحمل اسم «جمعية الحجتية» نشاط واضح، ورغم ان تاريخ تشكيل هذه المجموعة يعود الى سنوات طويلة سابقة. وأنّ محور سعيها يدور حول المواجهة الفكرية للحركة البهائية في ايران، ورغم ما يبدو من التناقض بين اهداف هذه المجموعة واغراض النظام ومقاصده باعتباره حامي البهائية، الا ان الواقع العملي لم يكن كذلك، ذلك لأن (اتحاد الحجتية) وقادته كانوا يشترطون للانتماء الى الحركة، عدم التدخل في السياسة، الأمر الذي هيأ للنظام ظروفاً مناسبة يستطيع من خلالها صدّ مجاميع كثيرة من الطاقات الدينية الفعالة عن مواجهة

العلة والعامل الأساسي للفساد في ايران (السلطة الملكية العميلة) واشغالها بمواجهة المعلول وبشكل غير مؤثر ايضاً. وهكذا كان الأمر. فقد مارست مجاميع الحجتية نشاطاتها السرية دون أدنى مضايقة من السافاك، بل انها ـ في بعض المواطن ـ كانت توسع من نشاطاتها بدعمٍ من السافاك[٧٤].

وبعد قيام الإمام الخميني بفضح حقيقة عقائد هذه الجمعية، انفصل العديد من اعضائها والتحقوا بصفوف مؤيدي نهضة الإمام الخميني خصوصاً قبيل انتصار الثورة الاسلامية.

لقد كانت جمعية الحجتية تمارس دورها في مواجهة البهائية فكرياً في حين أنّ البهائية في العقود الأخيرة ـ سواء في إيران أم في سائر انحاء العالم ـ كانت تعمل كحزب سياسي مرتبط باسرائيل ومدعوم من قبل الصهاينة المقيمين في امريكا ومن الطبيعي ان يأخذ المتصدون لمواجهتها هذه الأمور في الحسبان.

ومنذ عام ١٩٦٩م وما بعد، أصبحت الدروس والخطابات التي كان يلقيها افراد من قبيل: الاستاذ المطهري، الدكتور المفتح، الدكتور الباهنر، المهندس البازركان، والدكتور علي شريعتي في المراكز الدينية في طهران كمسجد قبا، مسجد هدايت، مركز التوحيد، وحسينية الارشاد (على الخصوص) مركزاً توجه نحوه العديد من المثقفين المتدينين والمسلمين الجامعيين. فقد كرّس الاستاذ المطهري ـ باعتباره فيلسوفاً وفقهياً متميزاً حضر لسنوات طويلة درس الإمام الخميني والعلامة الطباطبائي(ره) ـ جلَّ اهتمامه بعد عودته الى طهران لتبيين المباني العقائدية الاسلامية وبلغة معاصرة، وتوعية الجيل الشاب حول انحرافات المدارس الالحادية والالتقاطية. وقد عدّ الإمام الخميني

جميع آثار الشهيد المطهري ـ بعد شهادته ـ وبدون استثناء آثاراً مفيدةً وجلل ذكراه والخدمات القيمة التي قدمها.

اما الجاذبية التي تميزت بها آثار الدكتور علي شريعتي آنذاك ـ وناهيك عن قلمه وأسلوبه الأدبي المتميز ـ انما نشأت من كونه مثقفاً متعلماً، نظر الى المقولات الدينية والتاريخية والاجتماعية للمجتمع الايراني المسلم بنظرة النقد والتمحيص. وقد ظهرت نتائج هذا الاتجاه من البحوث بين الشبان في تلك الظروف وبشكل جلي.

ان الدراسة المنصفة للوثائق، والرسائل والبحوث التي كانت للدكتور شريعتي مع السافاك والتي تم نشرها اخيراً(٧٥) تدل على ان السافاك كان ينظر الى حقيقة ان التفاف الشبان حوله يؤدي الى عزوفهم عن التوجه نحو الالتفاف حول الأفكار اليسارية والشيوعية، ويتوهم ان حملاته الشديدة والمستمرة على الروحانية التقليدية الايرانية ستهيأ الأرضية لبث الفرقة والاختلاف في جبهة العناصر المتدينة. لذا فقد امتنعوا لسنوات طويلة عن التعرض لنشاطاته ثم اضطروا في عام ١٩٧٣م الى إعتقاله وإغلاق حسينية الارشاد.

وتجدر الاشارة الى أن الرسائل والآثار الباقية من الاستاذ المطهري، تشير الى ان السبب في إعتزال الأستاذ فعاليات ونشاطات حسينية الارشاد، يكمن في اعتقاده ان الثورة الثقافية والاجتماعية يجب ان تستند الى اصالة الوحي والى الفكر الديني المحض، لذا فإن الاستاذ المطهري كان يعتقد بأن تأثير الاتجاهات الحديثة والتفسيرات الثورية للمسائل الدينية والمذهبية ـ وغير المبنية على الأساس المذكور، والتي لا تأخذ باعتبارها الأساليب التخصصية في فهم استنباط الاحكام الدينية ـ سيكون مؤقتاً سريع الزوال وسيفتح الطريق أمام الالتقاط والخلط بين المقولات الدينية والأفكار الوضعية وغير

المتجانسة، الأمر الذي سيمهد السبيل امام دخول وثبات النظريات الفلسفية والاجتماعية الغربية.

بعد إنتصار الثورة الاسلامية، وقفت بعض العناصر من المجاميع المتطرفة في مواجهة العلماء وقيادة الثورة بذريعة الدفاع عن الدكتور شريعتي. وفي المقابل ايضاً فإن الكثير من اولئك الذين تعرفوا على الدين والسياسة من خلال آثار الدكتور شريعتي، وقفوا مع جمع المدافعين عن الثورة الاسلامية ليؤدوا دورهم، وهو مما لا يمكن انكاره مهما كان الحكم على آثار الدكتور شريعتي.

واستناداً الى الأمور التي ذكرنا فقد قيلت العديد من الآراء حول دور الدكتور شريعتي، فالبعض عدّه عاملاً في تنفيذ المقاصد الثقافية للنظام الملكي، كما عدّه الكثيرون مفكراً اسلامياً ثورياً وأشاروا ـ مستندين الى مذكراته التي كتبها في أواخر حياته ـ الى أنه أقرّ وأوصى أيضاً بضرورة تنقيح آثاره وحذف واصلاح بعض انتاجاته السطحية وتفسيراته المغلوطة.

أما الإمام الخميني فقد أكدّ في الكثير من خطاباته وبياناته في ذلك الوقت على ضرورة الدفاع عن المواقف المقدامة للروحانية الشيعية المجاهدة طوال التاريخ والدفاع عن العلماءِ الاعلام وردّ على كل الشكوك التي أُثيرت حول هذا الموضوع. وقد كرر التحذير في رسائله التي بعث بها الى الاتحادات الاسلامية للجامعيين الدارسين في الخارج من الاستنتاجات السطيحة وغير المتخصصة عن الاسلام منبهاً في الوقت ذاته وضمن تكريمه وتجليله للخدمات التي أسداها المفكرون المثقفون المسلمون الى خطر المتحجرين والقشريين من علماء الدين، مؤكداً أيضاً على تجنب طرح المسائل المثيرة للخلاف والتمحور حول الجبهة الفلانية والفلانية الأمر الذي يعدُّ مخالفاً لمصالح الثورة.

الإمام الخميني ومواصلة الثورة
(١٩٧١ ـ ١٩٧٧م)

في اواخر عام ١٩٧١م تصاعدت وتيرة الخلافات بين نظام البعث العراقي والنظام الملكي الايراني الأمر الذي أسفر عن ترحيل الآلاف من الايرانيين المقيمين في العراق الى بلدهم. وقد أبرق الإمام الخميني ببرقية اعتراضية الى الحكومة العراقية ندد فيها بشدة بعملية التهجير تلك، واعتراضاً منه على ما حصل قرر الإمام مغادرة العراق، غير ان النظام الحاكم في بغداد ونتيجة معرفته بالنتائج التي تترتب على هجرة الإمام منع من اصدار الموافقة على سفره.

من جانب آخر وتزامناً مع زيادة انتاج النفط وارتفاع اسعاره وفي سنة ١٩٧١م وما بعد، أحسّ الملك بقدرة اكبر، فضاعف من وحشيته في قمع واضطهاد المعارضين، ودخل في سباق مجنون في شراء التجهيزات العسكرية والسلع والبضائع الاستهلاكية الأمريكية، وسرّع من ايجاد القواعد العسكرية العديدة للامريكان في داخل البلاد وزاد من مستوى الروابط والعلاقات التجارية والعسكرية مع اسرائيل. وحمّل الشعب الايراني نفقات هائلة لإقامة الاحتفالات الاسطورية في ذكرى مرور الفين وخمسمائة عام على نشوء الملكية في ايران[٧٦] والتي كان يحضرها العديد من قادة ورؤساء دول العالم، وقد جعل الملك من

هذه الاحتفالات استعراضاً للقدرة والثبات الذي يتمتع بهما النظام الملكي.

وقد ندد الإمام الخميني ـ ومن خلال العديد من البيانات ـ بهذه الاحتفالات المفروضة على الشعب وكشف النقاب عن تخلف البلاد والحقائق المرّة التي حكمت المجتمع الايراني.

وخلال الحرب الرابعة بين العرب واسرائيل وبينما كان الملك يمثل الحامي المقتدر لاسرائيل طالب الإمام الخميني ومن خلال بيان الذي أصدره في تشرين الثاني ١٩٧٣م الشعب الايراني في الوقوف بوجه اعتداءات الكيان الصهيوني، كما أفتى في هذا البيان بوجوب دعم الشعوب الاسلامية للمجاهدين الفلسطينيين مادياً ومعنوياً وذلك عبر التبرع بالدم وارسال الأسلحة والذخائر والمواد الغذائية الى المجاهدين المسلمين(٧٧). كما أكدّ سماحته في بيانٍ آخر على أن : «الأمة الاسلامية لن ترى يوماً سعيداً ما لم تقتلع جرثومة الفساد هذه (اسرائيل) من جذورها، وان ايران لن تشم نسيم الحرية ما دامت مبتلاة بهذه العائلة (البهلوية) الفاسدة(٧٨).

وفي أواسط شهر آذار ١٩٧٤م، أوصل الملك استبداده الى الحد الأقصى، حينما اعلن عن تشكيل حزب البلاط (رستاخيز) (ويعني البعث!) واعتمد سياسة الحزب الواحد. فقد اعلن من خلال حديث تلفزيوني بأن على جميع أبناء الشعب الايراني ان ينتسبوا الى هذا الحزب، وإن على المعارضين أن يأخذوا جوازات سفرٍ بسرعة ويغادروا البلاد(٧٩).

وعلى الفور اصدر الإمام الخميني فتواه فقال: «نظراً لمخالفة هذا الحزب للاسلام ومصالح الشعب الايراني المسلم، يحرم على جميع ابناء الشعب الانتماء اليه، وان الانتماء اليه يعدّ إعانة للظالم ومشاركة

في القضاء على المسلمين، كما ان معارضته من أبرز مصاديق النهي عن المنكر»[٨٠]. وقد جاءت فتوى الإمام الخميني وبعض علماء الاسلام مؤثرة، فعلى رغم الاعلام المكثف للنظام للتشجيع على تقوية الحزب، الا ان النظام اعلن عن هزيمته رسمياً بحلّه الحزب بعد عدّة سنوات.

وفي نفس ذلك البيان كتب الامام الخميني يقول: «انني وانا في غربتي هذه، يعصرني الألم والحسرة على الوضع المؤسف الذي يعيشه الشعب الايراني، فما احلى ان اكون في هذه الظروف الحساسة بين أبناء الشعب، أساهم معهم في هذا الجهاد المقدس من اجل انقاذ الاسلام وإيران»[٨١].

وفي عام ١٩٧٥ وفي ذكرى انتفاضة حزيران، شهدت الفيضية مجدداً قيام الطلاب الثوريين وانطلقت صرخات «يعيش الخميني» الموت لسلالة البهلوي» لترنّ في أرجاء المدرسة لمدة يومين، ولما كانت الحركات والمنظمات الفدائية قد تلاشت، وان الشخصيات الدينية والسياسية المجاهدة كانت ترزح في سجون النظام، فقد مثلت هذه الحركة الثورية صدمة للملك والسافاك.

على أية حال، حاصرت قوات الشرطة المدرسة الفيضية ثم انهالت على الطلاب بهجوم وحشي وألقت القبض على جميع المعترضين، واقتادتهم الى السجون.

وفي بيانٍ اصدره الإمام الخميني بهذه المناسبة اشار سماحته الى تفاؤله فقال: «رغم جميع المصائب فإن صحوة الشعب تهبنا الأمل. ان نهوض الجامعيين في مختلف انحاء إيران وبناءً على اعتراف الملك نفسه والعلماء والأعلام وطلاب المدارس ومختلف شرائح الشعب، رغم جميع الضغوط والتجبر، يمثل بداية للحصول على الحرية والانعتاق من قيد الاستعمار»[٨٢].

وفي البيان الذي بعث به الامام الى المؤتمر السنوي للاتحادات الإسلاميّة للجامعيين الدارسين في أمريكا وكندا وذلك في ٢٤ أيلول ١٩٧٥م، كتب سماحته يقول: «ان نقطة الأمل المضيئة التي أراها في أواخر عمري، هي هذا الوعي والصحوة التي يتحلى بها الشبان، ونهضة المثقفين التي تتنامى بشكل سريع والتي ستحقق هدفها بإذن الله تعالى في قطع ايادي الأجانب وبسط العدالة الإسلامية»[٨٣].

مضياً منه على سياساته في قمع الأديان، غيّر الملك في آذار عام ١٩٧٥ وبشكل وقح التاريخ الرسمي المعتمد في البلاد من التاريخ الهجري الى التاريخ الملكي لملوك الهخامنشة. وفي رد سريع منه، أفتى الإمام الخميني بحرمة استخدام التاريخ الملكي.

وكما استقبلت الجماهير فتواه في تحريم الانتماء الى حزب (رستاخيز) فإنها استقبلت ايضاً تحريمه للتاريخ الملكي الموهوم، وأصبحت الحادثتان عاراً على النظام الملكي، فقد بادر النظام في عام ١٩٧٨م الى الانسحاب مجدداً وإلغاء استخدام التاريخ الملكي.

من جانب آخر، انهت اتفاقية الجزائر عام ١٩٧٥م والتي وقعت بين الملك وصدام حسين (نائب رئيس الجمهورية العراقية آنذاك) الخلافات بين البلدين بشكل مؤقت، فقد رأت امريكا أن المنازعات والمناوشات بين بغداد وطهران في ذلك الوقت أمرٌ يعرض الثبات في المنطقة وفي الخليج الى الخطر لذا فقد تم عقد تلك الاتفاقية بشكل رسمي بتدخل الرئيس الجزائري والرئيس المصري انور السادات الصديق الحميم للملك الايراني

وقد أدت أجواء التآلف بين حكام بغداد وطهران لتعقيد الظروف امام مسير جهاد الامام الخميني، غير ان هذه الموانع لم تتمكن من ثنيه عن مواصلة جهاده الذي ابتدأه.

في تلك الأيام كتب السفير الايراني في العراق تقريراً وجهه الى قادة النظام الملكي يقول: «إن آية الله الخميني، لم يكف عن ممارسة نشاطاته في العراق، فهو ناشط جداً في العمل على مواجهة النظام، يرجى اصدار أوامركم في هذا الخصوص لكي يتضح تكليفنا». وفي معرض جوابه على هذا التقرير كتب الملك بغضب: «لقد كررت القول بوجوب خنق هذا الصوت»(٨٤). غافلاً عن ان المقادير الإلهية اقتضت مصيراً آخراً لرسالة الامام الخميني «يُريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره»(٨٥) في عام ١٩٧٦ وصل الديمقراطيون الى البيت الابيض الامريكي، وضاعت سدى المعونات النقدية التي قدمها الملك الايراني الى الجمهوريين الامريكان. وانتصر كارتر يحمل شعار حقوق الانسان، والحد من تصدير الاسلحة الى الخارج، وواضح أن هذه الشعارات انما رفعت لأجل الحد من أحاسيس النفرة من امريكا والتي كانت تجتاح البلدان الاخرى كإيران مثلاً، والتعتيم على الأزمة الاقتصادية التي كانت تعصف بأمريكا وزيادة الضغط على الاتحاد السوفيتي (السابق) للحصول على امتيازات اكثر في مفاوضات الحد من الأسحلة النووية (سالت) والتي كانت جارية آنذاك بين الطرفين.

بعد اتضاح سياسات الديمقراطيين في امريكا، قام الملك بالاعلان عن سياسة الجو السياسي المفتوح! وأقدم على القيام بتغييرات وتبديلات في بيادقه.

وتشير الوثائق التي نشرت من وكر التجسس الامريكي (السفارة الامريكية في طهران سابقاً) بأن السياسة الأمريكية فيما يخصّ إيران والتي كانت تضع اطاره العام وزارة الخارجية الامريكية ووكالة المخابرات الامريكية CIA، وكانت تبلغ للسفارة في طهران - لم تتغير، فأمريكا تدعم الملك ونظامه بالكامل، وان الديمقراطيين ايضاً يرون

وكما هو الحال في السابق بأن الملك يمثل عاملاً أساسياً لحفظ المصالح الامريكية في منطقة الخليج الفارسي، لذا فإن إيران استثنيت من حالة الحد من صدور السلاح اليها ايضاً.

وقد دلل سفر كارتر وزوجته الى طهران والحديث الذي ادلى به والتصريحات التي اعلن من خلالها على الدعم المطلق الذي يوفره البيت الأبيض للملك، على أن الجو السياسي المفتوح انما كان حركة تمثيلية سريعة المرور.

اشتداد الثورة الإسلامية في عام ١٩٧٧ ونهضة الجماهير

تمكن الامام الخميني الذي كان يتابع التحولات والأحداث الجارية في إيران وفي العالم بدقة متناهية من اغتنام الفرصة التي اتيحت له محققاً الاستفادة القصوى منها. فقد اعلن في بيانه الصادر في آب ١٩٧٧: «الآن ونتيجة للأوضاع الداخلية والخارجية، وانتشار انباء الجرائم التي يرتكبها النظام الملكي، في المحافل الدولية والصحافة الأجنبية. فإن الفرصة سانحة للمنظمات العلمية والثقافية والوطنيين والجامعيين الدارسين في الخارج والداخل، والاتحادات الإسلامية أينما كانت، للمبادرة للقيام ـ دون خوف ـ والاستفادة من هذه الفرصة» وجاء في جانب آخر من البيان ذاته: «ان التجاوز على حقوق مئات الملايين من المسلمين وتحكيم حفنة من الاوباش على مقدراتهم واتاحة الفرصة للنظام اللاقانوني الايراني وللكيان الأجوف الاسرائيلي ان يغتصبا حقوق المسلمين ويصادرا الحريات، ويتعاملا مع الناس معاملة وحشية، كلها جرائم ستثبت في ملفات رؤساء جمهور امريكا»[٨٦].

في شهر تشرين الاول ١٩٧٧م، تحولت شهادة آية الله السيد مصطفى الخميني[٨٧] والمراسم التأبينية المهيبة التي أقيمت له في إيران إلى نقطة انطلاقٍ لقيام الحوزات العلمية مجدداً. ونهضة

المجتمع الديني الايراني. وقد عبرّ الامام الخميني عن تلك الحادثة (بالألطاف الإلهية الخفية) الأمر الذي يثير التعجب! وقد حاول النظام الملكي حينها الانتقام من الامام بنشر مقالة موهنة في صحيفة اطلاعات، غير ان السحر انقلب على الساحر فقد انتهت هذه المقالة الى نهضة التاسع من كانون الثاني عام ١٩٧٨م مما ادى الى استشهاد جمع من الطلاب الثوريين. ومرة اخرى كانت قم هي فتيل النهضة، ولم تمض سوى مدة قصيرة ـ وفي ظروف تختلف تماما عن الظروف التي انطلقت فيها انتفاضة حزيران ١٩٦٣ ـ تناغمت حركة الجماهير في مختلف انحاء البلاد. حيث أدت إقامة مراسم العزاء المتتالية في الثالث والسابع والأربعين من سقوط الشهداء، الى سريان شعلة الثورة الى مناطق اخرى من البلاد كتبريز ويزد وجهرز وشيراز واصفهان وطهران. وطوال هذه المدة كانت البيانات المتواصلة الصدور من الامام الخميني واشرطة تسجيل احاديثه وخطاباته والتي كان يدعو فيها الجماهير الى الثبات ومواصلة النهضة حتى القضاء على النظام الملكي وتشكيل الحكومة الإسلامية تستنسخ وتُكثر على أيدي مؤيديه وانصاره ويتم توزيعها على مختلف مناطق البلاد(٨٨).

ولم يتمكن الملك رغم اقدامه على تنفيذ المذابح الجماعية من اطفاء شعلة الثورة المستمرة، فقد كانت احابيله ودسائسه السياسية ومناوراته العسكرية وقبل ان تساهم في تهدئة الغضب الجماهيري تبوء بالفشل نتيجة صدور بيانات الامام التي كانت تكشف الخفايا وترشد الجماهير الى اتخاذ ما يلزم من الخطوات.

ولمّا لم ينفع تنصيب احد التكنوقراطيين المتغربين (جمشيد آموزكار) رئيساً للوزراء بدلاً عن (هويدا) ـ الذي عمل في خدمة الملك ثلاثة عشر عاماً ـ في حل المعضلة التي يتعرض لها النظام، أبدل الأول

من جديد بأحد أعضاء المحافل الماسونية الاستعمارية في ايران، فجاء (جعفر شريف امامي) رافعاً شعار «حكومة المصالحة الوطنية».

إلى أن حيله ومفاوضاته مع شريعتمداري - الذي لمع نجمه مجددا باعتباره احد القادة الدينيين، الأمر الذي دعمه النظام - في قم، لم تتمكن من ايقاف حركة النهضة الجماهيرية.

وفي عهد حكومته (شريف إمامي) نُفذت المذبحة الوحشية من قبل قوات الجيش بالجماهير العزل في ميدان جالة (الشهداء حالياً) في طهران في الثامن من ايلول. فأعلنت الأحكام العرفية في طهران واحدى عشرة محافظة من المحافظات الكبرى في إيران ولمدة غير محددة.

غير أن الجماهير لم تكترث للاحكام العرفية مع وصول بيانات الامام الخميني، واستمرت التظاهرات ليلاً نهاراً وفي توسع مستمر. فقد كانت نداءات (الله اكبر) (الموت للملك) (يعيش الخميني) تسمع على مدار الساعة وترافقها احياناً رشقات الاسلحة الاوتوماتيكية وهي تنطلق من كل زقاق وزاوية.

لقد تزعّم الامام الخميني نهضته منذ البدء مستنداً الى قوله تعالى «**إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم**»[٨٩]. مؤكداً على تقديم الثورة الثقافية على القيام بالثورة السياسية والتحول الاجتماعي بواسطة الجماهير، وكان يعتقد بعدم جدوى النضال من خلال الاحزاب أو البرلمانات، وكذا بعدم جدوى الكفاح المسلح إذا هي حرمت دعم الجماهير في تلك الظروف التي كانت تمرّ على إيران. وكان يرى الجهاد العام والمسلح آخر حلٍّ يتمّ اللجوء اليه اذا ما فكرت امريكا بالانقلاب العسكري.

كانت المساجد والمراكز الدينية بمثابة المعاقل الأساسية للثورة

الاسلامية الايرانية والمنطلق لتحرك الجماهير وتجمعها. وكانت الشعارات التي ترددها الجماهير مزيجاً من التعاليم الدينية وارشادات الامام الخميني. وخلال عامي ١٩٧٧ و ١٩٧٨م، وعندما بلغت الثورة الإسلامية أوجها عادت الاحزاب والجمعيات السياسية للظهور من جديد وبأعداد كبيرة جداً، واتباع قليلين للغاية مما جعلها تعيش في جدبٍ حرمها امكانية التأثير في مجرى الامور تماماً واضطرها بالنتيجة الى متابعة الحركة الجماهيرية الواسعة.

في ذلك الوقت نشطت الحركات والمجاميع المسلحة الجهادية والتي تم تشكيلها على اساس اهدافٍ اسلامية واعتقادات راسخة بنهج الامام الخميني. فكانت نشاطاتها تعبر عن اسلوب جهادي مستقل، بل انها كانت تمثل حركة حماية وتقوية لثورة الشعب العارمة.

وكان من الأساليب الموفقة التي اتبعها الامام الخميني في الجهاد ضد النظام الملكي، دعوته الجماهير الى الاضرابات العامة وتوسيع رقعتها. فقد شملت الاضرابات في الأشهر الأخيرة من الثورة مختلف اركان النظام من وزارات وإدارات ومراكز عسكرية حتى امتد الأمر الى عمال وموظفي شركة النفط والبنوك ومراكز الدولة الحساسة الأمر الذي وجه الضربة الأخيرة الى جسد النظام.

سفر الامام الخميني
من العراق الى باريس

تم الاتفاق في الاجتماع الذي عقد بين وزيري خارجية العراق وإيران في نيويورك على اخراج الامام الخميني من العراق.

وفي الرابع من ايلول ١٩٧٨م، حوصر منزل الامام الخميني في النجف من قبل قوات امن النظام العراقي، مما فجر غضب المسلمين في إيران والعراق وسائر البلدان. وعند لقائه بالامام صرح رئيس دائرة الأمن العراقية للامام بأن شرط إقامته في العراق هو الكف عن حركته الجهادية وعدم التدخل بالسياسة. وقد ردّ الامام بحزم على هذا الاقتراح منوهاً الى احساسه بالمسؤولية قبال الأمة الإسلامية الأمر الذي يمنعه من السكوت أو عقد أيّ نوع من المصالحة[٩٠].

في الرابع من تشرين الاول من نفس العام، غادر الامام الخميني النجف الاشرف متوجهاً الى الكويت، غير أنّ الكويت امتنعت عن استقباله بإيعازٍ من النظام الايراني، عندها اقترح البعض السفر الى سوريا أو لبنان، غير ان الامام الخميني - وبعد التشاور مع نجله حجة الاسلام الحاج السيد احمد الخميني - قرر السفر الى باريس[٩١]. وفي السادس من تشرين الأول عام ١٩٧٨م وصل الامام الخميني الى باريس، وانتقل بعد يومين من وصوله الى منزل احد الايرانيين المقيمين

في نوفل لوشاتو (في ضواحي باريس).

بعدها قام موظفو قصر الاليزيه بإبلاغ الامام الخميني بوجهة نظر الرئيس الفرنسي (جيسكار ديستان) المتمثلة بضرورة اجتناب الامام الخميني لأية فعالية سياسية، وقد ردّ سماحته بحزم بأن ذلك ينافي الادعاء بالديمقراطية، وانه اذا اضطر للسفر من مطار الى مطار ومن بلد الى بلد فإنه لن يكف عن جهاده لتحقيق اهدافه(٩٢).

كتب الرئيس الفرنسي جيسكار ديستان في مذكراته بأنه كان حينها قد أصدر الأمر باخراج الامام الخميني من فرنسا، لكنه عدل عن قراره في آخر لحظة عندما حذره ممثلو النظام الملكي الايراني والسياسيون الذين كانوا يعيشون اقصى حالات القلق والاضطراب، من مغبة وقوع رد فعل جماهيري يستحيل السيطرة عليه، وانهم غير مسؤولين حينها عما سيقع في إيران وفي أوروبا(٩٣).

وخلال مدة اقامة الامام في (نوفل لوشاتو) والتي دامت اربعة اشهرٍ، تحولت تلك المدينة الصغيرة الى أهم مركزٍ خبري في العالم، وعرض الامام الخميني من خلال اللقاءات الصحفية المتعددة التي اجريت معه مختلف وجهات نظره حول الحكومة الاسلامية واهداف نهضته المستقبلية امام العالم اجمع، وبذا تعرّف الكثيرون على فكر الامام وثورته، ومن هنا ابتدأت قيادته لأصعب المراحل في النهضة الاسلامية الايرانية(٩٤).

لم تستطع حكومة (شريف امامي) الصمود اكثر من شهرين، وبعد سقوطها كلّف الملك (ازهاري) بتشكيل حكومة عسكرية. فازدادت وتيرة المذابح الا انها لم تستطع السيطرة على الجماهير. فطالب الملك ـ بعد ان اصيب بالانهيار ـ السفيرين الامريكي والبريطاني بحلٍّ للأزمة. الا إنّ أيّاً من الاقتراحات التي قدمت من قبلهما لم تجد نفعاً(٩٥).

وفي يومي تاسوعاء وعاشوراء انطلقت المظاهرات المليونية في طهران وسائر المدن الاخرى، والتي اشتهرت فيما بعد باسم (الاستفتاء غير الرسمي من قبل الجماهير ضد سلطة الملك).

بعد وقوع اختيار الدوائر الامريكية على شابور بختيار (احد قادة الجبهة الوطنية) ـ والذي اشتهر عنه قوله بعدم قانونية قيام الجماهير على سلطة الملك ـ كآخر بيدق لرئاسة الوزراء، ففي اجتماعهم الرباعي في (غوادلوب) اتفق قادة الدول الصناعية على دعم وزارة بختيار[٩٦]. وبعد ذلك وصل الجنرال هايزر (معاون قيادة حلف الناتو) الى طهران في مهمة سرية استغرقت شهرين وقد كشف النقاب في اعترافاته فيما بعد عن أن مهمته كانت تتمثل في توفير دعم وحماية العسكريين لبختيار وتوفير الأمن لوزارته وكسر الاضرابات، واخيراً الاعداد لانقلاب عسكري لاعادة الملك الى السلطة بشكل مشابه لما تم في انقلاب ١٩ آب ١٩٥٣م[٩٧]. غير ان بيانات الامام الخميني التي اكدت على وجوب مواصلة الجهاد احالت جميع المخططات إلى نقشٍ على الماء.

في مطلع عام ١٩٧٩ شكل الامام الخميني شورى قيادة الثورة. وكذلك فإن الملك ايضاً وبعد تشكيل شورى السلطنة تم التصويت بالثقة على وزارة بختيار الذي فرَّ في ١٦ كانون الأول ١٩٧٨ من البلاد. وانتشر ذلك الخبر في طهران ثم سائر انحاء إيران وخرجت الجماهير الى الشوارع ترقص وتعبر عن فرحها.

من جانب آخر لم تستطع اجتماعات هايزر المتواصلة بالمستشارين العسكريين الامريكان وامراء الجيش الملكي من مساعدة بختيار في التغلب على الاضرابات وانهاء الثورة الجماهيرية.

هوامش القسم الأول من كتاب حديث الانطلاق

(١) سورة الكوثر.

(٢) سلالة البارشان القاجار حكمت ايران مدة قرن ونصف ومنذ عام ١١٩٣هـ (١٧٧٩م) حتى عام ١٣٤٤هـ (١٩٢٥م) تعرض الشعب الايراني خلالها الى انواع الظلم والاضطهاد الاجتماعي والثقافي، والسياسي، كذلك فقد تم في عهدهم عقد الاتفاقيات المذلّة مع الدول القوية آنذاك، ويعد العصر القاجاري بداية اتساع نفوذ الغرب في إيران.

(٣) ـ في عام ١٣٦٧هـ ق (١٨٩٠م) أعطى ناصر الدين القاجاري والصدر الأعظم علي أصغر خان أتابك امتيازاً لشركة (رجي) الإنجليزية التي يمثلها الميجر تالبوت لتصنيع التبغ الايراني وتسويقه، وقد نصت الاتفاقية التي يسري مفعولها لمدة خمسين عاماً على بنود مجحفة منها:

الفصل الثاني: ينحصر حق بيع وشراء وتصنيع التبغ ومشتقاته في الداخل والخارج بالشركة صاحبة الإمتياز بشكل تام.

الفصل الرابع:تُعفى المكائن والعدد والأجهزة التي تحتاجها الشركة لعملها وتستوردها من الخارج من الرسوم الجمركية.

الفصل الخامس: يمنع حمل ونقل التبغ دون ترخيص من الشركة صاحبة الامتياز عدا المقدار الذي يحمله المسافر لاستخدامه الشخصي!!

الفصل السادس: تقوم الشركة بشراء كافة المحصول الايراني من التبغ بلا استثناء.

وبعد توقيع الإتفاقية اصدرت شركة (رجي) بياناً في لندن أوضحت فيه ان الأرباح السنوية المتوقعة للشركة ستناهز النصف مليون ليرة، يكون منها اربعمائه ألف ليرة عائدات خالصة للشركة، حيث كانت الاتفاقية قد نصت أيضاً على دفع ربع الربح المتحقق سنوياً الى ايران.

وبالمقارنة مع الإتفاقية التي عقدتها بريطانيا ايضاً مع الدولة العثمانية يتبين مدى الضرر الذي لحق بايران نتيجة هذه الاتفاقية حيث ان خُمس الشعب الايراني كان يعمل آنذاك بالتبغ كمهنة اساسية، بالإضافة إلى ان ايران كانت تصدر سنوياً ما لا يقل عن (٤٣٥) طناً من التبوغ الى تركيا والهند وافغانستان، وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تلتزم فيه بدفع ستمائة وثلاثين الف ليرة الى الدولة العثمانية اكتفت هنا بدفع خمسة عشر ألف ليرة، كما ان مدة العقد كانت مع الدولة العثمانية ثلاثون عاماً بينما مع إيران خمسون عاماً، واخيراً فإن الاتفاقية مع الدولة العثمانية كانت تخصّ التجارة بالتبغ داخل الدولة العثمانية فقط دون السيطرة على تجارته في الخارج.

هذه العوامل مضافاً الى العديد من النتائج التي ترتبت على هذه الاتفاقية أثارت حفيظة علماء الدين للوقوف بوجه هذه الاتفاقية، ناهيك عن الخوف من تنامي الشركة لتصبح كشركة الهند الشرقية أداة استعمارية تقضي على استقلال البلاد، وناهيك ايضاً عن ان هذا الامتياز يمثّل حلقة في سلسلة تبديد ثروات البلاد، فقد سبقته امتيازات أُخرى كثيرة في الكهرباء والهاتف والطرق وغير ذلك كثير، لذا فقد أرسل الميرزا محمد حسن الحسيني الشيرازي رسالة الى الملك عبر فيها عن استنكاره لهذه الاتفاقية المخزية، وكذا فعل الكثير من العلماء في الداخل كالمجتهد التبريزي جواد آقا في تبريز، والسيد النجفي في اصفهان الذي أصدر - باعتباره مجتهداً - فتوى بتحريم استعمال التبغ، غير أن البلاد ظلّت بانتظار الرد الحاسم من الميرزا الشيرازي، وفي ١٥ جمادى الاولى ١٣٠٩هـ ق (١٨٩١م) ابرق سماحته يقول:

«ان استعمال التبغ والتباكو اليوم بأي نحوٍ كان، يعدُّ بمثابة المحاربة لإمام الزمان عجل الله تعالى فرجه الشريف».

وبشيوع خبر وصول هذه البرقية أشاعت الحكومة الملكية أن هذه البرقية لا أساس لها، فهجمت الجماهير على مراكز البريد ترغب في إرسال استفساراتها الى الميرزا الشيرازي، ولكن لما حالت قوات النظام دون قيامهم بذلك أدركت الجماهير صحة البرقية!.

وقد أدت هذه العبارة القصيرة المختصرة الى تفجّر الأوضاع في مختلف انحاء البلاد، حيث أقدمت الجماهير على تحطيم كافة أدوات التدخين من النرجيلات وغيرها في الشوارع. ومن طريف ما حدث ان قصر الملك ناصر الدين أيضاً لم ينأ عن هذه النهضة، فقد قام الخدم في منزله بتحطيم كافة النرجيلات حتى بقيت واحدة من النرجيلات الكبيرة المصنوعة من الفضّة، وقد فوجئ ناصر الدين ذات يوم بمجموعة من خدمه يحملون هذه النرجيلة بقصد تحطيمها تحت إشراف زوجته فبادر بالسؤال: ما هذا؟ فقالت زوجته: نريد تحطيم النرجيلة فالتدخين حرام.

قال: من الذي حرّمه؟

فقالت: نفس الذي أحلّني عليك (أي الشرع).

كما قام أحد التجار المتدينين بإحراق أكثر من اثني عشر ألف كيس من التبغ ليحرم الإنجليز من شرائه.

وبذا اضطر الملك ناصر الدين الى إلغاء الاتفاقية نهائياً ودفع غرامة الغائها كما نصّت على ذلك الاتفاقية، وهي خمسمائة ألف ليرة، قام باقتراضها من بنك رويتر الانجليزي! الذي أقرضه المبلغ بفائدة سنوية ٦٪!!

(٤) السيد جمال الدين الأسد آبادي (الأفغاني) (١٢٥٤ ـ ١٣١٤هـ ق) أحد أبرز علماء الدين الذين لمع نجمهم في النصف الثاني من القرن التاسع عشر الميلادي، الوقت الذي كانت الدولة العثمانية تعيش فيه حالة الإحتضار؛ وبلاد فارس ترزح تحت سياط الظلم القاجاري في عهد الملك ناصر الدين، وفي الوقت الذي كانت اوروبا تخطو خطواتها في ما يسمى بعصر النهضة الصناعية.

انبرى السيد جمال الدين لمواجهة الظلم ولتحريض المسلمين على القيام بوجه الظلمة وعلى الاتحاد والتكاتف، قام مع محمد عبده وعبد الرحمن الكواكبي في اسطنبول بتأسيس «الاتحاد الاسلامي» بعد أن تنقل في مختلف البلدان الإسلامية كمصر والحجاز وتركيا والعراق وسوريا والتقى ابرز علمائهم السنّة والشيعة، وقد أضفت زياراته المتكررة الى البلدان الأوروبية كفرنسا والمانيا وبريطانية وروسيا وغيرها ثقافة عالية ومعرفة باللغات والالسن على شخصيته المتماسكة وسحر بيانه وقوّت من تأثيره في المسلمين اينما كانوا؛ تعتبر مساعيه مع معاصريه من العلماء العاملين السبب في نشر الوعي الديني في الشرق، الأمر الذي حال الحكام دوماً دون تكامله وتحققه بشكل فعّال. زار السيد جمال الدين ايران مرتين بناء على دعوة من الملك ناصر الدين إلاّ انه لم يحضَ بالتكريم، وخصوصاً في المرة الثانية التي جاءت على أثر التقائه ناصر الدين في ميونخ في المانيا حيث كان الأخير ذاهباً هناك للعلاج؛ فحينما التقاه دعاه من جديد لزيارة ايران، ولما لم ينسجما اعتزله السيد جمال الدين واستقر في منطقة الري قرب حرم عبد العظيم الحسني وظل هناك مدة ثمانية اشهر يفضح الملك وحكومته، عندما أوجس الملك منه خيفةً ارسل إليه خمسمائة فارس فاعتقلوه وهو على فراش المرض ونفي الى العراق، ومن العراق سافر بُعيد شفائه الى فرنسا من جديد وكاتب الكثير من العلماء في النجف وايران يوضّح لهم تدهور اوضاع الشعب الايراني ويحثّهم على العمل، وله في هذا الخصوص رسالة ساحرة البيان ارسلها الى الميرزا الشيرازي يحثه على تحريم التنباكو، كما كان مريدوه، ومنهم الشيخ هادي نجم آبادي وسيد محمد الطباطبائي . وكلاهما من قادة النهضة الدستورية . يقومون بالتبليغ لأفكاره في ايران.

كان الأوروبيون ينظرون الى السيد جمال الدين على انه في مصاف الشيخ الرئيس ابن سينا وابن رشد؛ وحينما كان في فرنسا دعاه الحاكم العثماني للمجيء الى العراق وعاد لذلك؛ وعندما شاع خبر محاولة اغتيال الملك ناصر الدين الفاشلة وما اشيع من اتهام الحكومة الايرانية السيد جمال الدين بالتحريض عليها ألقاه الحاكم العثماني في السجن حتى مات فيه عام ١٣١٤هـ ق.

(٥) مظفر الدين القاجاري: خامس ملوك السلالة القاجارية، حكم ايران لمدة احد عشر عاماً. وقد أدّى عدم صلاحيته كحاكم وعدم لياقته للحكم الى ترك أسوأ الآثار على البلاد، سافر الى اوروبا عدة مرات فاضطر الى الاقتراض مرتين من روسيا القيصرية لتأمين نفقات سفراته الباهظة التكاليف. الأمر الذي اضطره الى تفويض امر جمارك الشمال وصيد الاسماك في بحر الخزر الى الروس. كذلك فقد اضطر الى تفويض امر جمارك البلاد الجنوبية الى الانجليز بعد ان اقترض منهم. مما عرض البلاد الى الافلاس واستتبع قيام الحركة الدستورية التي دفعته. ونزولاً عند ضغط التحرريين في عام ١٣٢٤هـ (١٩٠٦م) الى اصدار اوامره بتحول الملكية المستبدة الى ملكية مشروطة بالدستور. وبعد امضائه الدستور الذي تمّ اعداده من قبل مجلس الشورى الوطني. توفي في العام نفسه.

(٦) هوالشيخ عبد الكريم بن محمد جعفر الحائري اليزدي، ولد سنة ١٢٧٦هـ. ق في (قرية مهرجرد) احدى توابع (أردكان) من مدن (يزد)، ودرس المقدمات في (اردكان)، ثم انتقل الى (يزد) فاتم السطوح في (مدرسة الخان) لدى المرحوم الحاج الميرزا حسين وامق والسيد يحيى المجتهد اليزدي، ثم انتقل ولما يزل شاباً الى العراق ليقيم في سامراء ويكمل دراسته هناك لدى الميرزا محمد حسن الشيرازي (المرجع في ذلك الوقت) والسيد محمد الطباطبائي الفشاركي الاصفهاني، ثم انتقل بعيد وفاتهما الى النجف الاشرف فدرس لدى الخراساني (صاحب الكفاية) واليزدي (صاحب العروة الوثقى)، حتى بلغ مرتبة الاجتهاد، فاستوطن كربلاء حتى عام ١٣٣٢هـ ق انتقل بعدها الى (اراك) ليدرّس في حوزتها الناشئة جنباً الى جنب آية الله الشيخ محمد سلطان العلماء وآية الله نور الدين العراقي وآية الله الحاج الميرزا محمد علي خان وآية الله الحاج مصطفى فريد محسني وغيرهم، ثم انتقل الى قم في ٢٤ رجب ١٣٤٠هـ ق ليستقر فيها فأسس الحوزة العلمية وحقق للبلدة اضافة الى ذلك انجازات هامة منها بناء مستشفى (سهامي وفاطمي)، وبناء سد على نهر قم، وبناء (قلعة مبارك آباد) وتعمير مدارس الفيضية ودار الشفاء وتأسيس مكتبة الفيضية.

عرف عنه الصلاح والتقوى والعلم الوافر، له مؤلفات عديدة منها درر الفوائد (في الاصول)، كتاب الصلاة، وغيرهما، تخرج على يديه عشرات المجتهدين الأفاضل، توفي - رضوان الله عليه - في ١٧ ذي القعدة سنة ١٣٥٥هـ ق. وشيع جثمانه الالوف، ودفن في قم في حرم السيدة المعصومة (عليها السلام).

(٧) - هوالسيد حسين علي بن الميرزا أحمد الطباطبائي الحسني البروجردي، ولد في بروجرد سنة ١٢٩٢هـ ق. وانهى المقدمات في مدرستها ثم تابع تحصيله

في اصفهان، حتى عام ١٣١٩هـ ق حيث سافر الى النجف الاشرف فحضر درس آية الله الآخوند، وملا محمد كاظم الخراساني (صاحب كتاب كفاية الأصول) وشيخ الشريعة آية الله شريعت الاصفهاني فنال اجازة الاجتهاد. وعاد الى بروجرد سنة ١٣٢٨هـ ق وبوفاة والده لم يتمكن من العودة الى النجف. ذهب عام ١٣٤٤هـ ق حاجاً ، وعاد عن طريق النجف فبقي فيها ستة اشهر. ولدى عودته الى ايران سنة ١٣٤٥هـ ق أوقف لمدة ثلاثة اشهر لما صادف من قيام ونهضة علماء أصفهان، وبعد الافراج عنه استقر في مشهد ما ينيف على العام. ثم عاد الى بروجرد، وفي سنة ١٣٦٣هـ سافر الى طهران للمعالجة وبعد شفائه، استقر في قم، وتسنم بعد وفاة السيد ابو الحسن الاصفهاني مقام المرجعية فسعى في تثبيت الحوزة وتوسيعها. أسس وساهم في تأسيس العديد من المدارس العلمية في قم والنجف وكربلاء، وبنى المسجد الأعظم في قم، وساهم في بناء مسجد (هامبورك) الكبير في المانيا وعدة مساجد وحسينيات في أماكن متفرقة من العالم. من مؤلفاته: الحاشية على الكفاية، الحاشية على النهاية (للطوسي) كتاب كبير في الفقه، حواشي ومستدركات على فهرست الشيخ منتجب الدين الرازي، حواشي كتاب المبسوط، ورسالة في أسانيد الصحيفة السجادية، تجريد أسانيد الكافي واصلاح ومستدركات رجال الشيخ وغيرها. توفي يوم الخميس ١٢ شوال ١٣٨٠هـ ق عن عمر ينيف على التسعين، ودفن في جوار مرقد السيدة المعصومة (عليها السلام) في قم.

(٨) ـ الكلمات القصار ـ الفصل الاخير.

(٩) ديوان الامام الخميني: ص٧٤.

(١٠) هو الشيخ مرتضى نجل العلامة محمد حسين المطهري، ولد في قرية (فريمان) من توابع مدينة مشهد، درس في مشهد، ثم انتقل سنة ١٣٥٨هـ ق ولما يبلغ الثامنة عشر الى قم، فحضر مجالس بحث الفقه والأصول لدى (اية الله الصدر وآية الله السيد محمد المحقق وآية الله السيد محمد الحجت) ثم حضر ابتداءاً في سنة ١٣٦٩هـ ق بحث الامام الخميني في الفلسفة والعرفان، مضافاً الى حضوره درس آية الله البروجردي حتى سنة ١٣٧٣هـ ق. كما حضر بحث المرحوم العلامة الطباطبائي بدءاً من سنة ١٣٧١هـ. ق.

مارس التدريس في الحوزة العلمية خلال ذلك، هاجر سنة ١٣٧٣هـ ق الى طهران وانشأ هناك حوزةً للدرس في (مدرسة مروي) فدّرس فيها الفلسفة. ابتدأ نشاطه في التأليف سنة ١٣٧٤هـ ق، وفي سنة ١٣٧٦هـ ق ارسلت في طلبه جامعة طهران ليمارس التدريس في كلية الالهيات والمعارف الاسلامية فقبل ذلك ومارس التدريس وشغل منصب رئيس قسم الفلسفة عامين متتالين.

كان من اقطاب التحرك الثوري الذي قاده الامام الخميني (رضوان الله تعالى عليه) لذا تعرض للاعتقال في ليلة الخامس من حزيران سنة ١٩٦٣م وبقي سجيناً ما يقارب الشهرين. شارك في تشكيل (جماعة علماء الدين المجاهدين «جامعهٔ روحانيت مبارز») وكان ممثلاً للامام الخميني في الحوزة العلمية.

سافر بعد سفر الامام الخميني الى (باريس) فقام بناءً على توجيهاته بتشكيل مجلس قيادة الثورة، اغتيل بعيد انتصار الثورة الاسلامية في طهران وذلك ليلة ١٩٧٩/٥/٢م (٤ جمادى الاخرة ١٣٩٩هـ ق) مخلفاً وراءه تراثاً فكرياً ضخماً فمن مؤلفاته: أسباب الميل نحو المادية في ايران، الادارة والقيادة في الاسلام، نظام حقوق المرأة في الاسلام، مسألة الحجاب، العدل الالهي وعشرات المؤلفات الاخرى.

(١١) هو الشهيد الدكتور محمد حسين البهشتي من علماء الدين المجاهدين ومن الوجوه العلمية والسياسية والثورية الاسلامية. كان له دور في جمع الطاقات الثورية في تشكيل اطلق عليه اسم الحزب الجمهوري الاسلامي الذي أُسس في الاشهر الاولى لانتصار الثورة الاسلامية بهدف مواجهة مؤامرات الاعداء. والدكتور البهشتي اول شخص عينه الامام في رئاسة ديوان القضاء العالي وذلك لترتيب شؤون القضاء في البلاد على مختلف المستويات. استشهد الدكتور البهشتي في شهر سبتمبر عام ١٩٨١ مع جمع من مسؤولي نظام الجمهورية الاسلامية وذلك اثر الانفجار الذي وقع في مقر الحزب الجمهوري الاسلامي بواسطة بعض العناصر من حركة المنافقين (مجاهدي الشعب) اثر عنه مؤلفات عديدة في مختلف المجالات.

(١٢) اقدمت الحكومة الايرانية في ١٩٦٣/١٠/٨ على المصادقة على لائحة خاصة بالانتخابات المحلية تم من خلالها حذف شرط اسلامية الناخبين والمرشحين واستبدال القسم الدستوري الذي يؤديه المرشحون الفائزون بالكتاب السماوي بدلاً من القرآن الكريم الامر الذي عارضه الامام الخميني بشدة وجعل منه محفزاً لتحريك الشعب في مواجهة الحكومة.

(١٣) ينقسم الحكم الملكي الى عدة أقسام تبعاً لنسبة صلاحية الملك في الحكم فمنها «الملكية الاستبدادية (المطلقة)» التي يكن للملك فيها مطلق الحرية في التصرف، ويعمل الجميع باسمه وتكون الحكومة بتعيينه هو. ومنها الملكية البرلمانية (الدستورية، أو المقيّدة) التي تفوض الملك صلاحيات محدودة ويشرف على أمور البلاد بالاضافة إليه مجلس شيوخ أو أعيان أو مجلس وطني أو شورى، او كلاهما معاً، ويطلق على هذا النوع باللغة الفارسية «المشروطة» وواضح ان الكلمة مأخوذة من اللغة العربيةحيث تعني «الملكية المشروطة بالدستور». ويبدو أنها تسربت الى ايران من الدولة العثمانية التي اصبحت حكومتها «دستورية» في عام ١٨٧٤م.

ولم يحدد المؤرخون تاريخاً معيناً لبدء النهضة الدستورية في ايران، إلا إنه يمكن اعتبار هزيمة ايران في حربيها مع الروس وانعقاد معاهدة جلستان وتركمن شاي، وتطبيق نظام الحصانة للاجانب ضد مصالح الشعب، والقروض التي اخذها الملوك في تلك العهود بدءاً لتنامي الوعي بضرورة تحديد صلاحيات الملك، وكان أوضح مظهر لوقوف الشعب الإيراني بوجه الملك ما حدث في عام ١٩٠٦م في قضية تحريم التبغ، بيد أن حركة علماء الدين قبل ذلك التاريخ هيأت الأرضية لذلك، ففي عام ١٩٠٥ م قام المخلصون بتشكيل أول تجمع سياسي له تسعة اشخاص كلجنة مركزية كان من ضمنهم (السيد جمال الدين الواعظ الاصفهاني وملك المتكلمين، دولت آبادي، وآية الله سيد عبد الله البهبهاني، واية الله السيد محمد الطباطبائي، وآية الله الشيخ فضل الله النوري) الذين قاموا بتوزيع منشورات تدعو الى تعديل صيغة الحكم، مما أدى الى القاء القبض على بعضهم وتعريض البعض الآخر للإهانة كما حصل حينما أُنزل السيد جمال الدين الواعظ من على منبره، أو ارتداء البلجيكي المدعو (نوج) ـ الذي استخدمته الحكومة الإيرانية من الروس لإصلاح وضع الجمارك ـ لباس علماء الدين وإثارة مشاعر الجماهير، واعتصام الشيخ فضل الله النوري في حرم عبد العظيم الحسني مع اثنين من علماء الدين، فعزل الملك رئيس وزرائه (علاء الدولة) وأعلن عن القبول بتأسيس وزارة عدل، غير انه لم يفِ بوعده مما أدى الى تعقيد الوضع أكثر ودفع ببعض العلماء الى الهجرة الى (قم) ولجوء البعض الآخر منهم الى سفارة انجلترا، باعتبار ان الروس هم الذين كانوا يدعمون الملك مظفر الدين القاجاري. وبعد ان رأى الملك تأزم الوضع ارسل في طلب العلماء من قم وأصدر أوامره بقبول الملكية الدستورية، وبذا استبدلت الملكية المستبدة بحكومة ملكية مشروطة بالدستور؛ وبعد كتابة الدستور ومتممه واجراء الانتخابات في عام ١٢٨٥هـ ش (١٩٠٦م) في طهران، ابتدأ الملك بالانحراف مجدداً عن أُسس الدستور فعاود الشيخ فضل الله النوري الاعتصام مجدداً في حرم عبد العظيم الحسني معلناً عن معارضته للملكية الدستورية ومطالبته بالملكية الدستورية المشروعة المستندة الى أحكام الشريعة. وتدهورت الأوضاع سريعاً، وتوجت الأزمة بمهاجمة الحكومة البرلمان واغلاقه بقوة السلاح، الأمر الذي اتاح للمطالبين بالدستورية أو من اعتلى الموجة الى التوجه من تبريز ورشت وأصفهان وخوزستان وغيرها ومحاصرة طهران ثم احتلالها والإطاحة بالملك في ٢٨ جمادى الآخرة ١٣٢٧هـ ق الموافق ١٩ تموز ١٩٠٩م) وهروب مظفر الدين القاجاري الى روسيا وتعيين ابنه أحمد (وكان عمره آنذاك اثني عشر عاماً) ملكاً مقيداً بالدستور بدل والده؛ غير ان الذين تسلّطوا على الأوضاع كانوا من

الإقطاعيين والمنتفعين وغيرهم ممن رأوا في مطالبة الشيخ فضل الله النوري الاستناد الى أحكام الشريعة خطراً حقيقياً فحملوه مسؤولية تدهور الأوضاع وقضوا عليه بالاعدام هو وآية الله عبد الله البهبهاني والسيد محمد الطباطبائي وملك المتكلمين وسيد جمال الدين الأصفهاني والحاج الشيخ محمد سلطان وغيرهم، وذلك في ١٣ رجب ١٣٢٧هـ ق.

(١٤) صحيفة النور ج١٢ ص ١٣٦

(١٥) اسماء طائفتين من الاشرار والاقطاعيين الظالمين، الذين كانوا يمارسون الظلم والنهب في المحافظة المركزية اثناء العهد القاجاري الذي تميز بالهرج والمرج.

(١٦) صحيفة النور ج ١٠ ص ١٦٣.

(١٧) صحيفة النور ج١٦ ص ٩٢.

(١٨) هو رجل قاس متجبّر أسّس في ايران حكومة ملكية عام ١٩٢٤م، التحق بالمجموعات المسلّحة الشقية المتجبرة وهو في الرابعة عشر من عمره، وسرعان ما بلغ أعلى مستويات القيادة لهذه المجموعات بسبب قساوة قلبه وتهوّره، فلفت انتباه البريطانيين واهتمامهم، وبما أنهم كانوا يسعون الى ايجاد حكومة قوية في ايران تحفظ مصالحهم، فقد وجدوا فيه ضالتهم المنشودة. وبالفعل فقد استطاع وبمساعدة الانجليز ان ينهي حكم «القاجار» وأن يتربع على العرش الملكي مدة ستة عشر عاماً، وعندما شاهد التقدم السريع لجيش هتلر، وسقوط الدول الأوروبية واستسلامها، بهت بذلك، ومدّ يده لهتلر طمعاً في أن يكون النصر حليفه. لكن دول الحلفاء اجتاحوا ايران، وعزلوا رضا خان، ونقلوه بسفينة بريطانية الى منفاه في «جزيرة موريس» شرق أفريقيا، ثم الى «جوهانسبرغ» جنوبي افريقيا، إلى أن مات فيها عام ١٩٤٤م.

(١٩) اشار الامام الخميني في احاديثه الى انه شاهد جلسات مجلس الشورى الوطني في عهد رضا خان عن قرب، واطلع على كيفية التحالفات السياسية التي كانت تحصل فيه في تلك الأيام، ومعارضة المجاهد الكبير آية الله المدرس لرضا خان.

(٢٠) هو داعية حرية واستقلال، بطل وعالم دين ومجاهد ضد الاستبداد، ولد عام ١٢٨٧هـ في قرية من قرى «اردستان» وامضى دراسته الابتدائية في «اصفهان» واكمل دراسته العليا في «النجف الأشرف».

كان (الميدرس) صاحب اسلوب وتعبير سهل يفهمه عامة الناس، كان ذو خُلق وعطف شديد، وعاش حياة بسيطة متواضعة. وهذه الصفات جعلت منه قائداً هادياً للناس.

عام ١٣٢٨هـ عين في الدورة الثانية لمجلس الشورى الوطني عضواً في لجنة الإشراف على قوانين المجلس ومراقبتها، وذلك بطلب من علماء النجف وايران.

بعد انتهاء الدورة الثانية للمجلس انتخبه أبناء طهران كممثل عنهم في الدورة الثالثة للمجلس. معارضته للحكومات العميلة المتتالية، ووقوفه بوجه التحركات الخائنة، ومعارضته لاتفاقية الخيانة عام ١٩١٩م التي عقدت بين حكومتي ايران وبريطانيا والتي أدت الى افشال تلك الاتفاقية وعدم التصويت عليها في المجلس كل ذلك دفع بريطانيا الى إصدار أمر باعتقاله مع بعض أصحابه وسجنهم وتعذيبهم وإيذائهم على يد عميل بريطاني آنذاك «رضا خان» قائد القوات. لكن الضغط الشعبي والتظاهرات المتزايدة المطالبة باطلاق سراحه اضطرت الحكومة الى اطلاق سراحه بعد أن قضى ثلاثة اشهر في السجن.

ثم فضح السيد المدرس «خطة الجمهورية» تلك المؤامرة التي طرحها «رضا خان» وعارض حكومة رضا خان ومشاريعه التي كانت تملى عليه من قبل بريطانيا، وأصبح المدرس أحد وأبرز وجوه المقاومة ضد الاستعمار والاستبداد. مما جعل الأجانب وعبيدهم الذين كانوا يخشون تعاظم نفوذه، والذين اغتاظوا لفشل مؤامراتهم المتكررة لقتله الى اتخاذ القرار النهائي بخنق هذا الصوت الهادر المطالب بالحرية والإسلام، فمهّدوا لذلك باعتقاله ونفيه. ثم دسّوا له السم في احد ايام شهر رمضان.

(٢١) مأمورية من اجل وطني (فارسي): ص ٨٨ و٨٩.

(٢٢) الكوثر. شرح وقائع الثورة الإسلاميّة: ج٢ ص ٦٩ .

(٢٣) الشهيد السيد مجتبى نواب الصفوي، احد مؤسسي حركة «فدائيو الاسلام» التي تمّ تشكيلها في عام ١٣٢٣هـ، وحركة فدائيو الاسلام من الحركات الدينية العريقة التي تحلت باعتقادها الراسخ بالاسلام ودور علماء الدين في قيادة الجماهير. من ابرز اعمالها القيام بعمليتي اغتيال (عبد الحسين هجير) و (سپهبد رزم آرا) رئيسا وزراء البلاط الملكي. في عام ١٣٣٤هـ تم اعتقال الشهيد نواب الصفوي وسائر اعضاء هذه الحركة من قبل ازلام النظام آنذاك وقدموا للمحاكم السريعة، التي قضت باعدامهم.

(٢٤) ديوان الامام الخميني ـ الملحق.

(٢٥) خلال فترة رئاسة الدكتور مصدق للحكومة توالت المخططات والمؤامرات من قبل مختلف الاجنحة السياسية ضده، وكان على رأسهم البلاط الملكي الذي سعى جاهداً للاطاحة بالدكتور مصدق، وحين شعر مصدق بذلك طلب من الملك ان يفوضه امر وزارة الدفاع ليتمكن من السيطرة على الاوضاع غير ان الملك لم يعتن بطلبه هذا، الأمر الذي دفع الدكتور مصدق الى تقديم استقالته في ١٦/٧/١٩٥٢م فبادر الملك على الفور لتنصب قوام السلطنة رئيساً للوزراء، غير انه وبمجرد الاعلان عن ذلك، انتفضت الجماهير واصدر آية الله الكاشاني بياناً اعلن فيه بصراحة عن معارضته لتنصيب قوام السلطنة كما

اعلن سماحته في مقابلة اجريت معه بأنه سيصدر حكماً باعلان الجهاد وسيرتدي كفناً ويتقدم الجماهير للاطاحة بالحكومة ما لم يُقَلْ قوام السلطنة من منصبه خلال مدة أقصاها ٤٨ ساعة.

وبمحض اطلاع الجماهير على موقف آية الله الكاشاني القاطع عطلت الاسواق اعمالها وشمل الاضراب الشعبي العام مختلف مظاهر الحياة. انطلقت الجماهير في الشوارع مطالبة باقالة قوام السلطنة الذي بادر بدوره باصدار الاوامر باطلاق النار على المتظاهرين مما أدى الى سقوط العديد من ابناء الشعب قتلى وجرحى.

ولعلاج الموقف سارع ممثلو الحكومة والملك للقاء آية الله الكاشاني لاقناعه بتهدئة الجماهير غير ان سماحته اصرّ على موقفه وأكد أنه سيعلن فتوى الجهاد ما لم يُقَلْ قوام السلطنة من منصبه.

عندئذ وإذ احسّ الملك بتزلزل موقفه اقال قوام السلطنة واعاد الدكتور مصدق لرئاسة الوزراء في ١٩٥٢/٧/٢١ وبذا يكون الدكتور مصدق عاد الى منصبه نتيجة تضيحات الجماهير التي مثل تحركها في تلك الأيام اوضح مصداقٍ على حضورها في ميدان الأحداث آنذاك.

(٢٦) اقر مجلس الشورى الوطني عام ١٩٥٦ (لائحة تأسيس منظمة الاستخبارات والامن القومي) (السافاك) وقد أسست هذه المنظمة رسمياً في عام ١٩٥٧. وكانت مهمتها الرئيسية مواجهة االمعارضين للنظام وقمعهم وضرب الحركة الاسلامية في ايران. كان للسافاك ارتباط وثيق مع المخابرات الامريكية الـ C.I.A والموساد الاسرائيلية حتى اصبحت مقار السافاك في الحقيقة مراكز للمخابرات الامريكية في الشرق الاوسط وقد تحولت السافاك تدريجياً الى منظمة مرعبة، فقد كان لها فرق ملاحقة ومراقبة متعددة، وكانت تقوم بارسال المعتقلين ابتداءاً الى اماكن خاصة لتعذيبهم والحصول على معلومات معينة ثم ارسالهم الى محاكم شكلية وبعد صدور حكم المحكمة (الذي كان معلوماً سلفاً) يلقى بالمعتقلين في سجون مخيفة وقد بلغت قسوة السافاك درجة جعلت الامين العام لمنظمة العفو الدولية يُعلن في سنة ١٩٧٥م منشوراً يقول فيه: ليس في العالم اي بلد اسوأ من ايران فيما يتعلق بحقوق الانسان... فجلادو السافاك يستخدمون بالاضافة الى الصعقة الكهربائية واساليب الضرب والشتم للمعتقلين، انواع الطرق الوحشية، منها ادخال القناني المكسورة في دبر المعتقل، تعليق الوزنات في الخصيتين والاعتداء الجنسي على السجناء والاعتداء على نساء وبنات المعتقلين امامهم لانتزاع الاعتراف الى غير ذلك وهي نماذج طرقهم الوحشية في التعامل مع المعتقلين، ولم تكن اعمال وممارسات السافاك بخفيّةٍ عن نظر الملك وقد تمّ حل هذه

المنظمة في عام ١٩٧٩ على يد الشعب الايراني المسلم وعوقب المعذبين في محاكم الثورة وللحصول على معلومات اكثر راجع صحيفة (آيندكان) الصادرة بتاريخ ٧ نيسان ١٩٧٩، الثورة الاسلامية وجذورها: ص ٤٩١، ظهور وسقوط سلطنة البهلوي: ج١ ص٣٧٩.

(٢٧) يعدُ الاصلاح الزراعي احد اهم السياسات الاستعمارية الجديدة التي سعى المستعمرون الى تطبيقها في جميع البلدان التي تقع تحت نفوذهم بدءاً من بلدان امريكا اللاتينية ومروراً بآسيا وأفريقيا وذلك بواسطة الحكومات العميلة في تلك البلدان وبصورة متشابهة تقريباً. وفي عام ١٩٦٢م اقدم الملك محمد رضا على تطبيق هذا المشروع بهدف كسب ثقة الرأسماليين الامريكان والتعبير عملياً عن موافقته وتعاونه معهم في تطبيق الاستراتيجية الامريكية الجديدة فضلاً عن فتح اسواق جديدة للاقتصاد الغربي من جهة والتخفيف من تدهور الاوضاع الداخلية والحيلولة دون اتساع النقمة الشعبية التي كانت تهدد بانفجارات اجتماعية خطيرة من جهة اخرى. والاصلاح الزراعي هو الاصل الاول من الاصول الستة التي طرحها الملك من خلال ما اسماه بثورة الشعب والملك، وبذلك فقد عرض الملك الاقتصاد الايراني الى الانهيار. وقد اقترن الاصلاح الزراعي في ايران بعملية توظيف رؤوس الاموال الاجنبية خصوصاً الامريكية في المجالات التجارية والصناعية، وقد اضر الاصلاح الزراعي بالزراعة في ايران بشكل كبير بحيث ان ايران تحولت وخلال بضع سنوات الى بلد رئيسي في استيراد القمح بعد ان كانت من البلدان المصدرة لها، من جانب آخر ونتيجة لشدة الهجرة من الأرياف الى المدن نتيجة الحاجة لهم في الصناعات والخدمات كقوة عمالة رخيصة، فقد خلت اكثر من عشرين الف قرية ايرانية من سكانها خلال الاعوام من ١٩٦٦م الى ١٩٧٧م.

(٢٨) صحيفة النور ج١/ ص ١٥.

(٢٩) صحيفةالنور ج١/ ص ٣٣.

(٣٠) صحيفة النور ج١/ ص١٦.

(٣١) في ليلة السادس من حزيران اذاعت إذاعة موسكو التحليل التالي عن انتفاضة الخامس من حزيران «قامت العناصر الرجعية في إيران ونتيجة لاعتقادها بأن الاصلاحات المزمع القيام بها في تلك الدولة وخصوصاً الاصلاحات الزراعية وتحرير المرأة الايرانية لا تنسجم مع ميولها، باقامة المظاهرات في طهران وقم ومشهد. وقد وقعت تلك الاضطرابات نتيجة ممارسات عدد من المعارضين للاصلاحات التي تنوي الحكومة القيام بها. ان المحركين الاصليين لهذه الاضطرابات هم مجموعة من الزعماء الدينيين وبعض العناصر الرجعية، ممن قاموا باحراق السوق المركزي، ونهب بعض

المحلات وتخريب بعض السيارات الصغيرة والحافلات، والهجوم على بعض الادارات الحكومية.»

كذلك فقد كتبت صحيفة «ايزفيستيا» الناطقة باسم الحكومة السوفيتية في ٧ حزيران ١٩٦٣م تقول: «... وقعت في طهران ومشهد وقم والري اضطرابات بتحريك من عدد من الروحانيين الاسلاميين الرجعيين».

«وقد استغل مثيرو الاضطرابات مراسم العزاء المعتادة لمواجهة الاصلاح الزراعي... كما قام عدد من الشبان المتطرفين بالاغارة على عدة محلات تجارية وقلب عدد من السيارات».

كما كتبت مجلة «العصر الجديد» الصادرة في الاتحاد السوفيتي تقول: «لقد دفع الخميني واعوانه، المسلمين للقيام بوجه الحكومة، متخذين من موضوع اعطاء النساء حقوقاً متساوية مع الرجال ذريعة لذلك القيام، وقد ادّت الحملات الاعلامية التي شنوها الى دفع بعض المتطرفين الى خلق الفوضى!» نقلاً عن دراسة وتحليل لنهضة الامام الخميني: ج١ ص ٥١٥.

(٣٢) دراسة وتحليل لنهضة الامام الخميني ج١ ص ٢٢٣.

(٣٣) صحيفة النور ج١ ص ٢٣.

(٣٤) وقّع على هذا البيان ذوي السماحة: «مرتضى حسين اللنجرودي، احمد الحسيني الطهراني، محمد حسين الطباطبائي، محمد الموسوي اليزدي، محمد رضا الموسوي الكلبايكاني، السيد كاظم الشريعتمدراي، روح الله الموسوي الخميني، هاشم الآملي، مرتضى الحائري» وللاطلاع على متن البيان الكامل وكيفية توافق العلماء على امضائه راجع كتاب دراسة وتحليل لنهضة الامام الخميني ج١ ص ٢٩٤ ـ ٣٠٢.

(٣٥). صحيفة النور ج١ ص ٢٧.

(٣٦) هو الامام جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي السجاد بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب أمير المؤمنين (عليهم السلام) ولد بالمدينة فجر الجمعة أو الاثنين السابع عشر من ربيع الاول، وقيل أول رجب، سنة ٨٠ للهجرة (عام الجحاف) وقال المفيد والكليني والشهيد سنة ٨٣ هـ ق، وتوفي يوم الاثنين ٢٥/ شوال/ سنة١٤٨ وعمره ٦٨ عاماً أو ٦٥ اقام منها مع جده علي بن الحسين (١٢) سنة أو (١٥) سنة ومع ابيه بعد جده (١٩) سنة وكانت امامته بعد ذلك (٣٤) سنة.

امه (ام فروة) وقيل (ام القاسم) واسمها (قريبة) او (فاطمة) بنت القاسم بن محمد بن ابي بكر وامها أسماء بنت عبدالرحمن بن ابي بكر وإلى هذا يشير الصادق (عليه السلام) بقوله: إنّ أبا بكر ولدني مرتين.

يُكنى (ابا عبد الله) وهو المشهور و (ابو اسماعيل) و (ابو موسى) ويلقب بالصادق.

له عشرة أولاد سبعة ذكور وثلاث بنات وقيل احد عشر سبعة ذكور واربع بنات اشهرهم موسى الكاظم (عليه السلام). يعد الصادق (عليه السلام) اشهر اهل زمانه علماً وفضلاً،قال مالك بن أنس إمام المذهب المالكي: ما رأت عينٌ ولا سمعت اذن ولا خطر على قلب بشر افضل من جعفر بن محمد فضلاً وعلماً وعبادة وورعاً. وقال ابو حنيفة النعمان بن ثابت امام المذهب الحنفي مشيراً الى ما استفاده منه اثناء تتلمّذه على يديه: ولولا السنتان لهلك النعمان.

جمع اصحاب الحديث اسماء الرواة عنه من الثقات على اختلافهم في الآراء والمقالات فكانوا اربعة الاف رجل، مضافاً الى من استفاد منه من أعيان الأئمة وأعلامهم مثل يحيى بن سعيد الانصاري وابن جريح ومالك بن انس والثوري وابن عينية وابو حنيفة وشعبة وايوب والسختياني وجابر بن حيان الكوفي وابان بن تغلب وآخرين، روي عنه في التفسير وعلم الكلام واخذت عنه مهمات علم اصول الفقه كما رعى العلماء في مختلف العلوم الطبيعية أيضاً.

له مؤلفات تربو على العشرين منها: رسالته الى النجاشي، توحيد المفضل، رسالته الى اصحاب الرأي والقياس، رسالته في الغنائم ووجوب الخمس وغير ذلك كثير.

يعتبر اعظم انجازاته التي حققها (عليه السلام) وضعه اساس التأليف في الاسلام، اذ لم يكن التأليف والتدوين معروفاً او مشهوراً قبله، حتى بلغ الأمر بعد ذلك ان بلغت مؤلفات طلابه الاربعمائة كتاب. وقيل انه مات مسموماً، دفن بالبقيع مع ابيه وجده.

(٣٧) الكوثر شرح وقائع الثورة الاسلامية ج١ ص ٦٧.

(٣٨) صحيفة النور ج١ ص ٣٩.

(٣٩) في ضاحية نوفل لوشاتو الواقعة على بعد (٢٥) كيلو متراً من العاصمة الفرنسية باريس وُضع منزلان صغيران تحت تصرف الإمام الخميني (س) ومرافقيه.

المنزل الاول كان صغيراً جداً وكان يعيش فيه الامام مع افراد عائلته. أما المنزل الثاني وكان يقع في الجهة المقابلة للمنزل الأول فقد كان مخصصاً للاجتماعات وللطلبة الجامعيين الايرانيين ولأعضاء مكتب الامام، وكان الامام يقيم فيه صلاة الجماعة كما كان يصلي فيه نافلة الليل.

كما أُستأجر محلٌ آخر كفندق لاستراحة الطلبة الجامعيين والضيوف الذين كانوا يأتون لزيارة الإمام الخميني، وكان الشهيد مهدي العراقي يتولى مسؤولية إدارة هذا المحل. وبسبب ضيق المكان كان يقضي عشرون الى ثلاثين شخصاً ليلتهم في غرفة واحدة.

وكان القادمون لزيارة الإمام يستطيعون البقاء في هذا المكان لمدة ليلتين. والجدير بالذكر هنا أن الامام الراحل كان لا يسمح بدفع قيمة إيجار هذا المحل من

سهم الامام (الخمس) لما عُرف به من دقة في صرف الحقوق الشرعية، لذا كان المتمكنون مالياً من الإيرانيين يتولون دفع قيمة الايجار توسعة على الطلبة الجامعيين الايرانيين.

(٤٠) للاطلاع على نص البرقية وتفاصيل الأمر، راجع كتاب دراسة وتحليل لنهضة الامام الخميني ج١ ص ٣٩٨ ـ ٤٠٥.

(٤١) صحيفة النور ج١ ص ٤٦.

(٤٢) صحيفة النور ج١ ص ٤٤.

(٤٣) ظهور وسقوط سلالة البهلوي (فارسي) ج١ ص ٥١٠.

(٤٤) اشارة الى الحادثة المؤسفة التي وقعت عام (١٩٦٣) والتي تم خلالها اعدام اثنين من المجاهدين بتهمة المشاركة في انتفاضة الخامس من حزيران وقد تم تنفيذ الحكم في فجر الثاني من تشرين الثاني ١٩٦٣، والطيب الحاج رضائي، تمكن من القضاء على شعبان الجعفري (المشهور بالمجنون) ومجموعته التي كانت تعمل لصالح النظام الملكي وذلك خلال احداث انتفاضة الخامس من حزيران. كذلك فإن الحاج أسماعيل الرضائي من المؤمنين التحرريين الطهرانيين.

وقد عرض النظام الملكي كلا الاخوين الى اقسى انواع التعذيب الروحي والبدني مطالباً اياهما بالاعتراف بأخذ الأموال من الامام، ولما ثبت لعناصر النظام شدة مقاومتها بادر الى قتلهما. وعلى اثر انتشار خبر شهادتهما عطلت الحوزة العلمية اعمالها، كذلك فقد تجمع العديد من المجاهدين المعروفين ورجال السوق الملتزمون وعلماء الدين في اليوم السابع من شهادة الاخوين وذلك تحت عنوان «الهيئات الاسلامية المؤتلفة» واصدروا بياناً بالمناسبة جاء في جانب منه «... تم في فجر يوم السبت اعدام اثنين من ابطال إيران اللذين تحملا اشد انواع التعذيب غير الانساني دون ان يكونا على استعداد للاعتراف الكاذب بما املته عليهما مديرية الامن والذين أريد به الاساءة الى علماء الدين وسوف يبقى اسميهما علامة بارزة تزين صفحات تاريخ الجهاد ضد الاجانب»

وتجدر الاشارة الى ان عدد المعتقلين في مسألة الطيب والحاج اسماعيل هو سبعة عشر شخصاً طالبت المحكمة العسكرية التي قدموا اليها بانزال حكم الاعدام بهم جميعاً غير ان المحكمة الابتدائية حكمت خمسة منهم بالاعدام نجا ثلاثة منهم. وبقي جمعٌ من المعتقلين في السجن حتى انتصار الثورة الاسلامية.

أوردنا اعلاه نقلاً عن اعترافات احد شهود المحاكمة وهو الجنرال دولوقاجار (الحاكم الذي حكم على الطيب والحاج اسماعيل) والتي ادلى بها امام محكمة الثورة الاسلامية في طهران.

راجع صحيفة جمهوري اسلامي الصادرة بتاريخ ٢٥ تشرين الثاني ١٩٧٩.

(٤٥) دخل حسين فردوست ومنذ طفولته كتلميذ في مدرسة خاصة تسمى المدرسة الابتدائية العسكرية ليكون رفيقاً لمحمد رضا وذلك بترتيب من رضا خان، وبذلك فأن فردوست يكون اقرب اصدقاء محمد رضا البهلوي وامين سره منذ الطفولة، وحينما اوفد ولي العهد محمد رضا الى سويسرا لاتمام دراسته اوفد فردوست معه وبشكل رسمي وكان من الصديق المقرب لمحمد رضا خلال سنوات الدراسة في الخارج، وبصعود محمد رضا الى سدة الحكم كان فردوست الى جانبه ايضاً وكان الملكُ يقدمه على انه صديقه المقرب.

الجنرال حسين فردوست كان يعمل عمل العين والأذن لمحمد رضا بهلوي، فقد كان على رأس اهم مؤسسات النظام المخابراتية (مكتب المخابرات الخاص) الذي يمثل مؤسسة شخصية للملك هدفها جمع المعلومات له وهي تمثل قمة الهرم الاداري لجميع منظومة المؤسسات السياسية والمخابراتية للبلاد بما في ذلك السافاك.

(٤٦) «احاديثي مع الملك» المذكرات السرية للأمير أسد الله علم.

(٤٧) احد رؤساء جمهورية مصر العربية تولى الحكم عام ١٩٥٤، وبعد عامين من توليه الحكم بادر الى تأميم قناة السويس، دخل حرب الستة أيام في مواجهة العدو الصهيوني. توفي عام ١٩٧٠ ودفن في محل عمله.

(٤٨) راجع الهامش رقم ١٤.

(٤٩) الكوثر شرح وقائع الثورة الاسلامية ج١ ص ١٠١.

(٥٠) الكوثر شرح وقائع الثورة الإسلامية ج١ ص ١١٢.

(٥١) الكوثر شرح وقائع الثورة الإسلامية ج١ ص ١١٢.

(٥٢) صحيفة النور ج١ ص ٨٣ والموقعون على هذا البيان هم ذوي السماحة: «روح الله الموسوي الخميني، محمد هادي الحسيني الميلاني، شهاب الدين النجفي المرعشي، حسن الطباطبائي القمي».

(٥٣) آية الله السيد محمود الطالقاني (١٩٠٠ ـ ١٩٧٩م) احد علماء الدين الملتزمين والمجاهدين كان له دور بارز في الجهاد الشعبي الاسلامي الايراني ضد الاستبداد والاستعمار. سافر ـ بعد اتمامه دروسه في حوزة قم العلمية الى طهران ليؤدي دوره في التبليغ بالاسلام وذلك عام (١٩٣٨م) اعتقل في عام (١٩٣٩م) بتهمة معارضة النظام البهلوي واودع السجن فترة من الزمن كان مكان درسه في مسجد (هدايت) في طهران منذ عام ١٩٤٨م فما بعد، فأصبح مكان درسه محلاً لتجمع العناصر المثقفة المتدينة والطاقات الملتزمة من اعضاء الجبهة الوطنية، الأمر الذي انتهى فيما بعد الى تأسيس حركة «نهضة الحرية». سافر في الأعوام ١٩٥١ و١٩٥٢ م الى مصر والاردن، ساهم

في حركة المطالبة بتأميم النفط، واعتقل بعدانقلاب (٢٨ مرداد) بتهمة التستر على نواب الصفوي، زعيم حركة فدائيي الاسلام. ومن ضمن نشاطاته السياسية البارزة مساهمته في تأسيس حركة نهضة الحرية في عام (١٩٦٠م) كعضو اساسي، الحركة التي يمكن اعتبارها انشقاقاً عن الجبهة الوطنية. غير انه وقبل احداث الخامس من حزيران تم اعتقال مؤسسي حركة نهضة الحرية ثم تم تقديمهم للمحاكمة بعد نهاية الاحداث وصدرت بحقهم احكام مختلفة بالسجن لمدة لم تزد عن العشرة اعوام. وفي عام (١٩٦٧م) تم اطلاق سراح السيد الطالقاني ثم لجأ النظام الى نفيه الى مدينة زابل ثم الى مدينة بافت كرمان في عام ١٩٧١.

وفي عام ١٩٧٥م القي القبض عليه مجدداً بسبب خيانة أحد المنافقين وحكم عليه بالسجن لمدة عشرة اعوام. وبقي في محبسه حتى (١٩٧٨/١١/٩م) حيث اطلق سراحه مع الشيخ المنتظري وعدد من السجناء السياسيين.

اما بعد انتصار الثورة الاسلامية فقد تم اختياره لرئاسة شورى الثورة وعضوية مجلس خبراء الدستور. كما أمّ سماحته وبأمر من الامام اول صلاة جمعة بعد انتصار الثورة في جامعة طهران وذلك في شهر تموز ١٩٧٩م. ترك تأليف آثار فكرية مختلفة في مجال تفسير القرآن ومختلف المعارف الاسلامية والموضوعات الاجتماعية والسياسية.

(٥٤) المهندس بازركان (١٩٠٧ ـ ١٩٩٤م) رأس في عهد حكومة الدكتور مصدق مؤسسة الاسالة، وشركة النفط الوطنية، مؤسسة المعاهد الفنية، بالاضافة الى ممارسته التدريس الجامعي. كان له دور بارز في تأسيس حركة نهضة الحرية في ايران. سجن لعدة سنوات في العهد البائد اناط به الامام الخميني في عام ١٩٧٨م بينما كانت الثورة الاسلامية في اوج تصاعدها مسؤولية متابعة اضراب عمال شركة النفط الوطنية مع اشخاص اخرين. كما اوكل اليه مهمة تشكيل اول حكومة مؤقتة بعد انتصار الثور الاسلامية. وقد قدم استقالته من منصبه ذاك بعد يوم واحد من احتلال الطلبة السائرين على نهج الامام لوكر التجسس الامريكي في طهران. تمكن بعد ذلك من الفوز بمقعد في مجلس الشورى الاسلامي ممثلاً عن اهالي طهران. توفي في عام ١٩٩٤ عن عمر يناهز السابعة والثمانين متأثراً من جلطة قلبية. له مؤلفات علمية عديدة. علاوة على عدة مؤلفات في المعارف الاسلامية والمجالات الاجتماعية الاخرى، منها المطهرات في الاسلام، الطريق المطروق، الصفار منتهى الصفر، الديّن في اوروبا، علمية الماركسية، وكلها باللغة الفارسية.

(٥٥) صحيفة النور ج١ ص ٦٢.

(٥٦) الكوثر شرح وقائع الثورة الإسلامية: ج١ ص ١٦٩ ـ ١٧٨.

(٥٧) ـ صحيفة النور ج١ ص ١٠٩.
(٥٨) جواب للتاريخ (فارسي) ص ٣٦٢.
(٥٩) جواب للتاريخ (فارسي) ص ٣٦٧.
(٦٠) مأمورية في طهران (فارسي) (مذكرات الجنرال هايزر)
(٦١) «نفوذ امريكا في إيران» الفصل المرتبط بشراء الأسلحة نقلاً عن الاحصائيات الرسمية.
(٦٢) «اقتصاد إيران» مؤسسة الدراسات والتحقيقات التجارية ص٥٩.
(٦٣) دراسة وتحليل لنهضة الامام الخميني ج٢ ص٢١٤.
(٦٤) الاية ١٤ من سورة الفجر.
(٦٥) صحيفة النور ج١ ص ١٣٢.
(٦٦) دراسة وتحليل لنهضة الامام الخميني ج٢ ص٢٣٢.
(٦٧) صحيفة النور ج١ ص ١٣٦.
(٦٨) دراسة وتحليل لنهضة الامام الخميني ج٢ ص ٤٥٨ نقلاً عن صحيفة الجمهورية الصادرة في بغداد العدد ٥٨٨ بتاريخ ١٩٦٩/١٠/٢٣.
(٦٩) صحيفة النور ج١ ص ١٥٤.
(٧٠) مجموعة جزني واحمد زادة.
(٧١) كان عدد اعضاء منظمة مجاهدي خلق في أوائل عام ١٩٧٠م (اي بعد ٤ سنوات من تشكيل المنظمة بشكل رسمي) فقط خمسون عضواً. راجع «دراسة في منظمة مجاهدي خلق إيران ـ ص٣٦».
(٧٢) المجموعات السبعة هي: امت واحدة، توحيدي بدر، توحيدي صف، الفلاح، الفلق، المنصورون، الموحدون راجع تاريخ المجموعات التي شكلت منظمة مجاهدي الثورة الإسلامية.
(٧٣) المجاهد الشهيد السيد علي اندرزكو (المعروف بالشيخ عباس الطهراني) أحد أبرز وأشهر واطهر واخلص المجاهدين في الجهاد المسلح الايراني. بدأ الشهيد بجهاده منذ تأسيس حركة «فدائيو الاسلام» وكان على معرفة وثيقة بالمرحوم نواب الصفوي زعيم الحركة. انضم رسمياً الى (هيئة الجمعيات المؤتلفة الاسلامية) والتي اعلنت عن موجوديتها باغتيالها (حسن علي منصور) رئيس الوزراء الذي تمّ في عهده الاعلان عن لائحة الحصانة القضائية المذّلة. كان الشهيد اندرزكو من مخططي ومباشري عملية الاعدام الثوري بحق حسن علي منصور وقد بادر الى الاختفاء بعد تنفيذ العملية فحكم عليه بالإعدام غيابياً. وتحول اختفائه الى بداية لمرحلة استمرت ١٣ سنة من الجهاد السري ضد حكومة محمد رضا خان البوليسية.كانت حياة الشهيد اندرزكو وعمليات فراره المتواصلة تشيد على حد قول اصحابه قصة اسطورية ففي السنوات

التي جند السافاك واجهزة الأمن والشرطة اقصى طاقاتهم لإلقاء القبض عليه وملاحقة شخص مخرب مسلح فار يسمى علي اندرزكو (المعروف بالشيخ الطهراني) في كل زقاق ومدينة من مدن ايران. كان الشهيد يتحرك بمنتهى الاطمئنان . الأمر الضروري لكل مؤمن . وبشجاعة وحزم قل نظيرهما فيؤدي مهماته بدقة ويخدع قوى الامن وينجو دوماً من الشباك التي ينصبونها له. فكان فراره لغزاً حيّر الصديق والعدو.. وفي كل مرة كانت قوى الأمن تتمكن من العثور على خيط يوصلها اليه، كان الشهيد يتمكن من الفرار من مكانه قبل وصول قوات السافاك اليه، مصطحباً عائلته في اغلب الأحيان. لذا يمكن اعتباره بحق من أقدم واحذق واطول المجاهدين تجربة، ومن اشدهم اخلاصاً في تاريخ المواجهة المسلحة المعاصرة في ايران. وفي السنوات الاخيرة من عمر مواجهته المسلحة كان يلقب بـ كارلوس ايران، فقد عرف انه يحمل ٢٣ بطاقة هوية مختلفة بالاضافة الى عدد من الجوازات التي جعلت عملية عبور الحدود بالنسبة له اسهل من شربة الماء كما ينقل العدو والصديق.

ويمكن اعتبار الشهيد ارشيفاً متحركاً من النشاطات الاسلامية للمجاميع الجهادية المسلحة بدءاً بنشاط الهيئات المؤتلفة الاسلامية (اغتيال منصور) وحتى آخر الساعات التي سقط فيها شهيداً، والى درجة يصعب معها استثناء احدى الحركات او المنظمات المسلّحة الاسلامية من نشاطات الشهيد اندرزكو او مساعداته لها.

لقد عجز السافاك عن اعتقاله او القاء القبض عليه حتى انه خصص جائزة لمن يساعد في إلقاء القبض عليه حياً أو ميتاً، فناهيك عن اهميته كعنصر مواجهة مسلح، فإن الشهيد كان يعدّ مصدراً قيما للمعلومات. لكنه كان يطمئن اصحابه بثقة قائلاً:«اطمئنوا، فإني لن اقع بأيدي الأعداء حياً ابداً، وانهم اذا تمكنوا من ذلك فسأكون حينها جنازة لا اكثر» وهكذا كان، فقد سقط شهيداً في التاسع عشر من شهر رمضان المبارك بعام ١٩٧٧م فتخضب بدمه ولقي ربه صائماً، ليضاف إلى قائمة شهداء الثورة الاسلامية.

(٧٤) ن ـ ك «دارسة حول حزب قاعدي الزمان» طبع دار العلوم الإسلامية ـ قم.

(٧٥) دراسة وتحليل لنهضة الامام الخميني ـ المجلد٣.

(٧٦) بعد اعتقال الامام الخميني ونفيه في عام ١٩٦٣م، بادر معارضو النظام الملكي الايراني إلى انتماء جانب السرية في اعمالهم التنظيمية، ومنذ عام ١٩٦٦م حرص الملك ـ ولأجل اظهار قوته وسطوته ولأجل الهاء الجماهير ـ على اقامة الاحتفالات في مختلف المناسبات، ومن ابرز واضخم الاحتفالات التي اقامها، الاحتفال بمرور الفين وخمسمائة عام على الامبراطورية

الفارسية، فلإقامة هذا الاحتفال الذي وصف بانه اضخم استعراض في العالم أمر الملك بإقامة مدينة كاملة في الصحراء بالقرب من آثار (تخت جمشيد) وحضر الاحتفال ٩٠ ملكاً وخمس ملكات و٢١ أميراً وعدداً كبيراً من رؤساء الجمهوريات ورؤساء الحكومات ومعاونيهم. وقد تمّ في ايام الاحتفال تقديم الاطعمة المعدّة في مطاعم (ماكسيم) الفرنسية، على اطباق واواني واباريق من اجود واغلى الانواع المعروفة، كما أُعدت في تلك المدينة الاسطورية آلاف القصور السيارة والمخيمات المجهزة بأرقى الوسائل والمستلزمات والأثاث والديكورات. كل ذلك والغالبية العظمى من ابناء الشعب الايراني كانت تفتقر الى ابسط الامكانات الرفاهية كالماء والكهرباء والدواء.

في عددها الرابع الصادر في شهر آب عام ١٩٨٠م كتبت مجلة التايم تقول: «حتى شهرزاد القاصّة لا يمكنها وصف الابهة التي اقيمت في احتفالات احياء الذكرى الالفين وخمسمائة عام على الامبراطورية الفارسية الايرانية والتي اقيمت الى جانب خرائب تخت جمشيد، حتى وان استخدمت كل العبارات والأوصاف الاسطورية التي ذكرت عنها في قصص الف ليلة وليلة.

وعندما اقام الملك الايراني هذه الاحتفالات قدم نفسه كوارث لأعرق امبراطورية في العالم تمكنت من البقاء لقرون طويلة، بل انه رغب في الاشارة الى انها ستبقى الى آخر التاريخ، فمن ذا الذي خطر في ذهنه من الضيوف الموقرين، او تصوّر حتى بان هذا التاريخ الامبراطوري الايراني سيختم بشخص محمد رضا!!»

(٧٧) صحيفة النور ج١ ص ٢٠٩.

(٧٨) صحيفة النور ج١ ص ٢٠٦

(٧٩) الكوثر ـ شرح وقائع الثورة الإسلامية ج١ ص ٢٧٢.

(٨٠) صحيفة النور ج١ ص ٢١١

(٨١) صحيفة النور ج١ ص ٢١١.

(٨٢) صحيفة النور ج١ ص ٢١٥.

(٨٣) صحيفة النور ج١ ص ٢١٩

(٨٤) ن. ك الكوثر شرح وقائع الثورة الإسلامية: ج١ ص ٣٧٣ وكذلك صحيفة كيهان ١٩٨٠/٢/٢٧م

(٨٥) من الآية ٨ من سورة الصف.

(٨٦) صحيفة النور ج١ ص٢٤٣.

(٨٧) الحاج السيد مصطفى الخميني، النجل الاكبر للامام الخميني (١٩٣٠ - ١٩٧٧م) ابتدأ دراسته العلوم الاسلامية لما ناهز الخامسة عشر من عمره فبلغ مرتبة الاجتهاد قبل ان يتم عقده الثالث. وقد تمكن في شبابه من التبحّر والالمام الكامل الشامل في مختلف العلوم الاسلامية. تتلمذ سماحته على حضرة الامام والمرحوم آية الله البروجردي والمرحوم الحاج السيد محمد الداماد.

في ١٩٦٤/١١/٤ صدر الأمر بالقاء القبض عليه من قبل النظام الملكي واودع سجن (قزل قلعة) فبقي هناك قرابة الشهرين، ثم اطلق سراحه واعيد الى قم ليجد في استقباله حشوداً من علماء وطلبة وجماهير مدينة قم الذين خرجوا لاستقباله بمجرد سماعهم نبأ اطلاق سراحه.

عرف عن سماحته كما هو الحال مع والده - روحيته المجاهدة المقدامة واعتقاده الراسخ بحتمية اسقاط الحكومة البهلوية من خلال القيام الشعبي والعلمائي الشامل وبذل في هذا السبيل مساعٍ حثيثة وقد نفي بعد ذلك مع والده الى تركيا ثم العراق. وهناك ونتيجة لاطلاع النظام العراقي على الاوضاع استدعاه اقطاب النظام في عام ١٩٦٩م الى قصر الرئاسة في بغداد، فالتقاه هناك الرئيس العراقي احمد حسن البكر، وطالبه مهدداً اياه بالموافقة على التعاون مع النظام البعثي العراقي لمواجهة النظام الملكي الايراني. الا ان سماحة السيد مصطفى رفض المقترح العراقي كليّاً وإن كان النظام الايراني قد اشاع حينها اخباراً تشير الى تواطئه مع النظام العراقي.

استشهد الحاج السيد مصطفى قبل عام واحد من انتصار الثورة الاسلامية عن عمر يناهز الثامنة والاربعين.

(٨٨) - للاطلاع على سير احداث النهضة من ١٩٧٨/١/٩م وحتى السقوط الكامل للنظام الملكي في ١٩٧٩/٢/١١م والمواقف التي اتخذها الامام الخميني في تلك المدة، راجع كتاب الكوثر شرح وقائع الثورة الإسلامية، المجلدات الاول الى الثالث.

(٨٩) من الآية ١١ من سورة الرعد.

(٩٠) للاطلاع على تفاصيل الموضوع والبيانات التي اصدرها الامام الخميني مخاطباً الوفد الكويتي، راجع كتاب الكوثر - شرح وقائع الثورة الإسلامية ج٣ ص ٥٣٢.

(٩١) للاطلاع على كيفية هجرة الامام الخميني من النجف الى الحدود الكويتية ثم عودته الى بغداد والسفر من هناك الى باريس والحوادث التي وقعت في

الاثناء كما رواها السيد احمد الخميني (نجل الامام) راجع الكوثر شرح وقائع الثورة الإسلامية ج١ ص ٤٣٤.

(٩٢) المصدر السابق.

(٩٣) «القدرة والحياة» مذكرات الرئيس الفرنسي (فاليري جيسكار ديستان) ترجمة محمود طلوعي (الى الفارسية) ص ١٠٢.

(٩٤) مجموعة بيانات، لقاءات، وخطابات الامام الخميني خلال مدة اقامته في (نوفل لوشاتو) موجودة في صحيفة النور المجلد الثالث والرابع.

(٩٥) جواب للتاريخ ، الصفحات ٣٥٠ ـ ٣٦٤.

(٩٦) ن. ك «القدرة والحياة»

(٩٧) ن. ك «مهمة في طهران» مذكرات الجنرال هايزر.

عودة الامام من منفاه بعد ١٤ عاماً

شاع في أواخر شهر كانون الاول خبر تصميم الامام الخميني على العودة الى إيران. ولم يمتلك من سمع بالخبر غير البكاء شوقاً. لقد تحملت الجماهير اربعة عشر عاماً من الانتظار. ولكن الجماهير والمحبين كانوا في قلق على حياة الامام الخميني، ذلك لوجود الحكومة العميلة للملك ولكونها حكومة عسكرية ايضاً. لذلك فقد أوصى اصدقاء الامام بتأخير السفر قليلاً لتأمين الظروف المناسبة لحمايته.

من جانب آخر فإنّ عودة الإمام الى إيران في تلك الظروف واتصاله بالجماهير المليونية الثائرة كان يعني - من وجهة نظر امريكا - النهاية الحتمية للنظام الملكي. لذا فقد اتخذت خطوات عديدة، بدءاً من التهديد بتفجير الطائرة التي تقل الإمام، وانتهاءً بالقيام بانقلاب عسكري، كل ذلك لدفع الامام الى تأخير سفره. حتى ان الرئيس الفرنسي آنذاك توسط لدى الامام يطلب منه ذلك[1] لكن الامام كان قد اتخذ قراره النهائي واعلن عبر بيانات اصدرها للشعب الايراني بأنه يرغب ان يكون مع شعبه في هذه الايام المصيرية والخطيرة.

أقدمت حكومة بختيار - بالتعاون مع الجنرال هايزر - على اغلاق مدارج المطار بوجه الطائرات، وتوجهت الملايين من مختلف انحاء البلاد، لتشارك في التظاهرات التي انطلقت في طهران مطالبة بفتح المطار. كما اجتمع جمع من العلماء والشخصيات السياسية في مسجد

جامعة طهران واعلنوا عن اعتصامهم هناك حتى تفتح مدارج المطار، ولم تتمكن حكومة بختيار من الصمود اكثر من عدّة أيام ثم رضخت لمطالب الجماهير.

أخيراً وفي مطلع شهر شباط عام ١٩٧٩م وصل الامام الخميني الى إيران بعد أربعة عشر عاماً من فراق الوطن. وقد كان استقبال الجماهير لقائدهم عظيماً ومنقطع النظير الى درجة لم تستطع حتى الشبكات الإعلامية الغربية من انكاره، فقد قدرت وسائل الإعلام الغربية عدد المستقبلين بين (٤ ـ ٦) ملايين نسمة.

وما ان وصل الامام حتى توجهت الجموع من مطار طهران الى مقبرة جنة الزهراء حيث مزار الشهداء، لتصغي لحديث قائدها التاريخي. في ذلك الحديث صرّح الامام بالقول: «سوف اقوم مدعوماً من هذا الشعب، بتشكيل الحكومة»[٢]. في بداية الأمر، اعتبر بختيار بأن الإمام يمزح! غير أن أياماً قلائل لم تمر حتى تم ترشيح المهندس البازركان من قبل (شورى الثورة) رئيساً مؤقتاً للحكومة وذلك في الخامس من شباط ١٩٧٩م، والمهندس البازركان وجه متدين معروف، له ماض جهادي وتجربة في نهضة تأميم صناعة النفط.

وفي (حكم التنصيب) الذي اصدره الامام الخميني طالب سماحته المهندس بازركان بتشكيل وزارته دون الأخذ بنظر الاعتبار العلاقات الحزبية وذلك لتهيئة المقدمات لاجراء استفتاء شعبي ثم إجراء الانتخابات[٣]. مطالباً الجماهير الايرانية التعبير عن رأيها من خلال الانتخابات المزمعة، فبادرت الجماهير للانطلاق في مظاهرات حاشدة شملت البلاد بأسرها للاعلان عن دعمها وتأييدها لقرار الامام الخميني.

أما الأحزاب والفصائل السياسية الاخرى. والتي كان قادتها

ومسؤولوها وأعضاؤها القليلون يخرجون من سجنهم ومعتقلاتهم ببركة نهضة الجماهير وعلى عدة مراحل. فقد وقفوا. والشعب يقف على بوابة النصر. يدّعون إرثهم للثورة ويطالبون بالسهم الأوفر، ومنذ تلك الأيام ابتدأ الاصطفاف بوجه الثورة الإسلامية بصفوف امتلأت بعملاء نظام الملك وازلام السافاك والشيوعيين ومجاهدي خلق (المنافقين).

سقوط النظام الملكي وانتصار الثورة الإسلامية (يوم الله ١١ شباط)

في الثامن من شباط ١٩٧٩ جاء منتسبو القوة الجوية لمبايعة الامام في محل اقامته في (المدرسة العلوية في طهران) وأصبح الجيش الملكي على حافة السقوط الكامل، وقبل ذلك كان العديد من الجنود والمراتب من المؤمنين قد تركوا المعسكرات التزاماً بفتوى الإمام والتحقوا بصفوف الجماهير.

في التاسع من شباط قام منتسبو القوة الجوية في اهم قاعدة لهم في طهران بالتمرد، وبادرت قوات الحرس الملكي للقضاء على التمرد، فهبت الجماهير لدعم القوات الثورية في القاعدة. وفي العاشر من شباط كانت اغلب مراكز الشرطة ومراكز الدولة الاخرى قد سقطت الواحد تلو الآخر بأيدي الجماهير. وفي بيان عسكري اعلن القائد العسكري لمدينة طهران عن تمديد ساعات منع التجول الى الساعة الرابعة بعد الظهر. وتزامناً مع ذلك عقد بختيار اجتماعاً طارئاً لمجلس الأمن وأصدر أوامره في القيام بالانقلاب العسكري الذي كان معداً سلفاً من قبل الجنرال هايزر. من جانب آخر اصدر الامام الخميني بياناً دعا فيه الجماهير في طهران. ولأجل الحيلولة دون نجاح المؤامرة المزمعة. بالنزول الى الشوارع والغاء قرار منع التجوال بشكل عملي.

فاندفعت الجماهير شيباً ونساءاً وشباناً واطفالاً نحو الشوارع وابتدأت باعداد الخنادق. وما ان غادرت طلائع القوات الانقلابية قواعدها حتى سيطرت الجماهير عليها ومنعتها من مواصلة مسيرها. ففشل الانقلاب منذ ساعاته الاولى، وبذا فإن آخر معاقل النظام الملكي سقطت، وفي صباح الحادي عشر من شباط اشرقت شمس النصر لتعلن عن انتصار نهضة الامام الخميني والثورة الإسلامية وانتهاء عهد حاكمية الملوك الظالمين في ايران(٤).

تشكيل الحكومة الإسلامية واصطفاف الدول الاستعمارية ضدها

لم يكن تحقق الوعود التي اعطاها الامام الخميني وانتصار الثورة الإسلاميّة في إيران حادثة داخلية لتغيير نظام سياسي معين، بل ان ذلك كان. وكما عبر عنها الكثير من ساسة امريكا واسرائيل واوروبا في مذكراتهم التي كتبوها عن تلك الأيام. زلزالاً مدمراً لعالم الغرب(٥).

فناهيك عن أن أمريكا فقدت بنجاح الثورة أهم موقع جغرافي واقتصادي وعسكري لها في احدى اشد مناطق العالم حساسية وفي بلد كان يمتلك اطول حدود مشتركة مع منافسه الشرقي (الاتحاد السوفياتي السابق) فإن امواج هذا الانفجار الهائل، هزت الانظمة العميلة في البلدان الإسلامية والعربية واصابتها بالذعر الشديد.

لقد كانت رسالة الثورة الإسلامية الأصيلة ذات ماهية ثقافية بنيت على الفكر الديني والقيم المعنوية. بذا فإن انتصار الثورة كان يعني صدور رسالتها وقيمها لتفجير موجة من النهوض والتحرر في البلدان الإسلامية وفي العالم الثالث. وفي نفس الفترة التي حققت فيها الثورة الإسلامية في إيران النصر، سقط النظام العميل لأمريكا في (نيكاراغوا) وفي افغانستان اضطرت حكومة الاتحاد السوفياتي الى القيام بانقلاب دموي ثم دفع قواتها العسكرية لاحتلال تلك الدولة

رغبة منها في السيطرة على التحرك الاسلامي. كذلك فإن الجماهير العربية المسلمة في لبنان وفلسطين احتفلت بانتصار الثورة الإسلامية في إيران وابتدأت مرحلة جديدة من الجهاد، مستلهمةً من الثورة الاسلامية افكار وأساليب جديدة، كما عادت الى الحياة الحركات الإسلامية في مصر، تونس، الجزائر، السودان، الحجاز، تركيا.

بعد الحرب العالمية الثانية حُكم العالم بنظام ظالم غير عادل. فقد تم تقسيم مختلف مناطق العالم بين القوتين الغالبتين (الشرقية والغربية) واوكلت مهمة الحفاظ على هذا النظام المقيت الى حلفي (وارسو) و (الناتو). ولم تستطع اية حركة أو ثورة في العالم الثالث من تحقيق أي هدفٍ لها خارج هذا الإطار ودون الارتباط بأحد القطبين الحاكمين. في حين ان انتصار الثورة الاسلامية في العالم المعاصر ـ وفي منطقة كان يعدّها الغربيون منطقة أمنٍ لهم ـ تم على أساس رفعها لشعار «لا شرقية ولا غربية».

لقد وقفت نهضة الامام الخميني وبشكل مباشر بوجه الإمبريالية الأمريكية وألحقت الهزيمة بها، الأمر الذي جرَّد الشيوعيين من سلاحهم الذي كانوا يلوحون به (الوقوف بوجه الإمبريالية) ولأول مرة في العصر الحاضر، طُرح الدين على انه عامل محرك في عمق كفاح الشعوب.

ورغم جميع المشكلات، ورغم جميع تلك المساعي التي بذلت على المستوى الدولي للحفاظ على النظام الملكي وللحيلولة دون تحقيق الامام الخميني النصر في نهضته، حققت الثورة الإسلامية النصر في المرحلة الاولى، ولهذا فإن انتصارها كان يعدّ معجزة اكثر منه تحولاً عادياً. وغدا الامام الخميني والجماهير المليونية التي آمنت بوعوده خارج اطار التحليلات العادية، فإن سائر المحللين السياسيين وجميع المهتمين بالحوادث والوقائع التي كانت تقع في إيران، كانوا يرون هذا الإنتصار ـ حتى في أواخر أيام النظام البائد ـ أمراً مستحيلاً.

وهكذا ومنذ صباح الحادي عشر من شباط ١٩٧٩م. ابتدأت مشاعر الخصومة والعداء للنظام الاسلامي الفتي بالظهور والتوسع. وقد قادت امريكا جبهة الاعداء ـ وكان لبريطانيا وبعض دول أوروبا وجميع الأنظمة العميلة للغرب المشاركة الفعالة في تلك المواجهة ـ كذلك فإن الاتحاد السوفياتي ومن يدور في فلكه ايضاً، وقفوا مع الامريكان في العديد من المواقف العدائية ودعموا موقفهم نتيجة عدم ارتياحهم لما وقع في إيران وما ادى اليه من حاكمية الدين والمذهب.

والنموذج البارز لهذه التحالفات، ما حصل من تحالف اليسار واليمين ضد الثورة داخل البلاد، الأمر الذي اظهرت الوثائق ـ فيما بعد ـ ارتباطه بسفارة الاتحاد السوفياتي وأمريكا[٦].

وابرز من هذا، التعاون الشامل بين الشرق والغرب في تسليح صدام ودعمه في حربه المفروضة على الجمهورية الإسلامية.

غير أن الامام الخميني مارس دوره القيادي بنفس المنطق الذي ابتدأ به قيادة النهضة وحيداً قبل سنوات، فقد قاد سفينة الثورة وهي تعيش في خضم الفتن والضغوط الخارجية. رافعاً شعار «انتصار الدم على السيف» كما كان يعتقد بأن المجتمع الذي يؤمن بأن الشهادة تمثل اعلى درجة من الكمال الروحي للانسان ويجاهد في سبيل الله، لا بد وان ينتصر.

وكان الامام الخميني بصدد تشكيل تعبئة عامة من الشعب الايراني لبناء البلاد وطرح نموذج عن المجتمع الديني السالم والمتقدم امام العالم. وابتدأ جهاد الشعب تحت اسم (جهاد البناء) وانطلق الآلاف من المتخصصين والمؤمنين بالثورة الى مختلف المناطق المحرومة والقرى المبثوثة على طول البلاد وعرضها ليبدأوا أكبر حركة اعمارية من مدّ الطرق وبناء المراكز الصحية وايصال الماء والكهرباء الى مختلف

مناطق البلاد. غير ان زمناً طويلاً لم يمر حتى تتالت امواج الفتن والضغوط الخارجية تنهال على البلاد. فقد صممت امريكا على الاستفادة من طابورها الخامس في إيران لاشغال النظام الاسلامي بمشكلات داخلية وبث الفرقة والخلاف لايجاد الفرصة المناسبة لاسقاط النظام الفتي.

وقد عملت السفارة الامريكية بفعالية ـ وعن طريق بعض عناصر الحكومة المؤقتة لفتح الطريق للنفوذ من اجل مشاريعها المستقبلية وقد حققت بعض النجاح في ذلك ايضاً، فقد كانت حكومة السيد البازركان تتألف من أفراد أتسم أكثرهم بالتوجهات الوطنية المحافظة(٧). وهؤلاء لم يكن بمقدورهم هضم الظروف والضرورات الثورية ودرك الارشادات والافكار السامية للامام الخميني. بذا فقد أدى ضعف الحكومة المؤقتة وروح المماشاة التي كانت تتسم بها الى تنظيم المجموعات المعادية للثورة صفوفها بسرعة مستفيدة من المعونات الخارجية التي كانت تتلقاها، ثم المبادرة الى خلق التشنجات في كنبد وكردستان وسائر المناطق.

كذلك فإن النظام البعثي العراقي ـ والذي أصيب بالذعر اكثر من غيره من الأنظمة العربية من انتصار الثورة الإسلامية نتيجة خوفه من امكانية قيام شعبه على نظامه ـ بادر الى تسليح العناصر المعادية للثورة في جنوب البلاد وفي كردستان. كما كان للسفارتين الامريكية والسوفيتية نشاط فعال في جمع افراد السافاك وبعض عناصر النظام السابق وتحريك المجموعات الشيوعية ومجاهدي خلق (المنافقين) للقيام بأعمال مؤذية ضد الثورة. فقد قامت (مجموعة الفرقان) باغتيال العلامة وعضو شورى الثورة الشيخ مرتضى المطهري (١٩٧٩/٥/٢) وآية الله القاضي الطباطبائي (١٩٧٩/١١/١) والدكتور

المفتح (١٩٧٩/١٢/١٩) والحاج مهدي العراقي ونجله (١٩٧٩/٨/٢٦) واللواء القرني رئيس اركان الجيش (١٩٧٩/٤/٢٣) وفشلت في اغتيال الشيخ هاشمي الرفسنجاني والموسوي الاردبيلي.

وكان الامام الخميني يعتقد ـ لمعرفته بخفايا الامور ـ بضرورة القضاء بحزم وبسرعة على اعداء الثورة خصوصاً في الاضطرابات التي وقعت في كردستان. غير أنّ الحكومة المؤقتة ضيعت الفرصة بانشغالها بالمفاوضات العقيمة في كردستان وتعاملها الليّن مع مثيري الاضطرابات وهيأت عملياً الأرضية لتفاقم الأوضاع.

من جانب آخر فإنّ الاقتصاد الأحادي الذي ورثه النظام الملكي والمعتمد كلياً على واردات النفط، دفع أمريكا واوروبا ـ المطلعتين على هذه الحقيقة ـ الى دعم موقف النظام السعودي ومؤيديه في منظمة أوبك لتخفيض اسعار النفط الى ادنى مستوى لها مما ألحق الضرر بسوق النفط الايراني.

ومع وجود جميع هذه المشاكل لم يذعن الامام الخميني ولم يرضخ لقبول المصالحة ولم يتراجع عن مواقفه حتى خطوة واحدة. فبادر الى تشكيل المؤسسات الثورية لترميم ضعف الحكومة المؤقتة ولضمان ديمومة الثورة. وقد وقفت الجماهير الايرانية بعزم وفداء دفاعاً عن الثورة ولم يمض اكثر من شهرين على انتصار الثورة حتى صوت ٩٨.٢٪ من الجماهير في الاستفتاء الشعبي الذي أُجري في (الاول من نيسان ١٩٧٩م) لصالح الجمهورية الإسلاميّة، في واحدةٍ من اكثر الانتخابات حريةً في تاريخ إيران، وبعدها اجريت الانتخاباتُ المتوالية للتدوين والتصويب على الدستور، وانتخابات نواب مجلس الشورى الاسلامي. وكان الامام الخميني يتحدث الى محبيه الذين كانوا يزورونه يومياً في مقر اقامته في قم، وفي المدرسة الفيضية ليدعم

ويرسخ اركان النظام الاسلامي ويبين الاهداف والاولويات في الحكومة الإسلامية ويدفع الجماهير للحضور الدائم في ميادين الأحداث. فقد سافر سماحته من طهران الى قم في آذار ١٩٧٩ وبقي هناك حتى ابتلي بمرض قلبي (٢٢ كانون الثاني ١٩٨٠) وبعد تسعٍ وثلاثين يوماً من العلاج المتواصل في مستشفى القلب في طهران، اقام سماحته في منزل يقع في منطقة دربند ثم انتقل في ١٩٨٠/٥/٢٧ . ونزولاً عند رغبته . الى منزل بسيط يمتلكه احد علماء الدين (حجة الاسلام السيد مهدي امام جماراني) في منطقة جماران وبقي هنالك حتى مفارقة الحياة.

الثورة الثانية: احتلال وكر التجسس الأمريكي في إيران

أدّى نجاح الانتخابات ومشاركة الجماهير الواسعة فيها الى تبديد الآماني الأمريكية الموهومة في قرب سقوط النظام الاسلامي، والذي كانت تكرر الاعلان عنه عبر وسائل الاعلام الغربية وعبر البيانات التي كانت تصدرها التيارات المعادية للثورة في الداخل. ولم تمتنع امريكا واوروبا من النزول عند مطالب الشعب والحكومة الايرانية المشروعة باسترداد الأموال والموجودات الايرانية المجمدة في تلك البلدان التي تقدر بأكثر من ٢٢ مليار دولار فحسب، بل إنها وضعت امكانات واسعة تحت تصرف اقطاب النظام الملكي البائد اللاجئين لديها، لتوظيفها في مواجهة النظام الاسلامي الفتي. وقد أثارت هذه التحريكات الأمريكية والممارسات العدائية للبيت الابيض غضب الشعب. ففي عام ١٩٧٩ وعلى اعتاب الذكرى السنوية لنفي الامام الخميني الى تركيا (٤ تشرين الأول) شاع خبر اللقاء السري بين بازركان وبريجنسكي (مستشار الامن القومي الامريكي) والذي جرى في الجزائر، مما دفع مجموعة من الجامعيين المسلمين الثوريين - الذين اطلقوا على أنفسهم اسم (الطلبة الجامعيين السائرين على نهج الامام الخميني) باحتلال السفارة الامريكية في طهران وبعد القضاء على مقاومة حرس السفارة، قاموا بالقاء القبض على الجواسيس الامريكان. ثم عكفوا

بعدها على نشر الوثائق التي عثروا عليها في السفارة الامريكية في خمسين كتاب سميت «وثائق وكر التجسس الامريكي في ايران» وقد كشفت هذه الوثائق الدامغة النقاب عن اسرار الجاسوسية الامريكية والتدخلات التي قامت بها الادارة الامريكية في مختلف نقاط العالم واعلنت اسماء العديدين من الرابطين والجواسيس لأمريكا ومختلف اساليب الجاسوسية والتحركات السياسية لأمريكا في مناطق العالم المختلفة.

لقد كان احتلال سفارة امريكا ـ والتي عرفت لدى الجماهير الايرانية الثائرة بوكر التجسس ـ عملاً مذلاً للحكومة الامريكية.

بعد يومٍ واحد من احتلال السفارة الامريكية قدمت حكومة السيد بازركان استقالتها وقبلها الامام بعد ان توقع بازركان ردّ فعل آخر من الامام يتمثل في ضغطه على الطلبة الجامعيين لاخلاء السفارة الامريكية، غير أن الامام الخميني قبل استقالة الحكومة فور تقديمها غير مفرطٍ بهذه الفرصة السانحة والتي ستتيح له دفع الثوريين الى سدة السلطة وكف ايدي التيار المحافظ الذي عرض البلاد خلال مدة قصيرة الى خطر اعداء الثورة نتيجة اسلوبه الضعيف في التعامل مع الاحداث. دعم الامام الخميني حركة الطلبة الجامعيين الثورية وعدّ عملهم ثورة تفوق في اهميتها الثورة الاولى. والحق انها كذلك. فقد كانت امريكا تقف الى جانب النظام الملكي في الثورة الاولى وكانت تعلن رسمياً عن مواجهتها وعداءها للثورة الإسلامية، في حين أن الوثائق المصادرة من وكر التجسس الامريكي كشفت النقاب عن الدسائس التي حبكت ضد الثورة في الخفاء وفضحت عملاءها في الداخل.

بعد احتلال السفارة الامريكية حاولت امريكا وبمختلف الطرق

والأساليب دفع ايران الى الانسحاب عن موقفها فقامت بفرض الحصار الاقتصادي والسياسي رسمياً على إيران من قبلها ومن قبل من يدور في فلكها، وابتدأت الجماهير مرحلة مواجهة الحصار الاقتصادي والسياسي مستندة الى توجيهات الامام الخميني دون ان تفكر في الاستسلام. وفشلت عملية اطلاق سراح الرهائن الامريكان وبشكل اعجازي بعد تحطم الطائرات الامريكية في صحراء طبس.

وفي الرابع والعشرين من نيسان ١٩٨٠م قامت ست طائرات سمتية من طراز C130 بالهبوط في احدى القواعد الامريكية السابقة في صحراء طبس الواقعة شرقي ايران، وقد وقعت هذه الحادثة خلال رئاسة ابو الحسن بني صدر.

وكان المقرر ان تقوم تلك الطائرات ـ بعد التزود بالوقود ووصول سمتيات خاصة بذلك النوع من العمليات ـ بالتحليق نحو طهران، ثم تقوم ـ وبالتعاون مع بعض العملاء المخفيين ـ بقصف منزل الامام الخميني والمراكز الهامة الاخرى، غير ان عاصفةً هبت في الصحراء مما اجبر بعض الطائرات على العودة الى حاملة الطائرات (نيميتس) واضطرار الباقيات الى الهبوط الاضطراري في الصحراء، ونتيجة لسوء الظروف التي حاولت فيها الطائرات الهبوط ارتطمت احداها بطائرة اخرى فانفجرت كلتاهما، وبالنتيجة قُتل في هذه الحادثة ثمانية اشخاص من العسكريين الامريكان الغزاة واضطر جيمي كارتر رئيس الولايات المتحدة الى الاعلان عن ايقاف العمليات الفاشلة(٨).

وفي ٢٧ تموز ١٩٨٠ انتفى ـ بوفاة الملك محمد رضا في مصر ـ وبشكل عملي احد الشروط الايرانية المتمثلة في استرداده باعتباره احد المجرمين الاصليين في المذابح الجماعية التي وقعت في ايران. وأخيراً وبعد ٤٤٤ يوماً تم الافراج عن الجواسيس الامريكان بعد

توسط الجزائر وبعد تصويت اعضاء مجلس الشورى لصالح الأمر، وبعد التوقيع على اتفاقية الجزائر بين إيران وامريكا، والتي تعهدت امريكا بموجبها بعدم التدخل في الأمور الداخلية لايران وإعادة الارصدة والأموال الإيرانية المجمدة في مصارفها. الأمور التي لم تلتزم بأي منها.

ان اهم ما أفرزته حادثة احتلال وكر التجسس الأمريكي يتمثل في كسر الغرور الفرعوني الامريكي وبعث الأمل في نفوس شعوب العالم الثالث بامكانية الوقوف بوجه القوى العظمى، هذا علاوة على ضمانة ديمومة الثورة الإسلامية في إيران.

بعد تلك الواقعة، انهارت الأبّهة الامريكية والقدرة الوهمية. التي أنفق من اجل اظهارها المبالغ الطائلة والجهود الاعلامية المكثفة. وتعرضت امريكا الى صعوبات ومشاكل عديدة للسيطرة على العالم الثالث فيما بعد.

في أول انتخابات لرئاسة الجمهورية الإسلامية الايرانية (٢٥/١٠/١٩٨٠) والتي جرت في وقت كان الامام الخميني طريح الفراش في مستشفى القلب في طهران، فاز السيد ابو الحسن بني صدر على منافسيه، وكان ابو الحسن قد عاد الى إيران قبيل انتصار الثورة الإسلامية، وقدم نفسه من خلال خطاباته وكتبه على أنّه شخص متدين ومتخصص اقتصادي لامع. وفي مراسم اداء القسم الدستوري لتولي مهامه قال الامام: «انني أوصي السيد بني صدر بوصية واحدة، وهي موجهة للجميع ايضاً، اقول: حب الدنيا رأس كل خطيئة»(٩).

غير أن غرور بني صدر ورغبته في التسلط حالت دون التزامه بهذه النصيحة. ومنذ بداية حكومته اعتمد معارضة خط الامام

والعلماء. وقد كان يعتقد ـ كما هو حال الحكومة المؤقتة ـ بضرورة مصالحة الدول الكبرى، واعتماد اسلوب المناورات السياسية معها. اما على الصعيد الداخلي فقد بادر فوراً الى عزل الطاقات الثورية واحلال العناصر المرتبطة بالجماعات المعادية للثورة محلها.

وفي عهده احتل العراق مناطق شاسعة من الاراضي الايرانية، وعلى الإثر قامت العناصر المرتبطة برئيس الجمهورية ـ والتي كانت ترى ان وجودها مرتهن بزيادة المشكلات وايجاد جوٍ من التوتر امام النظام الاسلامي ـ بالحيلولة دون اداء المدافعين عن البلاد لدورهم بشكل مناسب، ومنع تسليح الجماهير واتاحة الفرصة للحرس الثوري بأداء دوره الفاعل مستفيدين في كل ذلك من منصب بني صدر الذي كان قائداً عاماً للقوات المسلحة. وبذا تعرضت الوحدة الوطنية الى الخطر نتيجة الخلافات التي أثارها بني صدر، واخيراً اصدر الامام الخميني حكمه المقتضب في ١٠ حزيران ١٩٨١ م والقاضي بعدم كفاءة بني صدر[١٠].

بسقوط بني صدر، بادر اعضاء ومؤيدي منظمة مجاهدي خلق (المنافقين) ـ والذين استغلوا فرصة ما بعد انتصار الثورة الإسلامية وضعف الحكومة المؤقتة وما وفره لهم بني صدر من الدعم والحماية لتقوية تشكيلاتهم وتوسيعها ـ لادارة اضطرابات دموية الا ان جماهير طهران تمكنوا من القضاء على مثيري الاضطرابات وتم اعتقال العديد منهم. ومنذ ذلك الوقت اقدم المنافقون رسمياً على القيام بأعمال مسلحة واغتيالات، وفي الوقت نفسه بادر قادة التنظيم للاختفاء في أوكارهم وقد تصدر حزب الجمهورية الإسلامية قائمة المستهدفين من قبل المنافقين.

تم تأسيس حزب الجمهورية الإسلامية بعد انتصار الثورة

الإسلامية بهمة المخلصين من ذوي السماحة آية الله الخامنئي، الدكتور البهشتي، الدكتور الباهنر، هاشمي الرفسنجاني، الموسوي الاردبيلي بهدف تنظيم الطاقات المؤمنة بنهج الامام الخميني، ومواجهة تحركات التيارات السياسية المعادية للثورة. وقد استطاع هذا الحزب المدعوم من قبل الامام من كسب اعداد كبيرة من المؤيدين في مختلف انحاء البلاد وبسرعة كبيرة، واصبح سداً بوجه العناصر المعادية للثورة.

في السابع والعشرين من حزيران ١٩٨١ جرح آية الله الخامنئي على أثر انفجار قنبلة زرعها المنافقون بينما كان يخطب بالجماهير المحتشدة في مسجد ابي ذر في طهران. وفي اليوم التالي وقعت فاجعة رهيبة على اثر انفجار قنبلة قوية زرعها احد عملاء منظمة المنافقين في مقر حزب الجمهورية الإسلامية، وذلك خلال اجتماع اعضاء الحزب، مما ادى الى استشهاد اثنين وسبعين من خيرة الطاقات الثورية من عناصر النظام الاسلامي ومن انصار الامام الخميني. كان بينهم رئيس ديوان القضاء الدكتور البهشتي وعدد من الوزراء ونواب مجلس الشورى الاسلامي وجمع من مسؤولي السلطة القضائية وعدد آخر من المفكرين والكتاب والطاقات الثورية الاخرى.

بعد شهرين من هذه الفاجعة، وفي الثلاثين من شهر آب ١٩٨١ استشهد السيد محمد علي الرجائي ـ الوجه الثوري المحبوب من قبل الجماهير والذي انتخب لرئاسة الجمهورية بعد عزل بني صدر ـ والدكتور محمد جواد الباهنر (رئيس الوزراء) بينما كانا في مقر عملهما اثر انفجار قنبلة اخرى.

وكان فسرعةِ الامام وحزمه في اتخاذ القرار بانتخاب وتنصيب المسؤولين لسد الفراغ الحاصل نتيجة سقوط ذلك العدد من الشهداء كان لها الأثر البالغ في تهدئة الاوضاع وادخال اليأس على نفوس الاعداء واصابة المحافل الخبرية والسياسية العالمية بالحيرة والذهول.

ولو لم يكن ايمان الامام الخميني وصلابته المذهلة، ووعي الجماهير الايرانية المؤمنة، لتمكنت واحدة من هذه الوقائع لوحدها من اسقاط النظام الاسلامي. غير أنّ بيانات الامام الخميني وخطاباته كانت بعد كل واحدة من هذه الحوادث تهدأ روع الجماهير وتسهل عليها تحمل المصائب وتزيد من تصميم الجماهير على مواصلة طريقها.

بعد شهادة الدكتور البهشتي هتفت الجماهير بشعار «ماذا تريد امريكا، ان إيران مليئة بأمثال البهشتي» والذي استلهمته من حديث الامام الذي كشف من خلاله النقاب عن ان الايادي الخفية للعدو الاصلي (امريكا) تكمن وراء هذه الاغتيالات. من جانب آخر فإن الامام كان قد أكدّ مراراً على ان الثورة الإسلامية لا تقوم على الافراد مهما كانت مواقعهم واهميتهم، وان من يحفظ الثورة، انما هو الله وايمان الجماهير المؤمنة.

إن أهم ما وفق فيه الامام الخميني هو قدرته على تنمية الشعور والوعي العام لدى الجماهير وايجاد الاحساس بالمسؤولية والقدرة على التحليل السياسي لدى ابناء الشعب ازاء الوقائع والاحداث المعاصرة.

لسنوات طوال كانت وسائل الاعلام الغربية تعدُ الناس بحتمية سقوط النظام الاسلامي بعد وفاة الامام الخميني، وقد طُرح هذا

الموضوع حتى في المؤتمرات التي عقدها المفكرون الغربيون لدراسة الثورة الإسلامية، والاجتماعات السياسية والمفاوضات التي كان يجريها الساسة الغربيون وبشكل جدّي، وتم القبول به، وعلى هذا الأساس ايضاً قبعت المجموعات المعادية للثورة في الداخل في مكامنها بانتظار ذلك اليوم الموعود، غير ان الدنيا شهدت كيف ان النظام الاسلامي لم يتعرض لأدنى ضرر بعد ارتحال سماحة الامام الخميني. وبذا تبددت احلام وآماني السنوات، والسبب في ذلك هو ما ذكرناه، فقد تمكن الامام الخميني من تربية الجيل الخامل اللامبالي نتيجة خمسين عاماً من الجرائم والخيانات التي مارسها النظام الملكي البهلوي باليأس وعدم الاكتراث بطريقةٍ جعلته قادراً وفي زمان قصير من تبديل عاداته وعلاقاته الاجتماعية السابقة والاعتقادات الخاطئة الراسخة، نحو القيم والمثل السامية الجديدة وفي مختلف مناحي الحياة. ومئات الآلاف من الشبان الذين واجهوا العدو البعثي المعتدي في جبهات القتال لمدة ثمانية اعوام متواصلة متطوعين مختارين في ذلك ومع امتلاكهم لأعلى درجة من المعنويات والوعي دليل على هذا المعنى والنماذج الكثيرة على مستوى وعيهم وشعورهم ومستوى ايمانهم ومعنوياتهم يتضح في الوصايا المطبوعة للشهداء منهم، وهؤلاء هم انفسهم الذين كانوا والى ما قبل انتصار الثورة الإسلامية بقليل في معرض الوقوع في مختلف انواع المفاسد، يحركهم إعلام السوء وتتجاذبهم انواع القوى التخديرية.

ولعلّ البعض ممن لم يعاصروا مجتمع الامام الخميني عن قرب يعتبرون هذاالحديث نوعاً من المبالغة في عرض الحقائق، وإنه امر ناشئ عن فرط المحبة للامام وللثورة الإسلامية، لكن الأمر ليس

كذلك، فكثير من الشواهد لا زالت حية والوثائق والمستندات الدامغة من الكثرة بحيث ان اثبات هذا الأمر لن يحتاج الى طول بحث او مناظرة.

فالى الآن لا زالت الثقافة الاجتماعية الايرانية الجديدة تدفع الناس الى تهنئة من فقد ابناً في طريق تحقيق اهداف نهضة الامام الخميني بدلاً من مواساته. الى الآن ما زال الكثير من الآباء والأمهات في إيران ممن فقدوا عدة ابناء في هذا الطريق يجيبونك حينما تسألهم عن شعورهم: بأن ذلك فخر للعائلة وانه نعمة من الله.

ولعل من غير المعقول بالنسبة للغربيين ان يقوم بعضُ افرادِ العائلة بالتبليغ عن محلات اختفاء العديد من العناصر المضادة للثورة والارهابيين المنافقين من أبنائهم وقيام الآباء والأمهات بمساعدة قوى الأمن لالقاء القبض عليهم.

وتتضح اهمية هذا الاحساس حينما يؤخذ بنظر الاعتبار شدة الترابط العاطفي في العائلة الايرانية والذي لا يمكن مقارنته - وعلى اي مستوى - مع ما هو موجود من الروابط الباردة الخالية من الروح في العائلة الغربية مثلاً.

الى الآن إذا سألت أياً من عشرات الآلاف من المقاتلين - الذين لا زالوا يتذكرون أيام الجبهة - عن اشد أيام وجوده في الجبهة قسوة؟ لأجابك انه يوم اعلان الموافقة على القرار الدولي ووقف اطلاق النار، فإن وصف احساسات قوات التعبئة بالحزن العميق والألم في ذلك اليوم لا يمكن وصفها الا بالمشاهدة والمعاينة القريبة، كل ذلك لاحساسهم بأن «باب جنة الشهداء» قد اغلق أمامهم، وانهم فقدوا الأمل في الالتحاق بقافلة الشهداء.

ان ايجاد تحول روحي كهذا في مجتمع ما، وتحريك امواج التعلق بالاسلام في روح امة ما، ليس بالعمل السهل والعادي.

لبنان وحالة حزب الله فيه، نموذج آخر يدلل على هذا التحول الذي ذكرناه. وخلافاً لما يدعيه الغرب من خلال اعلامه، فإن تدخل إيران ودعمها لم يكن هو السبب في ايجاد هذا التحول. ذلك لأن لأمريكا واوروبا والاتحاد السوفياتي (السابق) حضور عميق وواسع ومباشر في لبنان، بيد انه لم يؤد الى شيء، فالجامعة الامريكية في بيروت لها تاريخ طويل، كما ان امريكا واوروبا نزلت قواتها في لبنان اثناء الاحداث التي وقعت في لبنان. لقد كان لبنان وحتى وقت قريب اكبر سوق للسياسات الغربية في الشرق الاوسط، فما الذي ادى الى ان يتمكن مجتمع صغير . قياساً الى اعدائه وفي بلد محاصر من جميع الجهات، وله حدود مشتركة مع فلسطين المحتلة من قبل اسرائيل، ورغم قلّة امكاناته الدفاعية . من الوقوف بثبات وقوة بحيث يستطيع دفع القوات الغربية الى الاعلان رسمياً عن فرارها من المنطقة، واضطرارها الى ترك البلاد واليوم ايضاً ورغم وجود مختلف الضغوط الاقتصادية الشديدة، والقصف والاعتداءات الاسرائيلية المتكررة، ترى حزب الله يثبت وجوده امام الغرب ويقاوم بشكل منقطع النظير.

إنّ السبب الحقيقي في ذلك هو ان مسلمي لبنان وبناءً على علاقاتهم الثقافية والعقائدية القديمة، استطاعوا معرفة الامام وتلقوا رسالته اسرع من سائر البلدان الإسلامية.

وبعد لبنان، تجيء فلسطين التي افرزت وبسرعة (حركة حماس) والحركات الإسلامية في سائر بلدان المسلمين.. كلها نتيجة التأثر المباشر أو غير المباشر لأفكار الامام الخميني ورسالته الجهادية.

والسبب في ايجاد تحول كهذا لا ينحصر في الفكر السياسي للامام الخميني ونوعية جهاده السياسي، فمدرسة الامام الخميني التربوية وقدرته في معرفة الانسان وفي معرفة المجتمع هي التي ساهمت في ايجاد الارضية المناسبة لوقوع مثل هذه التحولات. وللأسف فإن ابعاد نظرات الامام وآرائه حول الانسان والمجتمع والتاريخ وما قاله في التربية لم تزل حتى الآن متناثرة غير مدوّنة وغير معروفة كا ينبغي، فمدرسة الامام في التربية وعلم الاجتماع تختلف كثيراً عما يُدرس تحت هذه العناوين في جامعات دول العالم الثالث والبلدان الإسلامية.

إن الأساس الذي ابتنيت عليه نهضة الامام الخميني انما يمتد الى منهج الانبياء، ذلك المنهج الذي استطاع ان يخلق من بعض العبيد المغمورين والمظلومين شخصيات من امثال ابي ذر الغفاري وسلمان المحمدي. ومن المجتمع الجاهلي الذي كان آنذاك، قائداً للمدنية والحضارة الإسلامية فيما بعد. فيما ان هذا المنهج اصبح في عصرنا الحاضر منسياً، وما نعرفه اليوم تحت عنوان العلوم الانسانية المعاصرة انما يهتم بتعريف الانسان والعلاقات الانسانية من وجهة نظر المدارس الوضعية (غير السماوية) الليبرالية والغربية، والذي نتج هو الآخر عن عصر النهضة الصناعية ونتيجة الضياع وفقدان الهوية الذاتية والأصالة والقبول بأصالة المادة وحاكمية الآلة على الانسان.

اعود مجدداً للحديث حول كيفية قيادة الثورة في السنوات المشحونة بالاضطراب مما تلا الثورة الإسلامية بعد فاجعة الثامن والعشرين من حزيران ١٩٨١م واستشهاد العشرات من انصار الامام

ومن المسؤولين في نظام الجمهورية الإسلامية، وتمكن قادة مجموعة المنافقين من الفرار من البلاد متوجهين الى باريس برفقة رئيس الجمهورية المعزول، وذلك بارتدائهم الملابس النسائية وبالتعاون والتنسيق مع بعض العملاء المندسين في مطار طهران. فالطيار الذي قاد الطائرة كان من الطيارين الخاصين بالملك المخلوع والموثوقين لديه(١١) وهو الذي قاد طائرة الملك حينما فرّ من البلاد قبل سنوات.

وخلافاً لادعاءاتها في احترام حقوق الإنسان ومواجهتها للارهاب، اعطت فرنسا حق اللجوء السياسي لأولئك الذين اعترفوا بأنفسهم في البيانات التي اصدروها بضلوعهم، بل بمسؤوليتهم عن عمليات الاغتيال والتفجير في الأماكن العامة التي وقعت في إيران.

بعد ذلك التاريخ اصبح المنافقون الهاربون الى مختلف الدول الاوروبية وفي امريكا يتمتعون بدعم وحماية تلك الدول، ثم انهم واثناء الحرب العراقية الايرانية، اتخذوا من العراق قاعدة اساسية لهم، بعد ان عقدوا صفقة مع صدام، فانتقلوا الى العراق، وكانوا طوال فترة الحرب جواسيس ومرتزقة يضعون كل معلوماتهم وامكاناتهم تحت اختيار الجيش البعثي. وقد انحصرت مهمتهم الاساسية في جمع المعلومات عن الجبهات الايرانية بواسطة عملائهم المبثوثين في الداخل، واعطاء المعلومات حول مواضع سقوط الصواريخ العراقية المطلقة نحو المناطق السكنية في إيران والتحقيق مع الأسرى الايرانيين والمشاركة في العمليات العسكرية العراقية.

وفي عام ١٩٨٨ م وبعد اعلان نهاية الحرب العراقية الايرانية قاد المنافقون هجومهم الهادف للدخول الى عمق الاراضي الايرانية، الا

انهم واجهوا عمليات (المرصاد) التي حالت دون تحقيقهم أية نتيجة، بعد أن خلفوا اكثر من ألف قتيل على أرض المواجهة.

كذلك وعلاوة على استشهاد ٧٢ شخصاً من اشدّ شخصيات النظام محبوبية لدى الناس في انفجار مقر حزب الجمهورية الإسلامية، واستشهاد رئيس الجمهورية ورئيس الوزراء، أقدم المنافقون على اغتيال العديد من الشخصيات، كآية الله الصدوقي إمام جمعة يزد (١٩٨٢/٧/٢) واية الله أشرفي الأصفهاني امام جمعة كرمانشاه (١٩٨٢/١٠/١٥) وآية الله دستغيب امام جمعة شيراز (١٩٨١/١٢/١١) وآية الله المدني امام جمعة تبريز (١٩٨١/٩/١١) وآية الله القدوسي واللواء الدستجردي (١٩٨١/٩/٥) وحجة الاسلام هاشمي نجاد (١٩٨١/٩/٢٩) وعشرات الشخصيات من العلماء، ممن كانوا يهيمنون على قلوب الناس في كل منطقة من المناطق التي كانوا يمارسون نشاطهم فيها وممن كان لهم السهم الوافر في نهضة الامام الخميني.

وعلاوة على الوجوه السياسية والدينية ومسؤولي النظام الاسلامي، فإن اعداداً كبيرة من الناس العاديين سقطوا مخضبين بدمائهم في الأزقة والشوارع بجرم الدفاع عن ثورتهم وحمايتها ونتيجة لعمليات ارهابية وتفجيرات قام بها المنافقون في الأماكن العامة[١٢] (وكان آخرها القتل المفجع الذي مارسه المنافقون بحق اثنين من القساوسة المسيحيين، وتفجير قنبلة في يوم عاشوراء جوار مرقد الامام الرضا (ع) في مشهد خلال العام ١٩٩٤).

والجدير بالملاحظة أن أمريكا وأوروبا والمنظمات الدولية لم تختر السكوت امام كل تلك الجرائم فقط، وانما كانت تقدم للارهابيين الملجأ والامكانات لمواصلة نشاطاتهم الارهابية. ولقد اتخذوا موقفاً

مشابهاً من جرائم الملك رغم ان ذلك يخالف ادعائاتهم، ولهذا السبب بالذات فإن الامام الخميني لم يتخذ من آراء ومواقف الدول الأجنبية والمنظمات الدولية مبنى للتقييم أو للمواقف التي يتخذها سواء قبل انتصار الثورة أو بعدها، فقد كان سماحته يعتقد ـ وقد صرح بذلك مرات عديدة عبر خطاباته ـ بأن هيئة الأمم المتحدة ومجلس الأمن، ومنظمة الدفاع عن حقوق الانسان ليست سوى آلات بأيدي المتسلطين الدوليين، تماماً كما ان ادعاء الشيوعيين والاتحاد السوفياتي بحرية الشعوب ومناهضة الامبريالية، لا يهدف منه سوى تلك الأهداف. وأبعد من هذا فإن الامام الخميني ـ وبناءً على هذه الحقائق ـ علّم مسؤولي النظام الاسلامي معياراً ملفتاً لتقييم مستوى أدائهم فقال: «في اليوم الذي تبادر فيه المؤسسات الدولية وامريكا والغرب الى مدحكم والاعتراف طواعية بموجوديتكم وبثورتكم، فعليكم يومها ان تشكوا في سلامة مساركم وحقانيتكم».

الحرب المفروضة والدفاع المقدس

ادى الفشل الذريع لمشروع القضاء على النظام الجمهوري الاسلامي من خلال الحصار الاقتصادي والسياسي والذي حاولت امريكا تطبيقه، وفشلها في عملياتها العسكرية لتحرير الجواسيس الامريكان . بالهبوط في صحراء طبس بعد احتلال وكر التجسس الامريكي . وعدم النجاح في فصل كردستان عن الحكومة المركزية، الى لجوء الحكومة الأمريكية في عام ١٩٨٠ لتجربة الهجوم العسكري المباشر. بيد أن الموازنات الدولية بين الشرق والغرب في تلك الأيام حالت دون تمكن امريكا من الهجوم المباشر بقواتها، فالرأي العام العالمي قد تأثر نسبياً بأفكار الامام الخميني ونشاطاته السياسية التي اطلع على جزء منها في فرنسا وفي الحوادث التي تلت انتصار الثورة الإسلامية، مما ساهم في كشف النقاب عن مظلومية إيران وحقانية الشعب الايراني في مطالبه، ودفع الرأي العام العالمي بالنتيجة الى التعاطف مع الشعب الايراني، كذلك فإن الأنظمة المتزلزلة في الخليج الفارسي لم تكن على استعداد لمواجهة ردود الفعل الناجمة عن الهجوم الامريكي المباشر.

لكل ذلك تم اختيار العراق للقيام بدور النيابة في اشعال هذه الحرب، وهو اختيار محسوب من كافة النواحي. فالعراق بلد يسير في ركاب الاتحاد السوفياتي والكتلة الشرقية. ودخوله في حرب مع إيران

سيؤدي الى وقوف الاتحاد السوفياتي والشيوعيون الى جانب صدام، وبالنتيجة الى جانب امريكا وأوروبا مما سيمنع من ظهور ايّة ردود فعل سلبية. كذلك فإن العراق يعدّ ثاني بلد في المنطقة من حيث الامكانات التسليحية. وهو بلد نفطي يمكنه الصمود في حرب طويلة الأمد اعتماداً على ثرواته وعلى مساعدات الدول الرجعية العربية في المنطقة، ودون الاحتياج الى دعم امريكا أو أوروبا مالياً أو عسكرياً رغم ان التوقعات الأولية من قبل امريكا وصدام كانت تدور حول حرب قصيرة الأمد، تؤدي الى القضاء على الثورة الاسلامية الايرانية بسرعة خاطفة.

من جانب آخر، فإن النفسية التسلطية لصدام والنزاعات الحدودية السابقة بين العراق وإيران تعدّ ظروفاً مساعدة لدفع صدام الى الاعتداء واحتلال قسم من الأراضي الايرانية.

ولو أن العالم امتنع عن قبول الأدلة والوثائق التي قدمتها إيران خلال الحرب لاثبات مدعاها في ضلوع امريكا واوروبا والاتحاد السوفياتي في اشعال شرارة الحرب، فإن الأسرار التي انكشفت بعد حرب النفط بين امريكا وصدام (حرب احتلال الكويت) والوثائق التي انتشرت دللت على هذه الحقيقة بشكل قطعي.

على أية حال في ٢٢ أيلول ١٩٨٠ م بدأ الهجوم العسكري العراقي على طول الحدود المشتركة البالغة ١٢٨٠كم ومن اقصى نقطة في الشمال الايراني والى ادنى نقطة ـ ميناء خرمشهر ـ في جنوبها، وترافق الهجوم البري مع هجوم جوي طال مطار طهران ـ الساعة الثانية بعد ظهر ذلك اليوم ـ ومناطق اخرى.

وتمكنت الماكنة العسكرية الصدامية ـ والتي تم اعدادها بمساعدة فرنسا وشركات الاسلحة الامريكية والانجليزية والمعدات العسكرية

الروسية للقيام بهذا الهجوم ـ بسرعة من النفوذ لعدة كيلومترات داخل المحافظات الايرانية الخمسة. وتعرضت المقاومة الشعبية المحدودة الى ضربة قوية من قبل الجيش العراقي نتيجة عنصر المباغتة الذي كان لصالح القوات الغازية، ونتيجة عدم وجود التسليح والخبرة الكافيتين.

وبسرعة غريبة تم تخريب المدن والقرى المحتلة، وتحولت الى انقاض وشرد مئات الآلاف من بيوتهم وقراهم ومدنهم.

أما الجيش الايراني، ونتيجة لحوادث الثورة فقد كان مصاباً بالتخلخل والتفكك، وكان يمضي ادواره الاولى في اعادة البناء والتنظيم. فقد غادر الآلاف من الخبراء العسكريين الاجانب والامريكان ـ خصوصاً ـ إيران بعد انتصار الثورة، كذلك فإن العديد من التجهيزات العسكرية المعقدة والطائرات الحديثة والصواريخ المتطورة ـ والتي كان الشعب الايراني قد دفع اثمانها من كدّه ـ تم نقلها في الأيام الأخيرة من حكومة النظام الملكي البائد ـ وبمساعي الجنرال هايزر التي دامت شهرين ـ الى امريكا[١٣].

كذلك فإن الحرس الثوري ـ الحديث العهد والذي تمّ تشكيله بناءً على بيانٍ صادر من الإمام ـ لم يكن يمتلك التجهيزات والخبرة الكافية في الأيام الأولى من الحرب ، مضافاً الى أن صدام حسين ايضاً كان يعلم بكل هذه التفاصيل مستنداً الى المعلومات التي زودته بها امريكا وفرنسا وعملاء الطابور الخامس، لذ فإنه كان قد أعدّ حتى خرائط (العراق الكبير) مضيفاً فيها الى اراضي العراق الحالية مناطق شاسعة من محافظة خوزستان ومن المحافظات الغربية الايرانية، ولقد كان واثقاً من ان النظام الاسلامي عاجز عن مواجهة هذا الجيش الجرار، وانه سيتعرض للسقوط بسرعة، كما ان الاستكبار العالمي كان يدعمه ويقف وراءه.

لقد قوبل خبر اشتعال الحرب العراقية الايرانية - رغم اهميته - بالسكوت التام من قبل كافة المنظمات الدولية والقوى الكبرى، هذا السكوت ذا المعنى، والعداء المتأصل في نفوس الدول الكبرى للجمهورية الإسلامية الايرانية، والواقع الذي كان تعيشه البلاد، والقدرة العسكرية البعثية، كانت كلها ظروفاً عقدت عملية اتخاذ القرار. ووقفت إيران أمام مفترقٍ يؤدي الى طريقين لا غير: التصميم على المقاومة في حربٍ غير متعادلة يلفها - حسب الظاهر - الغموض والابهام، أو القبول بشروط امريكا واللجوء اليها للضغط على صدام للانسحاب، والخيار الثاني يعني التخلي عن الثورة، وعن الاسلام الى الأبد.

غير أنّ هذه الظروف رغم كل تعقيدها، كانت أقلّ من ان تعرض الامام الخميني الى التردد في تشخيص مسؤوليته وما عليه ان يتخذه من مواقف. لقد كان الامام يؤمن بقوله تعالى: «كم من فئة قليلة غلبت فئة كثيرة بإذن الله، والله مع الصابرين» ايماناً شهودياً، كما أنه كان قد طوى - وقبل ان يتسنم مقام القيادة للأمة بسنوات - مقامات «الفناء في الله»[١٥]. ودرّس «الأسفار الأربعة»[١٦] - التي تمثل هجرة الانسان الكامل نظرياً - لعدة دورات، ناهيك عن انه قد قطع تلك الأسفار بمنتهى الكمال على المستوى العملي مضافاً الى انه أورد احكام الجهاد والدفاع في رسالته العملية على انها احكام إلهية لا يمكن تخطيها.

ولو أن أحداً امتلك الاطلاع الكافي عن شخصية الامام الخميني وسيره التكاملي لأمكنه الحدس بنوع المسار الذي اتخذه الامام عند المفترق الذي ذكرناه.

أول ردّ فعل صدر عن الامام، واول بيان اصدره واول حديث القاه بعد الحرب، وعدوان الجيش العراقي، كان - ومن حيث علاقته بمعرفة شخصيته ونوع قيادته - مثيراً للعجب للغاية. وهو أمر يضيق المقام عن

تفصيله. لقد اصدر الامام فوراً أمره بالمقاومة، وأشار في أول تحليل له عن الهجوم الى تحميل امريكا المسؤولية الكاملة عن اشعال هذه الحرب. وطمأن الجماهير بصراحة الى انهم منتصرون لا محالة، وان العدو مهزوم قطعاً اذا كان قيامهم للدفاع في سبيل الله وعلى اساس ان ذلك تكليف شرعي، رغم ان ظواهر الأمور تشير الى خلاف ذلك(١٧).

وفي اليوم التالي من عدوان النظام العراقي على الأراضي الايرانية، وضّح الامام الخميني ـ ومن خلال بيان خاطب فيه الشعب الايراني المسلم ـ الخطوط العامة لكيفية ادارة الحرب وأمور البلاد في ظروف الحرب، ولخَّص ذلك في سبعة بنود قصيرة غاية في الجمع والدقة(١٨). ثم اصدر بعد ذلك عدة بيانات وجهها الى الجيش البعثي والشعب العراقي لاتمام الحجة عليهما(١٩). ثم شرع بادارة وتوجيه امر الدفاع المعقد لمدة ثمانية اعوام وبأسلوبٍ قلَّ نظيره.

في الأيام الأولى من الحرب، توجه عشرات الآلاف من ابناء الشعب الى جبهات الحرب متطوعين ـ واستجابة لبيان الامام ـ لمساعدة القوات المسلحة، وتمّ في المرحلة الاولى ايقاف تقدم العدو، وذلك بالتضحيات العالية للمقاتلين المسلمين. وكان القتال غير متكافئ بشكل كبير. بيد ان الامام الخميني استند كعادته على الله والمؤمنين به، فراح ـ وعبر البيانات والخطابات المتوالي ـة يهيئ الأمة لحرب طويلة وعصيبة، فقد كان سماحته يعتقد ـ مستنداً في ذلك الى الآيات القرآنية الواضحة ـ بوجوب الدفاع حتى ازالة العدوان ومعاقبة المعتدي.

بعد عدّة ايام من بداية الحرب خاطب الامام الخميني سفراء الدول الإسلاميّة المقيمين في طهران بالقول :«اننا مدافعون عن الاسلام، والمدافعون عن الاسلام يقدمون لأجل ذلك ارواحهم واموالهم

واعـزاءهـم ولن يتـراجـعـوا عن ذلك أبداً»[٢٠]. في هـذا اللقــاء ـ وفي مناسبات اخرى ومن خلال رسائل خطية وبيانات رسمية ـ طالب الامام الخميني قادة الدول الإسـلامية ان يعملوا ـ وان كانوا يرون ان صدام (عديم الدين) رجلاً مسلماً ـ بحكم الآية القـرآنية **﴿وإن طائفـتان من المؤمنين اقـتـتلوا فـأصلحـوا بينهـمـا فإن بغت إحداهمـا على الأخـرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله﴾** [٢١].

لماذا استمرت الحرب؟

لقد وعد صدام قواته بالفتح السريع الذي لا يتجاوز الثلاثة أيام، لذا فإن الجيش العراقي لم ير ضرورة للاستعداد لحرب طويلة مدمرة. لكن القوات العراقية واجهت وقبل تحقيق الأهداف المرسومة صلابة وقوة الدفاع الذي تميز به الشعب الايراني. وانتهت مساعي القوات العراقية لكسر الخطوط الدفاعية بالفشل على عدة مراحل بعد تحملها لخسائر فادحة. ورويداً رويداً اتضح لأمريكا خطأ حساباتها ومرارتها. فبدأت مرحلة من الضغط السياسي على ايران بقيادة البيت الأبيض، وعن طريق المنظمات الدولية والبلدان العربية.

فهؤلاء وبدلاً من إدانة المعتدي، بادروا الى الضغط على إيران الإسلامية لقبول وقف اطلاق النار. والحال ان القبول بوقف اطلاق النار في تلك الظروف كان يعني مكافأة صدام المعتدي على اعتدائه وتحقيق هدفه وهدف اعداء الثورة الذي لم يتمكنوا من تحقيقه من خلال جبهات الحرب.

إن إيران لم تشن الحرب حتى تبادر هي الى إيقافها. وقد وقفت بوجه المعتدي في أحلك الظروف لمنعه من المزيد من التقدم، كما ان العدو احتل عشرات المدن ومئات القرى ومساحات شاسعة من المناطق النفطية في غرب وجنوب البلاد، كما ان الحرب ليست دائرة على طرفي الحدود بين البلدين حتى يصار الى مطالبة من وقع عليه

الهجوم بالقبول بوقف اطلاق النار. وعلى فرض ان صدام لا يريد من وقف اطلاق النار التقاط انفاسه واستعادة قواه لمعاودة المحاولة لتحقيق اهدافه، فإن قبول وقف إطلاق النار من قبل إيران سيعني ان القوات العراقية المعتدية ستبقى في عمق الأراضي الايرانية، مما سيضطر الجمهورية الإسلامية الى اعطاء الامتيازات الهائلة ولسنوات لاسترداد كل متر مربع من اراضيها المحتلة وستجبر على استجداء المنظمات الدولية والسماسرة السياسيين وبالنتيجة العامل الاصلي لاشعال الحرب (امريكا) لمساعدتها في استرداد اراضيها.

وهذا منطق لا يرضاه أيّ حر غيور، ناهيك عن الإمام وجماهيره الذين خرجوا منتصرين للتو من ميدان القيام على أشد الملوك استبداداً في المنطقة.

هذا فضلاً عن ان صدام لم يقدم اية ضمانات في كل تلك المقترحات المطروحة على سرعة انسحابه من الاراضي الايرانية. بل انه ادعى رسمياً بأنّ المناطق المحتلة وحتى التي لم تقع ضمن الاحتلال بعد يجب ان تلحق بالاراضي العراقية! وهذا الادعاء مشابه لما ادعاه عند احتلاله الكويت حينما اطلق عليها اسم المحافظة العراقية التاسعة عشرة!.

والحقيقة ان أيّاً من الدول التي بادرت بعد اتضاح حقيقة عجز صدام عن اسقاط نظام الجمهورية الاسلامية الى الحديث عن وقف اطلاق النار والضغط على إيران لقبول السلام، لم يكونوا يرغبون في السلام حقيقة، وهم يعلمون مسبقاً بأنّ أيّ شعب وأي بلدٍ لا يمكنه في ظروف كهذه القبول بالاستسلام. والسلام كان بالنسبة لهم عصا يسلطونها على إيران لازوائها وعزلها. واهم من كل ذلك فإنّ الدول الرجعية العربية كانت تهدف من ادعاء السعي للسلام وايقاف اطلاق

النار التخفيف من حدة الضغط الذي كانت تتعرض له من شعوبها الإسلامية، وإلا فما لها والدفاع من كافة النواحي عن معتدٍ معروف كصدام، والوقوف بوجه بلدٍ سخّر كل وجوده وامكاناته للدفاع عن الاسلام؟

إن امريكا، والدول الاوروبية والعربية لم تكن صادقة في دعوتها للسلام. وسنورد ادناه اسطع دليل على ذلك ودون الحاجة لعرض أية وثيقة.

إن صدام وبعد أول سلسلة من العمليات العسكرية الناجحة التي قامت بها إيران في العام الثاني من الحرب، لم يتمكن من الصمود حتى لفترة شهر واحد دون الاعتماد على المساعدات المالية الهائلة التي قدمها له شيوخ العرب، ودون الاستفادة من التجهيزات العسكرية المتطورة التي قدمتها له الدول الغربية. فلو انهم كانوا صادقين في ادعاءاتهم لكفاهم قطع الامدادات عن صدام بدلاً عن المشاركة في الحصار التسليحي والاقتصادي والنفطي على الجمهورية الاسلامية الايرانية.

ان جرم إيران يتمثل في مواجهتها لعدوها الذي غزا ارضها واستقر فيها وعرّض آلاف الأبرياء للمذابح البشعة خلال الأيام الأولى من عدوانه، وشرّد مئات الآلاف عن ديارهم. رغم أن الدول العربية التي وقفت مع صدام، قدمت اعتذاراتها الرسمية الى إيران - بعد احتلال الكويت من قبل صدام - واقرّت بأخطائها، الا ان ذلك لا يقلل من جسامة مسؤوليتهم وجريمتهم - هم والدول الغربية وصدام في استمرار الحرب وإطالة أمدها.

وبالاستدلال السابق، كان الامام الخميني يواجه الهيئات والوفود التي كانت تفد الى إيران من اجل وقف اطلاق نار، ويعلن بأنه وشعبه

سيواصلان الدفاع حتى يتحقق دفع المعتدي الى خارج الحدود، وحتى يتم اجباره على دفع خسائر هذه الحرب. غير ان الصخب الاعلامي الغربي كان شديداً الى درجةٍ حالت دون وصول صوت مظلومية الشعب الايراني الى الاسماع.

بالتدريج قُلبت الحقائق، وأُظهرت إيران على انها عدوانية الطبع، وان صدام راغب في السلام. لكن هذه الضغوط وهذا التزوير لم يؤثرا أيضاً في موقف الامام والشعب الايراني الصلب والثابت، وبعد عزل بني صدر ورسوخ خط الامام في اركان الجهاز التنفيذي، نفذت سلسلة من عمليات التحرير للمناطق المحتلة من قبل الحرس الثوري.

قبل ذلك كان أمر الإمام الخميني بتأسيس التعبئة العامة وتشكيل جيش العشرين مليون قد لقي استقبالاً من الشبان الثوريين الايرانيين، واتخذت إيران طابعاً من الحركة تميزت بالدورات التدريبية والتوجيه لجبهات القتال، وأدت النجاحات المتوالية لمقاتلي الحرس الثوري الى ظهور آثار الانكسار والهزيمة على جبهة العدو البعثي بشكل جلي.

وبالتدريج ظهر الوجه الحقيقي لأمريكا وحلفائها، فانهالت الأسلحة المتطورة والتي كان بيعها يتم حتى في حالات السلام ضمن شروط صعبة ومفاوضات قد تستغرق عدة سنوات، ويمثل اعطاؤها نوعاً من الامتياز بسرعة على صدام وكان من جملة ذلك صواريخ كروز وطائرات السوبراتندار الفرنسية، كذلك توافدت شحنات صواريخ سكود المتوسطة المدى وطائرات الميغ ٢٩ وسائر التجهيزات العسكرية الروسية على صدام بلا انقطاع لتقوية ماكنته العسكرية الحربية. حتى ان تقنية زيادة مدى الصواريخ وموادها الاولية وتقنية صناعة المواد الكيميائية اهديت هي الأخرى من قبل الشركات الامريكية والاوروبية الى صدام لكي يتمكن من التفوق على الجمهورية الإسلامية الإيرانية.

في ذلك الوقت اجبرت العربية السعودية والكويت والامارات العربية المتحدة ودول الخليج الفارسي الاخرى من قبل أمريكا على تأمين ميزانية الحرب الصدامية وقد اعلن النظام العراقي ذاته بشكل رسمي اسرار تلك المساعدات العربية والعراق اليوم مدين بأكثر من ٨٠ مليار دولار لتلك الدول عن المساعدات التي قُدمت له طوال الأعوام الثمانية من الحرب. اما مصر ففضلاً عن تقديمها الطيارين والطائرات، فقد ارسلت عدة آلاف من الجنود المصريين للمشاركة في الحرب، وكان للاردن دور داعم مشابه.

القصف المكثف للمدن والقرى والمراكز الاقتصادية واطلاق الصواريخ المخربة على المناطق المسكونة كانت حلقة اخرى في سلسلة جرائم صدام التي اغمض المجتمع الدولي والدول المتشدقة بالدفاع عن حقوق الانسان عيونها عنها وهيأت بدلاً عن الشجب والاستنكار وسائل تنفيذ تلك الجرائم لصدام. وقد اختطفت تلك الاعتداءات مئات الضحايا من الأطفال والنساء والعزل.

وقد قاد الامام الخميني عملية الدفاع المقدس في ظروف كانت إيران تعاني رسمياً من الحصار التسليحي من قبل امريكا واوروبا، وكانت مضطرةً احياناً للعمل لعدة اشهر من اجل الحصول على قطعة غيار واحدة لاحدى طائراتها. ان الكثير من دول العالم اما انها اختارت السكوت في مقابل تلك الاعتداءات ومارست الضغط على إيران، أو انها وقفت رسمياً الى جانب صدام ودافعت عنه. كما ان اكثر الدول المصنعة للسلاح في العالم سواء شرقية كانت أو غربية دعمت صدام ووقفت الى جانبه.

ووقفت إيران وحيدة فريدة للدفاع عن نفسها، ولم يكن للشعب من دعامة يستند اليها غير الإيمان بالله والايمان بالامدادات الغيبية

وارشادات هذا العالم الرباني. والعجيب ان هذه الجبهة المظلومة والوحيدة تمكنت في النهاية من تحقيق النصر وتعقب العدو قدماً بقدم حتى عقر داره.

وتجدر الاشارة الى انه وفي العام الثالث للحرب، وبعد نجاح عمليات بيت المقدس الكبرى والتي انتهت بتحرير ميناء خرمشهر الإستراتيجي من أيدي القوات العراقية، ابدى الامام رغبته في ضرورة انهاء الحرب والدفاع في تلك الفترة، الا ان مسؤولي النظام الاسلامي الملتزمين، بما في ذلك القادة العسكريون والمسؤولون السياسيون في البلاد، اعربوا للامام بعد دراسة جميع الظروف السياسية والعسكرية في البلاد واوضاع الجبهات عن اعتقادهم بضرورة مواصلة الدفاع حتى تحقيق الظروف المناسبة لاقامة سلام دائم. وقد اشاروا الى ان قسماً من الأراضي الايرانية ما زال تحت احتلال القوات العراقية المعتدية، كذلك فإن صدام ورغم تعرضه الى هزيمة ساحقة بعد تحرير خرمشهر، لم يكن مستعداً بعد للقبول بالحقائق والتراجع عن اهدافه التوسعية، فهو لم يكن يفكر بالسلام وانما كان يفكر ونتيجةً لاعتماده على الدعم اللامتناهي الذي وفرته له الدول الكبرى بجبران هزيمته، وذلك عبر إعادة تسليح قواته ومعاودة الهجوم العسكري على ايران، لذا فإن السلام في ظروف كهذه لا يمكن الاعتماد عليه. وان صدام لا يزال مصراً على ادعاءاته السابقة. عليه فإن ايقاف الحرب من جانب ايران، سيجعل المدن المحررة والمناطق الحدودية عرضة للهجمات العراقية المحتملة في المستقبل وسيجعلها غير قادرة على الدفاع عن نفسها.

على اية حال، فاستناداً للاستدلال السابق مضافاً الى ما كانت تمارسه المنظمات الدولية من الكيل بمكيالين، وعدم قبولها بالشروط

الايرانية المنصفة لانهاء الحرب، ومواصلة القوى الكبرى دعم وتقوية الماكنة العسكرية العراقية، كلها كانت اسباباً دفعت القائد والشعب الايراني الى القبول بمواصلة الدفاع المقدس.

ثمانية اعوام من حياة الامام الخميني مرت في قيادة هذاالدفاع المقدس، ولم تؤد المساعدات المختلفة الى صدام من تغيير ظروف الحرب التي كانت تتغير بسرعة لصالح جيش الاسلام.

في الفترة التي اشتدت فيها حرب المدن وحرب الصواريخ اضطرت امريكا للتدخل المباشر، فتوجهت حاملات الطائرات والسفن الحربية الفرنسية والبريطانية والامريكية والروسية نحو مياه الخليج الفارسي، فلم يبق امام امريكا من خيار سوى تدويل الحرب وتوريط دول اخرى فيها، فبدأت حرب ناقلات النفط. وقد تركزت مهمة القوات الوافدة الى المنطقة على منع النفط الايراني من الصدور وايقاف وتفتيش السفن التجارية للحيلولة دون وصول المواد الاولية والبضائع الاساسية الى الجمهورية الاسلامية الايرانية. وفي هذا الاطار تعرضت العديد من السفن النفطية الايرانية الى هجمات صاروخية وجوية، كما اضرمت النار في الآبار النفطية الايرانية في الخليج الفارسي، وبلغ الأمر بأمريكا بعد ذلك ان أقدمت على ارتكاب جريمة مروّعة، وذلك باطلاقها صاروخين من حاملة الطائرات وينسنس نحو طائرة ايرباص مدنية ايرانية تابعة لخطوط الجمهورية الاسلامية (الرحلة رقم ٦٥٥) في شهر تموز ١٩٨٨ فأسقطتها مما أدى الى استشهاد جميع من كانوا على متنها فراح ضحية الحادث ٢٩٠ شخصاً من الأطفال والنساء والرجال. وقد لاذ العالم الظالم والبعيد عن الحق بالصمت ازاء هذه الجريمة لمجرد انها وقعت بحق إناس كانوا يطالبون بالاسلام، وهذا في نظر الغرب يعدّ لحاله جريمة لا تغتفر!

وهي نفس جريمة البوسنيين المظلومين اليوم فهم يتعرضون للإبادة التامة عقاباً لهم على هذا الذنب!

اما صدام فقد ختم صحيفة اعماله العسكرية بجريمة قلّ نظيرها في التاريخ، فقد قام بقصف مدينة (حلبجة) العراقية بالمواد الكيميائية، الأمر الذي أدى الى استشهاد اكثر من خمسة آلاف مواطن أعزل كان اكثرهم من الاطفال والشيوخ. ولم يتحرك ضمير هيئة الامم المتحدة لهذه الفاجعة ايضاً.

إن تجحفل قوات الغرب في الخليج الفارسي، وما حصل خلال الأشهر الثمانية الأخيرة من الحرب لم يكن الا لأن جيش الاسلام كان في موقع متفوق تماماً على جيش العدو الذي فرّ من أغلب المناطق المحتلة الى ما وراء الحدود.

ان سقوط صدام المحتمل على ايدي أبطال الاسلام أو هزيمته على الأقل دفع القوى الكبرى الى المبادرة الى دعمه ومساعدته، وانصبت جهود امريكا وهيئة الامم المتحدة الآن وخلافاً لمنحاهم السابق على السعي لسدّ الطريق أمام تقدم المقاتلين الايرانيين والحيلولة دون سقوط صدام.

صادق مجلس الأمن على القرار (٥٩٨) والذي شكّل في أغلبه اراء ومطالب وشروط إيران السابقة لالقاء السلاح والتي كانت قد أصرت عليها منذ بدء الحرب ومبادرتها للدفاع عن نفسها، لكن المنظمات الدولية لم تقبل بها سابقاً أملاً بانتصار صدام.

المصادقة على هذا القرار من جهة، والجرائم المفجعة التي ارتكبت من قبل مشعلي الحرب في الأشهر الأخيرة منها من جهة اخرى، دفعت الامام الى اصدار أوامره الى هيئة من المتخصصين العسكريين والسياسيين والاقتصاديين الايرانيين الملتزمين بدراسة المستجدات على

ساحة المواجهة. وعند انهاء دارستها للأمر قدمت الهيئة تقريرها الذي تضمن الاشارة الى ان الوقت مناسب لايران لاثبات حقها في هذا الدفاع المقدس الذي دام ثمانية اعوام، ان عليها ان تقبل بايقاف الحرب على اساس القرار (٥٩٨).

في ١٩٨٨/٧/٢٠ اصدر الامام بيانه المعروف باسم (بيان الموافقة على القرار) والذي يعدّ من افضل الأدلة على كفاءة قيادته وادارته، ففي هذا البيان استعرض سماحته الحرب المفروضة وابعادها بشكل جلي، ورسم الخطوط المستقبلية للنظام وللثورة الإسلامية في جميع الميادين، بما في ذلك المواجهة للقوى الكبرى والثبات على الأهداف والغايات التي حددتها الثورة. وقد عبر الامام الخميني عن قبوله بالقرار بعبارة «تجرع السم الزعاف» الأمر الذي يخفي بين طياته من الأمور والمسائل الدقيقة ما لا يتسع المقام لعرضه، لذا نكتفي بذكر مقطع من بيان الامام الخميني هذا، يقول سماحته: «واما فيما يتعلق بقبول القرار الدولي والذي يعد في الحقيقة موضوعاً شديد المرارة صعب الاستمرار للجميع خصوصاً بالنسبة لي. ذلك لأني ولفترة قريبة كنت أؤمن بأسلوب الدفاع والثبات على المواقف المعلنة السابقة بالنسبة للحرب، وكنت أرى بأن مصلحة النظام والبلاد والثورة في تنفيذ تلك المواقف، غير ان الحوادث والعوامل التي أود عدم الخوض في تفصيلاتها آملاً أن تتضح مستقبلاً، والآراء التي اتفق عليها المتخصصون السياسيون والعسكريون من ذوي المقامات الرفيعة في البلاد ممن اثق في تدينهم واخلاصهم وصدقهم، دفعتني الى القبول بالقرار الدولي، والموافقة على وقف اطلاق النار، اني اعتبر ذلك الآن في مصلحة الثورة والنظام. والله يعلم بأنه لو لم يكن الدافع من ذلك جعلنا جميعاً مضحين بعزتنا واعتبارنا في مسار مصلحة الاسلام

والمسلمين، فانني لم اكن لأقبل بهذا الأمر مطلقاً ولكان الموت والشهادة احلى مذاقاً بالنسبة لي. ولكن ما العمل ونحن جميعاً مطالبون بالاذعان لما يرضي الله تعالى. ومن المسلّم ان الشعب الشجاع البطل كان ـ وسيبقى متحركاً على أساس هذه المعايير»(٢٢).

وتماماً كما حذر الامام مراراً ـ من أن ادعاءات صدام للسلام لا تعدو كونها محاولة لتضليل الرأي العام فإن الواقع اثبت ذلك، فبعد قبول إيران بالقرار الدولي، بادر صدام حسين الى الهجوم مجدداً وارتكاب حماقة جديدة باندفاعه في الجبهات الجنوبية لاحتلال مناطق منها، غير ان انتشار بيان الامام الحماسي والعاطفي ادى مرة اخرى الى موجة من التطوع في صفوف قوات التعبئة وتجمع الطاقات الثورية المقاتلة من اقصى نقاط البلاد للتوجه نحو المناطق الجنوبية، وبذا فقد ادت سرعة تحركهم وتنظيم قواتهم الى تحميل العدو خسائر فادحة ومسارعته الى الفرار من هناك ولم يبق امام صدام من طريق سوى القبول بالهزيمة.

وبذا وبمشيئة الله وكما وعد الامام الخميني فان الشعب الذي فرضت عليه الحرب، استطاع فرض السلام على عدوه المغرور سابقاً والخائب حالياً وذلك بتقديمه الكثير من اعزائه، وبتسطيره البطولات والملاحم التي لم نر مثيلاً لها الا في الحروب التي خاضها المسلمون الاوائل في عصر صدر الاسلام.

لقد جاء صدام بايعاز من امريكا لتقسيم إيران والقضاء على الثورة الإسلامية، الا انه اليوم مضطر ومن أجل حفظ حياته ونظامه المفروض على الشعب العراقي المظلوم الى القبول بشروط الشعب الايراني الثائر.

وعليه انتهت الحرب التي دامت ثمانية اعوام. ولم يوفق مشعلو

فتيلها من تحقيق اي هدف من اهدافهم. ولم يبق النظام الجمهوري الاسلامي قائماً وحسب، وانما تمكن ومن خلال الوحدة الوطنية لجماهيره المسلمة في ايران، من القضاء على الطابور الخامس في داخل البلاذ، وحكّم من قدرته وحاكميته على جميع البلاد. اما على الصعيد الخارجي فقد ظهرت الجمهورية الإسلامية على انها قوة ثابتة لا تُهزم تمكنت من اثبات حضورها الفاعل على المستوى الدولي واثبات حقانيتها رغم ثمانية اعوام من الاعلام المكثف المعادي، واستطاعت ابلاغ رسالتها للعالم. وطبيعي انها دفعت من اجل سلوك هذا الطريق الثمن الباهظ المطلوب «إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم»[٢٣].

إنّ من اكبر ذنوب وجرائم صدام وجميع الحكومات العربية الإسلامية الظاهر التي شجعته على الاعتداء ودعمته طوال فترة الحرب، علاوة على جريمتهم في هدر الطاقات الانسانية والاقتصادية العظيمة لكلا البلدين (إيران والعراق) في تلك الحرب المشؤومة يتمثل في تأخير الوحدة الإسلامية والثورة الإسلامية الكبرى التي كانت قاب قوسين أو أدنى بعد سقوط النظام الملكي الايراني ولسنوات طويلة قادمة، وعرّضت صفوف المسلمين الى التفرق والاختلاف، وعوضاً عن التربيت على يد الأخوة التي مدها الامام الخميني بعد ١١ شباط (يوم انتصار الثورة) عبر جميع البيانات والخطابات الى الحكومات الإسلامية، وقبول دعوته للاتحاد وحل مشكلات العالم الاسلامي وتحرير القدس، تراها وقفت الى جانب اساطين الكفر. وطبيعي فإن هذا الطريق لا يوصل سوى الى التسليم المذل امام اسرائيل، والاعتراف رسمياً بوجود هذه الغدّة السرطانية واستقبال عساكر الكفر في بلدانهم، وتسليم ثرواتهم القومية واراضيهم لأمريكا لكي تستقر في قلب البلدان الإسلامية وفي مهبط الوحي.

ان الهجوم الصدامي المجنون على الكويت وتدميره لكيان تلك الدولة، والنتائج المرّة التي ترتبت على ذلك الاحتلال من تخريب البنية الاقتصادية والاجتماعية للشعب العراقي والحضور الدائم لاعداء الاسلام في المنطقة انما يمثل عقوبة هذا الذنب الذي لا يغتفر «فاعتبروا يا أولي الأبصار»[٢٤].

بعد استقرار السلام النسبي، حدد الامام الخميني للمسؤولين في الجمهورية الإسلامية وعبر بيان اصدره في ١٩٨٨/١٠/٣ في تسعة بنود، السياسات والبرامج اللازمة لاعادة بناء البلاد. ويكفي لاستشراق عمق تفكير الامام، وأصالة القيم من وجهة نظره، مطالعة هذا البيان بدقة[٢٥].

ثم وبعد مرور عشرة اعوام من التجربة بالنسبة للنظام الجمهوري الاسلامي، اصدر الامام الخميني في ١٩٨٩/٢/٢٤ ولأجل اصلاح وتكميل ركائز نظام الجمهورية الإسلامية الايرانية أوامره وضمن رسالة الى رئيس الجمهورية آنذاك (آية الله الخامنئي) بتشكيل هيئةً من المحققين والمتخصصين لدراسة وتدوين التعديلات اللازمة في الدستور على أساس ثمانية محاور محددة في نفس الرسالة، أهمها اصلاح المواد المتعلقة بالشروط اللازم توافرها في القائد، ايجاد المركزية في السلطتين التنفيذية والقضائية والاذاعة والتلفزيون، وتحديد مسؤوليات مجمع تشخيص مصلحة النظام[٢٦].

وقد تمّ طرح المواد الدستورية المعدّلة للاستفتاء الشعبي في ١٩٨٩/١٢/٣م (بعد رحيل الامام) وصوتت عليها الجماهير بأغلبية مطلقة.

توقع الامام الخميني انهيار الماركسية

اقدم غورباتشوف آخر زعيم سياسي للاتحاد السوفيتي على القيام باصلاحات وتغييرات في بنية القطب الشيوعي العالمي. ولم يزل المحللون السياسيون وقادة الغرب ينظرون بعين التردد والشك الى ما يفعل دون ان يصدقوا بأن هذه التحولات التي تجري في هذا النظام الملحد الذي عمَّر سبعين عاماً ستمتد الى جذوره العميقة، واقصى ما توقعوه هو ان يقوم قادة الكرملين في النهاية بإهمال بعض العلاقات المباشرة بين بلدان الكتلة الشرقية والاتحاد السوفياتي للتخفيف من المشكلات الاقتصادية الداخلية وتأسيس نظام جديد للشيوعية يقوم على قيادةٍ اكثر محدودية للاتحاد السوفياتي ومسؤولية اكثر للبلدان التي تدور في فلكها. في حين أن الامام الخميني وببصيرته غير القابلة للدرك بالنسبة للمحللين الماديين بعث برسالة في تلك الأيام وبتاريخ ١٩٨٩/١١/١ الى غورباتشوف توقع فيها انهيار الماركسية فكتب يقول: «من الآن فصاعداً ينبغي ان يُبحث عن الماركسية في متاحف التاريخ السياسي للعالم»(٢٧).

في تلك الرسالة عرض الامام الخميني اعمق التحليلات عن التحولات الجارية في الاتحاد السوفياتي وعبر عما يجري بالقول:

«صوت تهشم عظام الماركسية» والعجيب انه توقع في نفس الرسالة توقعاً قرنه بالتحذير، مما يشير الى احاطة الامام الخميني بالظروف السياسية للعالم في تلك الأيام. فقد حذّر سماحته بوضوح من تقلّب الروس نحو الروضة الخضراء ظاهراً للرأسماليين الغربيين والانخداع بما تطرحه امريكا.

لقد طالب الامام الخميني غورباتشوف بالايمان بالله بدل تعليق الآمال على الماديين الغربيين معتمداً في مطالبته على عرض المسائل الفلسفية والعرفانية العميقة مشيراً الى فشل الشيوعيين في سياستهم في محاربة الأديان. قال الامام في رسالته: «ان مشكلة بلدكم الأصلية لا تكمن في مسألة الملكية والاقتصاد والحرية، ان مشكلتكم انما تكمن في عدم الاعتقاد الواقعي بالله، وهي نفس المشكلة التي يعاني منها الغرب والتي جرته نحو الابتذال ووصلت أو انها ستصل به الى طريق مسدود»(٢٨).

الا ان القادة السوفيت لم يحملوا نصائح الامام وتحذيراته للأسف على محمل الجد، مما اتاح للشركات الامريكية والاوروبية، ان تجعل من روسيا الحالية إلعوبة لمطامعها الاقتصادية، وتعرضها لنوع جديد من الاستثمار الذي لا يحمل معه في المستقبل سوى الظلام والانتهاء الى الطريق المسدود، الا إذا أفاقت الجماهير الروسية وعادت الى رشدها.

من الجدير بالذكر ان (شيفاردنادزه) وزير خارجية الاتحاد السوفيتي آنذاك، حينما وفد يحمل ردّ الرئيس السوفياتي الى الامام الخميني، أذهله أن رأى أن هذا العملاق الصلب الذي يوجه التحذيرات بصراحة عجيبة الى قادة ثاني قوة في العالم، يعيش في بيت صغير بسيط في جماران في غرفة لا تتجاوز مساحتها ١٢ متراً مربعاً،

مكتفياً بوسائل وأثاث في منتهى البساطة ودون وجود اي أثر من المراسم والتشريفات المعمول بها. أذهله ان يرى الامام جالساً باطمئنان واستقامة كالطود يضع الى جانبه نسخة من القرآن الكريم وسجادة صلاة ومسبحة وعدداً من الصحف ومذياعاً صغيراً وقد ازدادت حيرة (شيفردنادزه) وتعجبه اكثر حينما التفت الى انه لا يوجد كرسي آخر ليجلس عليه مرافقه الروسي ذا المنصب الهام، وان على الاخير ان يجلس على الأرض ولو لمرة واحدة! ولعل وزير الخارجية السوفيتي ظن بأن قدح الشاي مع حبتي القند الذي قدّمه له الشيخ العجوز الذي كان في خدمة الامام كان امراً متعمداً واستثنائياً، غير ان الحقيقة غير ذلك، فالامام لم يغيّر اسلوبه في العيش ببساطة خلال جميع أدوار حياته سواء حينما كان وحيداً ومغترباً ومنفياً أو خلال عهد زعامته الدينية وقيادته السياسية وحتى آخر لحظة من عمره. ولم يقبل لنفسه ان يغير من اسلوبه امام المقامات الدنيوية الاعتبارية مهما عظمت وتسامت.

الدفاع عن النبي الاكرم (ص) والقيم الدينية

بعد توقف الحرب بين العراق وإيران، بدأ القادة السياسيون الغربيون نوعاً جديداً من الهجوم على الاسلام الثوري. لقد ادرك هؤلاء الساسة ومن خلال الحرب العراقيةالايرانية والمواجهة التي وقعت بينهم وبين حزب الله لبنان، ومن نشوء المنظمات الفلسطينية الإسلامية والجهاد الاسلامي للافغان، ومن عملية اغتيال السادات على أيدي المسلمين الثوريين المصريين في (٦/١٠/١٩٨١) بأنّ الحركة الإسلامية المتنامية، وانه لا يمكن القضاء عليها بالسلاح وبالأسلوب العسكري. لذا فقد لجأوا الى فتح جبهة جديدة يتم فيها الصراع على اساس روحي وثقافي وايديولوجي. ولما كان بث الفرقة بين المسلمين على اساس مذهبي وطائفي قد فقد قدرته نتيجةً لوعي الامام الخميني ومسؤولي النظام الاسلامي. توجه هؤلاء لضرب الجذور والأسس الأساسية المحركة لهذا التيار. وهي المباني الاعتقادية والمقدسات التي ادى عشقها الى توحيد الاهداف والأساليب بين مختلف اتجاهات الحركة الإسلامية. فكان تنظيم ونشر الكتاب المبتذل «الآيات الشيطانية» لمؤلفه (سلمان رشدي) والدعم الرسمي للدول الغربية له بداية لفصل جديد من الهجوم الثقافي.

ولو ان الأمـة الإسـلامـيـة لم تبد أية مقـاومـة إزاء مـا جـرى من المساس بشخصية الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) لتم الاستيلاء على الخندق الأول من خنادقها الدفاعية، ولتمّ بعد ذلك الهجوم على الأسس الدينية والمقدسات والاعتقادات بما وراء الطبيعة وسائر القيم المعنوية في المجتمعات الإسلامية بمختلف الأساليب. إن هوية التفكر الديني والهوية التي توحد الأمـة الإسـلامـيـة إنما تتشكل من هذه المقدسات وان التشكيك بها يؤدي الى تضييع الهوية الذاتية للعالم الاسلامي والحركات الإسلامية ويجردها من أي سلاح في مقابل الهجوم الثقافي والايديولوجي من قبل الغرب.

واستناداً الى الحقائق والأسباب التي ذكرناها، أصدر الامام الخميني في ١٩٨٩/٢/١٤ حكماً مختصراً أعلن فيه ارتداد (سلمان رشدي) وحكم عليه بالاعدام هو ومن ينشر كتابه إذا كان مطلعاً على محتوى الكتاب من الأمور المؤدية الى الكفر[٢٩].

بذا فقد أشعل الامام فتيل ثورة جديدة فوحّد المسلمون صفوفهم بصرف النظر عن مذاهبهم والسنتهم وبلدانهم للوقوف بوجه الغرب، وقد اظهرت النتائج التي ترتبت على هذه الواقعة المجتمع الاسلامي على انه امة واحدة، وان المسلمين رغم اختلافاتهم الداخلية والجزئية متى ما توفرت لهم القيادة الصحيحة استطاعوا ان يقوموا وباعتبارهم روّاداً بدور فاعلٍ في حركة احياء القيم الدينية في مستقبل العالم. كذلك فإن اصدار هذا الحكم بدد التصورات الغربية الموهومة حول تخلي إيران عن اهدافها الإسلامية الثورية بمجرد قبولها بالقرار (٥٩٨).

السنوات الاخيرة من عمر الامام والاحداث المرّة

نقل المقربون من الامام الخميني في مذكراتهم مسائل عن حالات سماحته وروحيته في أواخر عمره، تشير الى أنَّ سماحته كان يرى قرب أجله ودنو موعد اللقاء بالمحبوب. وناهيك عن الحالات العرفانية للامام في تلك السنوات، فإن خصائص بياناته وخطاباته وطبيعة المواقف التي كان يتخذها وأساليبه السياسية اخذت عما كان عليه في السابق وسنورد نماذج من ذلك فيما يلي:

وقعت في تلك السنوات عدة حوادث ثقل اثرها على روح الامام الخميني وقلبه، احداها استشهاد عدد كبير من الحجاج الايرانيين المظلومين في جوار بيت الله وفي موسم الحج لعام ١٩٨٧.

كان الامام يعتقد برسوخ واستناداً الى مئات الآيات القرآنية الصريحة وسنّة النبي الاكرم (ص) وسيرة أئمة الدين وما لا يحصى من الروايات المأثورة عن المعصومين(ع) بأن السياسة جزء من الدين، وان عملية فصل السياسة عن الدين والتي شاعت خلال العقود الأخيرة من هذا القرن انما روّج لها المستعمرون، وان النتائج المشؤومة لهذا الفصل واضحة في العالم الاسلامي وبين اتباع سائر الاديان الالهية.

ان الامام الخميني يعتقد بأنّ دين الاسلام عقيدة لهداية البشر

في جميع مراحل وابعاد وادوار الحياة الفردية والاجتماعية، ولما كانت العلاقات الاجتماعية والسياسية جزءاً لا يتجزأ من حياة البشر فإن اعتقاد الامام الخميني يتمثل في أنَّ الاسلام الذي يهتم فقط بالجوانب العبادية والاخلاقية الفردية، ويصد المسلمين عن تقرير مصيرهم وعن المسائل الاجتماعية والسياسية، اسلام محرّف وكما يقول سماحته «اسلام امريكي» كما ان سماحته قد شرع بنهضته ايضاً على اساس فكرة عدم الانفصال بين الدين والسياسة، وواصله على هذا الأساس.

لقد بادر الامام الخميني بعد انتصار الثورة الإسلامية وعلاوة على تشكيل الحكومة الإسلامية باسلوب يختلف بشكل كامل عن الأنظمة السياسية المعاصرة وضحت اركانه واصوله في دستور الجمهورية الإسلامية الى احياء الشعائر الاجتماعية للاسلام والروح السياسية للاحكام الإسلامية احياء واقامة مراسم صلاة الجمعة، ومراسم صلاة الاعياد الإسلامية الكبرى في مختلف انحاء البلاد، على انها عقيدة عبادية سياسية وطرح المسائل والمشكلات التي يتعرض لها المجتمع الاسلامي داخل البلاد وخارجها في خطب صلوات الجمعة والأعياد الدينية، وتغيير اسلوب ومحتوى مراسم العزاء والرثاء تعد نماذج من ذلك.

احد ابرز اعمال الامام الخميني، احياء الحج الابراهيمي فالى ما قبل انتصار الثورة الإسلامية في ايران كانت مراسم الحج ونتيجة نوع التفكير والطبيعة العميلة لحكام البلدان الإسلامية وبالأخص حكام السعودية التي تقام سنوياً خالية من الروح الواقعية فقد كان المسلمون يؤدون مناسك الحج وهم غافلون تماماً عن فلسفة تشريع هذا التجمع الديني السنوي الكبير، ومع ان الحج وكما نصت عليه الآية القرآنية: «جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس[٣٠]. يعتبر من ابرز مظاهر

التلاقي واعلان البراءة من المشركين، لا يرى الناظر الى الحج اي اثر من طرح مشكلات العالم الاسلامي والبراءة من المشركين. في وقت تعيش فيه المجتمعات الإسلامية احلك الظروف وتتعرض لهجمات المستعمرين واسرائيل من كل ناحية.

وبعد انتصار الثورة الإسلامية، اكد الامام الخميني ومن خلال البيانات السنوية التي كان يصدرها في موسم الحج مخاطباً الحجاج على وجوب اهتمام المسلمين بالأمور السياسية للعالم الاسلامي، وعلى ان اعلان البراءة من المشركين،ركنٌ من أركان الحج، وعلى توضيح مسؤوليات الحجيج في هذا الخصوص. وبالتدريج اتخذ مؤتمر الحج العظيم شكله الحقيقي وصارت مسيرة البراءة تقام سنوياً بمشاركة عشرات الآلاف من الحجاج الإيرانيين والمسلمين الثوريين من البلدان الأخرى ويرددون خلالها شعارات تدور حول اعلان البراءة من امريكا والاتحاد السوفياتي واسرائيل باعتبارها ابرز المصاديق للشرك والكفر العالمي، وحول دعوة المسلمين الى الاتحاد، وتزامناً مع ذلك كانت المؤتمرات تقام من اجل تبادل الآراء بين المسلمين وتحري الحلول لمشكلاتهم وتأخذ ابعاداً مختلفة. وقد أدى التأثير المذهل لهذه الخطوات الى دفع امريكا الى زيادة ضغطها على حكومة السعودية للحيلولة دون تنامي هذه الأمور أو إقامتها اساساً.

في يوم الجمعة السادس من ذي الحجة عام ١٤٠٧ هـ. ق وبينما كان اكثر من مائة وخمسين الف حاج مندفعين في شوارع مكة للمشاركة في مراسم البراءة من المشركين، اقدم رجال أمن الحكومة السعودية السريين والعلنيين على مهاجمة الجموع الغفيرة من الحجاج هجوماً يدلل على سبق اصرارهم وترصدهم، فوقع في هذه الحادثة المؤلمة اكثر من اربعمائة شهيد من الحجاج الايرانيين واللبنانيين والفلسطينيين

والباكستانيين والعراقيين وغيرهم، وجرح اكثر من خمسة آلاف آخرين كما تم اعتقال العديد من الأجانب. وكان اكثر الشهداء والجرحى من النساء والشيوخ ممن عجزوا عن الفرار السريع من مكان المذبحة.

لقد سقط هؤلاء بمنتهى المظلومية البراءة بتهمة اعلانهم للبراءة من المشركين، واهم من ذلك فإن حرمة الحرم الالهي الآمن وقد انتهكت في يوم الجمعة وفي ايام الحج المباركة وفي الشهر الحرام.

وقد كانت اثار الغضب والألم تعتصر الإمام الخميني من هذا التجرؤ الوقح، الا ان مصالح الأمة الاسلامية وظروف العالم الاسلامي منعته من القيام بأيّة خطوة عملية، مما حبس الغم في داخله وترك اثره على كلامه وبياناته حتى آخر عمره.

بعد عام من هذه الواقعة، ونتيجة لأسباب استعرضناها في الفصل السابق قبلت الجمهورية الإسلامية الايرانية وحكومة العراق القرار ٥٩٨ عملياً وانهيا الحرب المفروضة. وقد كانت الملاحم البطولية التي سطرها جند الاسلام والمقاومة الشعبية الايرانية الرائعة خلال ثمانية اعوام من الدفاع المقدس للحيلولة دون تحقيق الاعداء لأيٍ من اهدافهم التي فرضوا الحرب من اجلها على الشعب الايراني وطرد المعتدين من المدن والمناطق المحتلة من خلال صراعٍ غير متكافئ تماماً، وانتهاء الحرب بانتصار جند الاسلام، امور تدعو الى الفرح والسرور، غير أنّ الظروف والفجائع التي ظهرت قبل انتهاء الحرب ومنها المجزرة الرهيبة التي وقعت في (حلبجة) نتيجة القصف الكيميائي لهذه المدينة من قبل الطائرات العراقية والقصف الواسع للمناطق السكنية في إيران ودعوة الدول المدّعية للاسلام امريكا واوروبا للمجيء الى الخليج الفارسي بناقلاتها الحربية لحماية صدام واسقاط الطائرة الايرانية المدنية في الخليج الفارسي من قبل القوات العسكرية

الامريكية كلها كانت مسائل مؤلمة تعتصر قلب أيّ مسلم غيور فضلاً عن رجلٍ طاهرٍ كالامام الخميني الذي أوقف عمره لخير الأمة الإسلامية وصلاحها، ونهض من اجل استعادة مجد المسلمين الضائع. كان الامام الخيميني يعاني الأمرّين مما كان يراه من وقوف الكثير من الدول الإسلامية وخلافاً لإرادة شعوبهم مع أعداء الاسلام الحاقدين، ودعمهم للمعتدي، خصوصاً وأنه كان يرى بوضوح العواقب الوخيمة لهذا الدعم. وانّه حذّر من مغبة مواجهة النظام الاسلامي الايراني وتقوية الحكّام البعثيين، مشيراً الى ان هذا الأمر وعلاوة على انه لن يحلّ مشكلة من مشاكل العالم الاسلامي فإنه سيؤدي في المستقبل القريب الى تعريض هؤلاء الحكام الداعمين للاكتواء بالنار المستعرة تحت الرماد. ونورد هنا نماذج عن تلك القدرة المحيرة على توقع الأحداث، فنطلعك عزيزي القارئ على حديث الامام الذي القاه قبل ثمانية اعوام من الهجوم الصدامي على الكويت والذي طبع في السنة نفسها في كتاب صحيفة النور (ج١٦ ص ١٥٠). قال الامام في يوم ١٦ أيار ١٩٨٢م مخاطباً الدول العربية الداعمة لصدام: «على حكومات المنطقة ان ينتبهوا الى انهم انما يلقون بأنفسهم الى التهلكة من أجل امريكا او غيرها من القوى الكبرى، لقد حذرناهم مراراً من أن يصبحوا آلة بأيدي القوى الكبرى وقد قلنا أكثر من مرة بأن صدام اذا تمكن من النجاة من ورطته هذه واستعاد قدرته فإنه ليس بذلك الرجل الذي سيضع اعمالكم وما قدمتموه له موضع التقدير، انه مصاب بجنون العظمة، ومن المحتم انه سيبادر للهجوم عليكم» كذلك فقد حذر الامام في خطابه الذي القاه بتاريخ ١٩٨١/١١/٢ قائلا: «انني انصح جميع حكومات المنطقة بأن يكفوا عن دعم صدام، وان يخشوا ذلك اليوم الذي يحل فيه غضب الله عليهم، والملفت أن مدة لم تمض على

وفاة هذا الرجل الرباني حتى تحقق ما قال، فقد اصبح أولئك الذين اتهموا إيران بانها عدوانية الطبع، واعتبروا المعتدي المتجاوز هو الطرف الراغب بالسلام انفسهم فريسة لذات الطرف المتجاوز والمعتدي مع اختلاف بين ما فعلت وما فعلته إيران في السابق، فقد بادروا هم الى الاستنجاد بالدول التي تعدّ السبب الرئيسي لاشعال فتيل كل هذه الفتن والحروب.

ان عدم اكتراث الدول الإسلامية امام الاعتداءات الاسرائيليلة على جنوب لبنان والجرائم التي ارتكبها الصهاينة في ذلك البلد، والمواجهة القاسية للمسلمين المنتفضين في الاراضي الفلسطينية المحتلة وأسوأ من ذلك كله، توجه الدول العربية نحو إقامة ـ ما يسمى ـ بالسلام مع اسرائيل والكف عن السعي لتحرير القدس، كانت تمثل كلها معاناة تُدمي قلب عجوز جماران. لقد اطلق سماحته صيحته ـ منذ شروعه بالنهضة من اجل تحرير الاراضي الاسلامية من قبضة الصهاينة ـ بوجه اسرائيل وحاميها الاول (امريكا) ومن اجل ذلك بالذات تم نفيه الى خارج بلاده مدة اربعة عشر عاماً. كذلك فإنه وخلال فترة ما بعد انتصار الثورة الإسلامية لم يأل جهداً ولم يدخر وسعاً في تقديم الدعم المادي والمعنوي لتحقيق ذلك الهدف.

واليوم نرى بأن قادة الدول الإسلامية وقادة المنظمات الفلسطينية يهيئون انفسهم للإمضاء على سند الاستسلام في وقت تغيرت فيه الظروف لغير صالح امريكا واسرائيل نتيجة تنامي تيار الصحوة الإسلامية بين الشبان الفلسطينيين وفي مختلف انحاء العالم الاسلامي. وهذه امور كانت تترك أسوأ الآثار على روحية الامام. ولا شك انه في السنوات الأخيرة من عمره كان يخصص السهم الأوفر من مناجاته الليلية للشكوى لله من تلك الأمور والدعاء من اجل إصلاحها.

اما على الصعيد الداخلي، فقد كانت الظروف التي أدت إلى إقالة آية الله المنتظري عن سمته في تولي امري القيادة بعد الامام (١٩٨٩/٣/٢٨) من جملة الحوادث المرّة الأخرى.

ان احد اهم الاصول التي يقوم عليها دستور الجمهورية الإسلامية . والذي تم طرحه وتصويبه على اساس مباني الامام الخميني . هو تشكيل مجلس الخبراء لتعيين القائد وصلاحيات القيادة في النظام الاسلامي، والخبراء مجموعة من الفقهاء والمجتهدين الذين تتوفر فيهم الشروط، يتم انتخابهم من قبل الجماهير بشكل مباشر، وبذا تكون الجماهير مشاركة وناظرةً على اهم امر يرتبط بمصير المجتمع الاسلامي اي القيادة وذلك عن طريق رأي الخبراء.

صوّت اول مجلس للخبراء في جلسته المنعقدة في شهر تموز ١٩٨٣م على انتخاب آية الله المنتظري لمقام نائب القائد، فهو من تلامذة الامام الخميني البارزين ومن المجتهدين الذين كان لهم حضور فاعل في الدفاع عن انتفاضة الخامس من حزيران وما تلاها من الحوادث، لذا فقد تعرض كما هو حال آية الله الطالقاني وسائر علماء الدين الثوريين للسجن لفترات طويلة في العهد الملكي البائد.

في آخر رسالة بعث بها الامام الخميني الى آية الله المنتظري والتي أدّت الى تقديم الاخير استقالته من منصبه صرّح سماحته بأنه كان معارضاً لانتخاب المنتظري كقائدٍ للنظام الاسلامي بعده، فقد كان يرى فقدانه الطاقة اللازمة لتحمل هذه المسؤلية الثقيلة والخطيرة والمعقدة[٣٠]. وقد صرح الامام في هذه الرسالة بأن عدم اتخاذه لموقف معارض لمجلس الخبراء انما كان لرغبته في عدم اختراق الحدود التي اقرها القانون لمسؤوليات ووظائف مجلس الخبراء! وهذا الأمر بذاته بالغ الأهمية في دلالته على اسلوب الامام الخميني في الادارة فهو

يحترم قانون النظام الاسلامي ورأي الجماهير. ويلتزم به الى احدّ الذي يمنعه من ابداء رأيه ونظرته الشخصية حتى في أدق الظروف واكثرها حساسية، ورغم ان ابداءه لرأيه لن يؤدي الى وقوع اية مشكلة نتيجة المحبوبية والمقبولية التي يتمتع بها لدى الجماهير ومسؤولي النظام.

في نفس الرسالة، أكد الامام الخميني وضمن تعبيره عن محبته للمنتظري على انه يرى ان من الصالح له (المنتظري) ان يكف عن تكرار اشتباهاته السابقة، وان يطهر بيته من الافراد غير الصالحين، ويحول دون تردد المعارضين للنظام الاسلامي عليه، وان يتفرغ لاغناء المجهود الفقهي واتاحة الفرصة للحوزات للاستفادة من ارائه الفقهية.

ومن الجدير بالذكر، ان الإمام الخميني لم يخفِ رأيه الشخصي بعد اصدار مجلس الخبراء رأيه في المنتظري، وانما بادر لتقوية واصلاح نقاط ضعف المنتظري بكل جهده، واناط به من المسؤوليات والأمور المهمة الكثيرة لاكسابه التجربة الكافية واعداده لتحمل مسؤولية القيادة الخطيرة غير أن آثار حقيقة فقدانه الطاقة اللازمة لتحمل مسؤولية هذا المقام الخطير) كانت تظهر وللأسف تدريجياً، الأمر الذي دفع العناصر غير الصالحة والتي تسللت الى منزل آية الله المنتظري الى إستغلال هذه المسألة وقد اظهرت اعترافاتهم التي ادلو بها عبر التلفزيون عن سوء مواضيهم واهدافهم المشؤومة التي كانوا يخططون لتنفيذها حتى بلغ الأمر حداً تجاوز عدم الالتزام بالنصائح المشفقة والحكيمة التي قدمها الامام الخميني والاصرار على الاسلوب الخاطئ.

لقد نصحه الامام الخميني عدة مرات عبر الرسائل تارة ، واللقاءات المباشرة تارة اخرى بضرورة تطهير منزله من تلك العناصر، والتعاون مع مسؤولي النظام المخلصين.

ولأجل ادراك المفاصل الحساسة في هذه الواقعة التاريخية ومرارة الأثر الذي تركته هذه الحادثة على قلب الإمام، ولفهم مدى التزام الامام بمصالح الأمة وعدم الأخذ بنظر الاعتبار العلاقات العاطفية والشخصية في مقابل الاهداف المهمة، يكفينا نقل هذا المقطع من رسالة الامام التي بعث بها الى ممثلي مجلس الشورى والحكومة بتاريخ ١٠ نيسان ١٩٨٩م وسوف يغنينا ذلك عن اي تفسير أو تحليل، يقول سماحته: «بلغني انكم لا تعلمون شيئاً حول قضية السيد منتظري،وانكم تجهلون تفصيلاتها. فلتعلموا بأن والدكم الشيخ بذل وسعه منذ اكثر من عامين من خلال البيانات والرسائل لتفادي وصول الأمر الى هذا الحد، غير انه وللأسف لم يوفق في ذلك[٣٢]. من جانب آخر فإن المسؤولية الشرعية اقتضت اتخاذ القرار المناسب لحفظ النظام والاسلام، لذا فقد اقلت بقلب يعتصره الالم وضحيت بحاصل عمري (المنتظري) من اجل مصلحة النظام والاسلام»[٣٣].

وبهذا الشكل تم القضاء على احدى المخاوف التي احاطت بمستقبل النظام الاسلامي وذلك على يد الامام الخميني الكفوءة المقتدرة. وهذا الأمر المعقد لم يكن ليُحلّ الا بواسطة شخصية كشخصية الامام الخميني.

والإمام الخميني لم يوجه حديثه الى الآخرين فقط حينما يقول: «ان الثورة ليست مدينة لأية مجموعة» و «لقد اعلنت مراراً بأني لم أوقع عقد اخوة مع اي احد ومهما كان منصبه» و«ان الاطار لمحبتي للآخرين انما يتحدد من خلال صحة الطريق الذي ينتهجونه» بل انه يشمل بذلك حتى نفسه، ففي بيانه المعروف الذي وجهه للحوزات العلمية كتب يقول: «الله يعلم بأني لا اعتقد، لنفسي بذرة من المصونيّة والحق والامتياز، واني مستعد للمؤاخذة اذا بدر مني أيّ خلاف»[٣٤].

كما أشرنا سابقاً ، فإن بيانات وخطابات الامام الخميني خلال السنوات الأخيرة من عمره تختلف عما كانت عليه في السابق. الأمر الذي يعبر عن سعة افقه وعمق احساسه بالمسؤولية عن الفترة التي ستلي فترة وجوده، فخلافاً لبياناته وأحاديثه في المراحل السابقة والتي كانت تركز اساساً على توجيه الجماهير والمسؤولين فيما يتعلق بالأحداث الجارية والمواقف المناسبة امام الابتلاءات التي تتعرض لها البلاد والعالم الاسلامي فإن بياناته في السنوات الأخيرة من عمره كانت عبارة عن تلخيص وجمع للأحداث السابقة والحالية، وترسين ابعاد المستقبل، وبيان تكاليف عموم المسلمين في قبال المسؤوليات المستقبلية وبنحوٍ اشدّ وضوحاً من السابق.

وبعبارة اخرى فإن الامام الخميني كان يشعر بقرب الرحيل، عليه فإنه سعى في السنوات الأخيرة من عمره الشريف الى التذكير بمجموعة القيم والمثل والأهداف التي شكلت الأساس لانطلاق الثورة، وترسيم وتوضيح الأولويات للنظام الجمهوري الاسلامي والثورة الإسلامية العالمية على اساس هذه القيم والأهداف.

لقد سعى الامام الخميني من خلال هذه البيانات وبطرح تقييمه عن مجمل العناصر الموجودة في المجتمع الايراني والعالم الاسلامي، وكذلك تحليلاته عن الانظمة الحاكمة للعالم المعاصر لتوضيح الطريق امام انتخاب واختيار اللاحقين، وتبيين تكليف كل شريحة ازاء الظروف المستقبلية وفي حال عدم وجوده.

وقبل عدة سنوات من رحيله وبتاريخ ١٥ شباط ١٩٨٣ كتب الامام الخميني وصيته السياسية الإلهية مستنداً الى هذا المبنى ومعتمداً على هذا الدافع(٣٥). وهذه الوصية التي طبعت ونشرت الى الآن بمختلف اللغات تعدّ بمثابة بيان الامام الخالد المتضمن اصول فكره واهدافه

وارشاداته الخالدة لأنصاره ومحبيه. وكتابة وصيته على هذا المستوى وبهذه الأبعاد عملٌ لم يسبق له مثيل بين فقهاء الشيعة ومراجع التقليد، ودليل على عمق اطلاع الامام على الحاجات الحالية والآتية للمجتمعات الإسلامية، وعلى شدة احساسه بالمسؤولية في هذا الاطار.

ان بيانات الامام الخميني الاخيرة، هي في الحقيقة شرح وتفسير منه للقيم التي دافع عنها في وصيته والأمور السياسية التي طرحها فيها.

من جملة الخصائص التي تميزت بها بيانات الامام في أواخر عمره، تأكيده على ضرورة التفات المسلمين الى نوعين متضاربين من الفكر الديني والاسلامي، فهو واستناداً للشواهد التاريخية العديدة. يعتقد بأنّ الاسلام وسائر الأديان الإلهية ومنذ سحيق الزمان وحتى اليوم عرضت بصورتين متضادتين تماماً. فمن جانب كان الدين والاسلام المحرف الذي استغله الظالمون والمستعمرون والذي ابتدعه المتحجرون والقشريون من رجال الدين الكاذبين، ومن جانب آخر كان الدين والاسلام الحقيقي الذي حفظ وانتشل من احضان الخرافات والشعبذات بدماء المجاهدين والمساعي الحثيثة لعلماء الدين الملتزمين طوال التاريخ. وبذا فإن احد أسرار موفقية الامام الخميني في قدرته على تحريك الامة الإسلامية انما يتمثل في قدرته على بيان هذا التضاد المستمر بين هذين النوعين وخصائل كل واحدٍ منهما.

والامام الخميني يعتقد بأنّ عدم الالتفات والاطلاع على هذه الحقيقة التاريخية، هو الذي أدى الى نزول الاستعمار واستقراره في البلدان الإسلامية. وابتعاد المسلمين عن عصور التحضر والثقافة اللامعة التي كانوا عليها. وبالنتيجة الى ظهور هذه الوضعية الحالية،

حيث نرى وللأسف ان الحكومات الإسلامية التي رفع اسلافها شعار «الاسلام يعلو ولا يُعلى عليه» و «لن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا»[٣٦]. تستجدي اليوم ومن اجل مواصلة حياتها والحفاظ على حدودها اعداء الاسلام من الكفار والمشركين.

وقد عبّر سماحته عن تياري الفكر الديني والاسلامي المتضادين وبعبارتي «الاسلام الاصيل» و «الاسلام الامريكي» فهو يرى بأن الاسلام الذي تُهمل احكامه القرآنية المسلّمة وسنّة نبيه الأكرم (ص) فيما يتعلق بالمسؤوليات الاجتماعية، الاسلام الذي تترك منه ابواب الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والعدالة الاسلامية والاحكام المرتبطة بالعلاقات الاجتماعية والاقتصادية في المجتمع الإسلامي، الاسلام الذي يبعد المسلمين عن المشاركة في السياسة وفي تقرير مصيرهم، ويرى ان الدين يتلخص في مجموعة من الاذكار والعبادات الفردية الخالية من الفلسفة والروح الحقيقية، هو إسلام من صناعة وابداع امريكا ومن يدور في فلكها.

سماحة الامام يستند في تحليله هذا على ظواهر تاريخية وشواهد دامغة مستلة من الوضع الذي كانت عليه البلدان الإسلامية. فسماحته يعتقد بأن الاستعمار الحديث هو نتاج لمساعي المستعمرين السابقين. فأولئك سعوا لتغيير دين الجماهير المسلمة عن طريق المبشرين المسيحيين ولمّا فشلوا في ذلك حولوا مساعيهم منذ ذلك الزمان وحتى الآن لتنصب على ابطال مفعول الاحكام الإسلامية السامية وافقاد الدين اثره من الداخل. ونتيجة ذلك جلية للغاية، فجميع البلدان الإسلامية اليوم تعتمد في انظمتها وقوانينها الموضوعة واساليبها في القضاء وفي هيكل النظام الحكومي والقوانين السياسية والاجتماعية على القوانين والأساليب الملحدة للغرب، والتي تتعارض

في ماهيتها مع القوانين المستندة الى الوحي.

ان الاسلام الامريكي هو الذي يتيح للثقافة الغربية ومفاسدها وتحللها ان تنفذ الى عمق المجتمعات الاسلامية ويهلك الحرث والنسل. الاسلام الامريكي هو الذي فسح المجال للحكومات العميلة للأجانب ان تمارس سلطتها على المسلمين وتقف وباسم الاسلام في مواجهة المسلمين الحقيقيين، وتمد في الوقت ذاته يد الصلح والسلام والصداقة الى اسرائيل وامريكا، اعداء الاسلام.

لقد اكد الامام الخميني من خلال بياناته الأخيرة على حقيقة ان الطريق الوحيد لانقاذ البشر من مشكلاته الحالية هو العودة الى عصر الدين والاعتقال الديني، وان السبيل الاوحد لتحرير البلدان الإسلامية من وضعها الحالي المخزي، هو عودتهم الى الاسلام الاصيل والى هويتهم الإسلامية المستقلة.

نظرة على اعتقادات الامام الخميني واهدافه وتطلعاته

بعد ان وصلنا في هذه المقالة الى الأيام الأخيرة من عمر سماحة الامام الخميني، لا يفوتنا ان نلقي نظر عابرة على اهم جوانب فكره واهدافه[٣٧].

بديهي ان من اللازم ـ لتكوين صورة واضحة وكاملة عن مبادئ الامام الخميني الاعتقادية واهدافه ـ مطالعة جميع الآثار الخطية وغير الخطية التي أُثرت على هذا الرجل العظيم ودراسة سيرته العملية بدقة، الأمر الذي لا يتيسر في هذه العجالة.

الامام الخميني شيعي المذهب، يعتقد بشدّة بوحدة الأمة الاسلامية (بغض النظر عن توجهاتهم المذهبية) في مقابل المستعمرين واعداء الاسلام. فالدعوة الى الوحدة تمثل جانباً مهماً من بياناته وخطاباته، وهو لا يجوّز أية حركة تؤدي الى زرع الفرقة في صفوف المسلمين وتمهد الطريق امام المستعمرين والمستغلين لتحقيق هيمنتهم. لقد وضّح سماحته ـ ومن خلال اصدار الفتاوى المتميزة، ومن خلال دعمه لاعلان اسبوع الوحدة بين المسلمين ـ وذلك في ذكرى ولادة النبي الأكرم (ص) واصدار البيانات المتواصلة ـ الطرق العملية لتحقيق الوحدة بين الشيعة والسنّة. وقد اصرّ على مواجهة كل ما يؤدي الى

التفرقة والجدال بين الشيعة والسنة طوال مدة زعامته.

كان سماحته يعتقد بأن الإيمان بالله الواحد، والاعتقاد برسالة خاتم الانبياء (ص) والإيمان بالقرآن المجيد على انه صحيفة الهداية الأبدية والاعتقاد بالضروريات والشعائر والاحكام الدينية كالصلاة والصوم والزكاة والحج والجهاد، تعتبر كلها محاور عملية ثابتة تلتف حولها جميع المذاهب الإسلامية في مقابل المشركين واعداء الدين.

ان النهضة الاصلاحية للامام الخميني وبياناته لم تتحدد بالمجتمع الايراني وسائر المجتمعات الإسلامية. فهو يعتقد بأن الفطرة البشرية لجميع الناس انما خلقت على اساس الدوران حول محور التوحيد والخير والبحث عن الحقيقة والعدالة، ولو ان المعرفة البشرية العامة تنامت وتمت السيطرة على شيطان النفس الأمارة، وتم تضعيف شياطين الخارج، فإن آحاد المجتمع البشري سيتوجهون نحو الله والحياة في محيط مليء بالعدالة والسلام.

على هذا الأساس فإن الامام الخميني دعا وفي اغلب بياناته المستضعفين والشعوب الأسيرة في بلدان العالم الثالث الى القيام بوجه المستكبرين. وقد دعا في الأيام الأولى من انتصار الثورة الإسلامية وبصراحة الى فكرة إقامة حزب عالمي للمستضعفين ودافع عن هذه الفكرة. كما ان أول المؤتمرات العالمية التي ضمت الحركات التحررية اقيم لأول مرة خلال عهد زعامة الامام الخميني في إيران.

لقد أكّد الامام الخميني مراراً على ان الثورة الإسلامية انما تعادي الأهداف التسلطية لقادة وحكومات امريكا والغرب والاتحاد السوفياتي (السابق) لا شعوب تلك البلدان التي وقعت هي بذاتها ضحية للاستعمار الجديد

ان شعار الامام الخميني هو مواجهة الظالم والدفاع عن المظلوم،

يقول سماحته «لا نظلم ولا نرضح لظلم الآخرين»[٣٨].

ولعل من الأفضل ان ننقل هنا أهم المباني الاعتقادية للامام الخميني بالنص من خلال نقل جواب سماحته على سؤال ممثل صحيفة التايمز البريطانية، يقول سماحته: «ان اعتقادي انا وجميع المسلمين انما يدور حول نفس تلك المسائل التي أوردها القرآن الكريم، أو التي أوضحها نبي الاسلام(ص) وأئمة الحق من بعده، وان أساس وأصل جميع تلك العقائد والذي يعتبر أهم وأسمى اعتقاداتنا هو اصل التوحيد، واستناداً لهذا الأصل فإننا نعتقد بأنّ خالق العالم وجميع عوالم الوجود والانسان، هو الله تبارك وتعالى، المطلع على جميع الحقائق والقادر على كل شيء ومالك كل شيء. وهذا الأصل يعلمنا بأن على الانسان أن يسلّم فقط امام ذات الله المقدسة، وأن لا يبدي الطاعة لأي انسان آخر الا إذا كانت طاعته استمراراً لطاعة الله. على هذا الأساس فلا يحق لأي انسان ان يفرض على الآخرين التسليم له. ومن هذا الأصل الاعتقادي، نتعلم اصل حرية البشر، وان لا حق لأي انسان ان يسلب انساناً آخر أو مجتمعاً أو شعباً حقهم بالحرية، أو أن يضع لهم قانوناً يقوم بتنظيم سلوكهم وعلاقاتهم استناداً الى مقدار وعيه ومعرفته الناقصين، أو استناداً الى رغباته وميوله، استناداً لهذا الأصل فإننا نعتقد أيضاً بأنّ وضع القوانين لتطوير الحياة هو من اختصاص الباري جل وعلا، كما ان قوانين الوجود والخلق من اختصاصه هو تعالى، وان سعادة الانسان والمجتمعات وكمالها، يكمن فقط في طاعة القوانين الالهية التي تمَّ ايصالها الى البشر عن طريق الانبياء، وان الانحطاط والسقوط اللذين يعاني منهما البشر انما هما بسبب مصادرة الحريات والاستسلام امام بعض الافراد. عليه فإن على الانسان ان يثور على هذه القيود والسلاسل المقيّدة، وعلى الآخرين

الذين يدعونه للاستسلام للأسر وان يسعى لتحرير نفسه ومجتمعه ليكون الجميع عبيداً لله، ومن هذا المبدأ تنشأ مقرراتنا الاجتماعية ضد القوى المستبدة والاستعمارية. ومن هذا الأصل الاعتقادي (التوحيد) فإننا نستلهم المساواة بين جميع بني البشر امام الله، فهو خالق الجميع، والجميع مخلوقون له وعبيده. الاصل تساوي البشر وما يميز فردا عن فرد كقاعدة ومعيار انما هو التقوى والابتعاد عن الانحراف والخطأ عليه ينبغي الوقوف بوجه كل ما يُراد به تخريب المساواة والاجتماعية وتحكيم الامتيازات المزيفة والفارغة على المجتمع»(٣٩).

يقول الامام الخميني «المعيار في الاسلام، رضا الله لا رضا الاشخاص، ونحن انما نقيس الاشخاص على الحق، لا الحق على الاشخاص. المعيار هو الحق والحقيقة»(٤٠).

ان الامام الخميني يعتقد بأنّ الفطرة الانسانية مخمّرة في عشق الكمال المطلق المنحصر بالحق تعالى، وهو تعالى منشأ جميع الكمالات والقدرات. كان الامام الخميني يذكّر انصاره دوماً بأن «العالم محضر الله، فلا تعصوا الله محضره»(٤١) «ولا تخشوا اي احد الا الله، ولا تعقدوا الآمال على أي أحد سوى الله»(٤٢).

ان الامام الخميني يرى بأن الهدف من بعثة الأنبياء يتمثل في هداية البشر نحو معرفة الله وتحويل طلب الكمال من القوة الى الفعل، وازاحة الظلمات واصلاح المجتمعات وايجاد القسط والعدالة.

يقول سماحته: «ان بعثة الانبياء انما تهدف الى انقاذ اخلاق الناس، نفوسهم، ارواحهم، واجسامهم من الظلمات، وازاحة الظلمات واستبدالها بالنور»(٤٣).

ويقول: «لا نور سوى الحق تعالى، الجميع ظلمات»(٤٤).

الامام الخميني يرى بأن الاسلام خاتم الأديان الإلهية وانه يمثل اسمى وأشمل العقائد الهادية، يقول سماحته مؤكداً: «ان الاسلام على قمة هرم الحضارة» و «ان النظام الحقوقي في الاسلام ارقى وأكمل واشمل الانظمة الحقوقية[٤٥]».«في الاسلام قانون واحد وهو القانون الالهي»[٤٦] انه يرى بأن الاسلام دين العبادة والسياسة، يقول سماحته «كان الاسلام من مؤسسي الحضارة الكبرى في العالم»[٤٧] كان سماحته يوصي اتباعه بالقول: «اياكم والخلط بين القرآن المقدس وعقيدة الاسلام المنجية بالعقائد الخاطئة المنحرفة، التي ابتدعها الفكر البشري»[٤٨] ويقول «إن مشكلة المسلمين الكبرى تكمن في تركهم القرآن الكريم وسعيهم للانضواء تحت مظلة عقائد الآخرين»[٤٩] ويقول: «ان التشيّع وهو العقيدة الثورية، والامتداد للاسلام المحمدي الاصيل كان كما هو الحال مع الشيعة ـ هدفاً لحملات المستبدين والمستعمرين الغادرة»[٥٠].

قد اكد سماحته مراراً حينما تحدث عن هدفه من نهضته وعن الباعث عليها بالقول: «ان اقصى ما نهدف اليه هو الاسلام»[٥١]. فالامام الخميني يرى بأن الثورة الإسلامية شعاع من الثورة الحسينية الخالدة[٥٢] التي انطلقت في عاشوراء لإنقاذ الدين من قبضة المجرمين الظالمين، فهو يعتقد «ان الاسلام لم ينزل من اجل قوم خاصين، وليس لديه فرق بين الترك أو الفرس أو العرب أو العجم، الاسلام للجميع ولا قيمة أو امتياز في نظامه للجنس أو اللون أو القبيلة أو اللغة»[٥٣] «الجميع اخوة متكافئون، فالكرامة فقط وفقط في اطار التقوى، والتمايز انما يتم على أساس الأخلاق الفاضلة والأعمال الصالحة»[٥٤].

الامام الخميني يسمي الشهادة في سبيل الله عزاً أبدياً، وفخر الأولياء ومفتاح السعادة، ورمز النصر، ويرى ان الاندفاع نحو الشهادة

انما ينتج عن عشق الله، ويقول حول قيمة الشهادة وماهيتها «ما اشدّ غفلة عبّاد الدنيا والسائرين الذين يبحثون عن قيمة الشهادة ومعناها في صحائف الطبيعة، وعن وصفها في الأناشيد والملاحم والقصائد ويستجدون لكشفها فن التخيل وكتاب التعقل، والحال أن حلّ هذا اللغز لا يتيسر الا بالعشق»(٥٥).

بهذا المنطق كان سماحته يقول: «اقول لكم يا اخواني المؤمنين: ان نموت على أيدي امريكا والاتحاد السوفيتي المجرمتين ونمحى من صفحة الوجود، ونلقى الله مخضبين بدمائنا مرفوعي الرأس أفضل من ان نعيش برفاه تحت لواء الجيش الاحمر الشرقي، والاسود الغربي»(٥٦).

الامام الخميني فيلسوف الهي، عارف رباني، فقيه اصولي ومرجع تقليدٍ للجماهير، وفي الوقت ذاته، زعيم الثورة الإسلامية ومؤسس الجمهورية الإسلامية في إيران. كان سماحته مطلعاً على أسس الفلسفة الغربية، ومتقناً لأسس ومباحث المنطق والفلسفة الإسلامية، في اتجاهيها المشائي والاشراقي. ولعله يمكن القول بأن الفكر الفلسفي للامام يميل الى حد ما نحو الفلسفة الشهودية والاشراقية وبالاسلوب التلفيقي الذي اتبعه الحكيم المتأله المرحوم ملاّ صدرا(٥٧). طبعاً مع وجود اختلافات ومزايا لدى الامام. درّس الامام الخميني الفلسفة بمستوياتها العالية لمدة خمسة عشر عاماً وقد عدّ سماحته الفلسفة بمنزلة السبيل لمعرفة مرحلة ومرتبة من حقائق الوجود والموجودات، وعلى هذا الأساس فإن نظرته الفلسفية لحقيقة الوجود ووحدته ومراتبه، متأثرة بشدة بالاتجاه العرفاني.

عرفان الامام الخميني يقوم على الآيات القرآنية وأحاديث أئمة الدين وتعاليم أولياء الله في اطار الشرع الاسلامي المطهر. كان

سماحته يعارض بشدة التصوّف السلبي الذي يروّج بأن الدين والعقيدة منحصران في الذكر والاوراد، والذي يدعو الى الاعتزال والتخلي عن اداء المسؤوليات السياسية والاجتماعية. وهو يرى بأن معرفة النفس أساس لمعرفة الله، وان تهذيب نفوس البشر من الرذائل والمفاسد الاخلاقية والسعي في اكتساب الفضائل شرط اساس لنيل معرفة الحق كما ان بلوغ المعرفة الحقيقية والمقامات المعنوية السامية لا يتحقق الا بطي الطريق التي طواها وعلمنا اياها الانبياء العظام وحجج الله في أرضنا هذه.

بناءً عليه فإن الامام الخميني لا يجوّز الأساليب والرياضات الخارجة عن اطار الشرع المنوّر والأوامر الالهيّة، كما أنّه يتنفر من القشرية والتظاهر بالقدسية والمراءآت بالعرافان.

كان الامام الخميني يعتقد بأنّ الاستمداد خلال الجهاد الاكبر المحفوف بالمخاطر، والسير والسلوك، في وادي الأسفار الأربعة ينبغي ان ينظر الى المرشدين الحقيقيين واصحاب الكشف والكرامة الحقيقيين، لا المدعين الكاذبين المحترفين لهذا الأمر، كما انه ينبغي ان يرتبط بالولاية العظيمة التي تمثل سفينة النجاة، فكل ما يبلغه الانسان عن غير هذا الطريق هو ضلال في ضلال، ونفس الامام المهذّبة وروحه المتسامية وتخطيه للمراحل العملية للسير والسلوك المعنوي بموفقية ظاهرة، تعدّ بذاتها افضل شاهد على حقانية نهجه.

لقد بلغ الامام الخميني في هذا المسير مرتبة من المقامات المعنوية والادراك الشهودي، وكان فانياً في الله حتى انه كان يناله ما يناله من الاضطراب في مقابل ادعاء الحلاجين(٥٨). بـ «انا الحق» لا من حيث ما كان يتهمهم به السذج من الغرباء عن العرفان وتكفيرهم اياهم،

ولكن من حيث انهم يرون في الوجود ما هو غير الحق ويدعون «الإنية» وجود الواسطة، في حين ان الامام يرى بأن الحق تعالى وحده هو النور. وان كلّ ما عداه ظلمة والظلمة هي عدم النور، والعدم ليس بوجود. وان الوجود هو تجلي الحق ولا شيء سواه.

كان الامام الخميني وعلاوة على تعمقه في الفلسفة والعرفان والتفسير والاخلاق وعلم الكلام الاسلامي، مجتهداً بارزاً في الفقه والأصول، فقد درس الفقه والاصول على اعلى مستوياتهما اكثر من ثلاثين عاماً. والأن، فإن هناك وفضلاً عن الكتب الفقهية والاصولية التي ألّفها سماحته العشرات من تقريرات طلابه لدورات درسه(٥٩).

من الخصائص التي تميزت بها مدرسة الامام الفقهية، رؤيته أصالةً خاصةً للفقه والاصول وتجنبه خلط الاستنتاجات الكلامية والفلسفية والعرفانية مع الاحكام الفقهية في مرحلة استنباط الاحكام.

كان سماحته يرى بأن تحرك الفقه والاصول وتطورهما ضرورة لازمة في البحث الاجتهادي، وان لعنصري الزمان والمكان دور حيوي هام في الاجتهاد، وان عدم اخذهما بنظ الاعتبار سيؤدي الى العجز عن درك المسائل المستحدثة والحاجات المعاصرة ويحول دون تقديم الاجوبة المناسبة لها. كذلك فإنه كان يعتقد بأنّ تحرك الفقه وتطوره ليس بمعنى عدم الثبات في اسلوب الاستنباط والاجتهاد المتعارف. وبناءً عليه فقد كان سماحته يؤكد في توصياته الى الحوزات العلمية على ضرورة الاستناد الى الفقه التقليدي، بمعنى حفظ اساليب ومناهج السلف الصالح في استنباط الاحكام، وان تخطيها يعتبر آفة وخطر عظيم، يمهد السبيل لظهور البدع(٦٠).

وسماحته يرى إصلاح الحوزات العلمية وتطويرها في هذا الاطار،

وقد كان سماحته من السياسيين في هذا المضمار. فقد مهد سماحته الطريق ومن خلال اصداره للفتاوى الثورية امام تغيير الزاوية التي ينظر منها المجتهدون وتوجيهها نحو سعة المسائل الحياتية والأساسية للمجتمع، وأثبت من خلال احيائه للأبواب المنسيّة في الفقه اهمية عنصري الزمان والمكان في الاجتهاد(٦١).

يقول سماحته «إنّ الحكومة بنظر المجتهد الحقيقي، تعبير عن فلسفة اعمال جميع الفقه في مختلف زوايا الحياة البشرية. والحكومة دليل على الجنبة العملية للفقه في تعامله مع جميع المعضلات الاجتماعية والسياسية والعسكرية والثقافية، فالفقه نظرية واقعية وكاملة لادارة حياة الانسان من المهد الى اللحد»(٦٢).

وعلى اساس هذه النظرة، طرح الامام الخميني نظرته المتمثلة في «اقامة الحكومة الإسلامية على اساس ولاية الفقيه في زمن الغيبة» وجاهد من اجل تحقيقها سنوات طوال. ورغم ان نظرية ولاية الفقيه بغض النظر عن اختلاف الاراء في حدود صلاحيات الولي الفقيه عموماً، تعتبر أمراً اتفقت عليه آراء فقهاء الشيعة، الا ان ابعادها لم تتعرض للبحث ولم تتح لها الفرصة للتحقيق العملي نتيجة عدم توفر الظروف المناسبة في الماضي وعليه فان الامام الخميني يعدّ أول فقيه نجح بعد قرون في تشكيل الحكومة الدينية المبنية على اساس قيادة المجتهد الجامع للشروط، التي من جملتها: التهذيب وصيانة النفس، التدبير والقدرة على ادارة المجتمع، الشجاعة والعدالة والمعرفة العالية والاجتهاد في الاحكام الإلهية يقول سماحته «ان الحكومة الاسلامية هي حكومة القانون الالهي على الناس»(٦٣).

في عقيدة الامام، فإن الحكومة الإسلامية وبغض النظر عن الاختلافات في الاهداف والغايات تختلف عن الانظمة السياسية

المعاصرة من حيث تشكيلاتها واركانها ايضاً. ففي نظرية الحكومة الإسلامية تجد «الاكثرية» مشروعيتها على اساس «الحق» وتبعاً لذلك فإن وجوب اعمال الولاية منوط بتوفر شروطها التي من جملتها القبول العام للجماهير الأمر الذي يتجلى بالانتخاب المباشر المتعارف أو عن طريق قيام الخبراء وهم منتخبو الشعب بالاختيار[٦٤].

وعلى هذا الأساس فإن من الطبيعي ان تكون العلاقة بين القائد والحكومة الإسلامية من جهة والجماهير من جهة، علاقة عميقة واعتقادية، وبذا فإن الحكومة التي اقامها الامام وقادها هي من اشد انواع الحكومات جماهيرية وشعبية. ففي هذه الحكومة ـ وخلافاً لجميع الانظمة السياسية الموجودة في العالم ـ فإن الجماهير وبعد اداء دورها في تعيين القائد من خلال الانتخابات بشكل مباشر أو غير مباشر لا تنتهي مسؤوليتها ولا تترك لحالها، بل ان حضورها في ميدان إدارة المجتمع الاسلامي والمساهمة في النظام الاسلامي يُضمن لها باعتباره تكليفاً شرعياً. فمن وجهة نظر الامام الخميني فإن الحكومة الإسلامية انما تستند على العلاقة والثقة المتبادلة بين الجماهير والقائد الصالح، لذا فهو يقول «اذا مارس الفقيه نوعاً من الاستبداد في أمرٍ ما، فإنه يسقط عن مقام الولاية»[٦٥]. «ان القائد والقيادة ليست بالأمور المهمة القيمة في حدّ ذاتها في الأديان السماوية وفي الاسلام العظيم، حتى تدفع الانسان لا سمح الله الى الغرور والعجب»[٦٦] من هذا المنطلق كان سماحته يقول «ان يقال عني خادم افضل من ان يقال عني قائد، فالمسألة ليست مسألة قيادة، المهم هو الخدمة، فالاسلام أوجب علينا ان نقوم بالخدمة» [٦٧]. «اني اخ لأبناء الشعب الايراني، واني اعتبر نفسي خادماً وجندياً لهم»[٦٨] «شيء واحد يحكم في الاسلام وهو القانون. فحتى في زمن النبي الاكرم(ص)

كان القانون هو الحاكم، والنبي(ص) منفذ للقانون»[٦٩] يقول الامام الخميني مخاطباً الحكومات التي ترى انها هي الحاكمة وانها افضل من الجماهير: «ان الحكومات اقلية ينبغي ان تكون في خدمة هذا الشعب، لأن أولئك لا يفهمون بأن الحكومة ينبغي ان تكون خادمة للشعب، لا حاكماً عليه»[٧٠] «ان وعي الجماهير ومشاركتها في ممارسات حكومتهم المنتخبة ونظارتها عليها وانسجامها معها، يعدّ بحد ذاته ضمانة لحفظ الأمن في المجتمع»[٧١].

والفرق جليّ بين هذه النظرية حول مسألة الحكومة والأمن القومي والاجتماعي مع النظريات التي ترى حتى في اشدّ الأنظمة السياسية ديمقراطيةً بأن الدولة والحكومة لا تُعرف الا من خلال «القدرة» ووسائلها واساليبها، والتي ترى على هذا الأساس بأن أهم ركن للأمن الاجتماعي انما يكمن في هذه القدرة يقول الامام الخميني «ان اية قوة عظيمة معرضة للسقوط اذا حرمت الدعم الشعبي»[٧٢].

وسقوط النظام الشيوعي القوي الظاهر من جهة وثبات نظام الجمهورية الإسلامية في ايران رغم عداء اعتى قوى العالم لها ورغم دخولها في حرب دامت ثمانية اعوام من جهة اخرى، يعدّ بحدّ ذاته دليلاً وشاهداً على صحة نظرية الامام الخميني.

بديهيّ بأنّ نظرية الامام الخميني حول الحكومة الإسلامية ودور وموقع الجماهير فيها، لا ربط له بتاتاً (بالعنصرية) المتعارفة في الثقافة السياسية للعالم. بل انها على الضدّ منها تماماً.

فالعنصرية التي تظهر احياناً كأيديولوجيةٍ تنتهي - وبغض النظر عن عجزها على الصعيد العملي - الى نظام يعادي القيم والمبادئ الانسانية. ذلك لأن نظرية كهذه، اذا توهمت بأنّ عنصر أيّ شعبٍ هو بمنزلة الحقائق التي ينبغي الدفاع عنها، فإن ذلك سيعني عدم وجود

حقائق وقيم ثابتة وان هناك من الحقائق والقيم على عدد الشعوب وعلى عدد الحدود الجغرافية والسياسية، وان مصطلحات كالعدالة والسلام والحرية ايضاً ستتعدد بتعدد الشعوب وتتغير وتتضاد بشكل مستمر. وطبيعي. وفي ظروف كهذه. ان يرى الشعب. الذي يتمتع بقدرٍ من القدرة اعلى. بأن من حقه المشروع التسلط على الشعوب الاضعف. ذلك لأن العنصرية المتطرفة، لا تعتقد سوى بتفوق العنصر أو اللون او اللغة أو الموقع الجغرافي والتاريخ. اما الامام الخميني. واستناداً للشواهد التاريخية. فكان يعتقد بأنّ ترويج (القومية) و(الشعوبية) وتأسيس حركاتٍ داعية للقومية العربية والتركية والفارسية وامثالها في العالم الثالث وفي البلدان الإسلامية، انما نتج عن دراسات المستعمرين ومساعيهم لتجزئة البلدان وبث الفرقة والاختلاف وتحقيق تسلطها عليهم.

يقول سماحته: «إن هدف القوى الكبرى وعملائها في البلدان الإسلامية، يتمثَّل في بث الفرقة بين المسلمين الذين آخى الله بينهم وسمى المؤمنين منهم بالأخوة وفصلهم عن بعضهم باسم الشعب التركي، الشعب الكردي، الشعب العربي، الشعب الفارسي، بل وايجاد العداوة بينهم. وهذا الأمر على الضد من مسير الاسلام والقرآن الكريم تماماً»[٧٣]. لهذا فقد حرص الامام الخميني على القول: «ان نهضتنا اسلامية قبل ان تكون ايرانية»[٧٤].

يرى الامام الخميني بأنّ استقرار السلام الواقعي في العالم مع وجود القوى المتسلطة المتكبرة الكبرى، والقبول بوجودها وسلطتها، أمر خيالي محض، يقول سماحته: «ان الاستقرار والسلام العالمين انما يرتبطان بزوال المستكبرين، فما دام أولئك المتسلطون المتوحشون على هذه الارض، فإن المستضعفين لن ينالوا ارثهم الذي وعدهم الله تعالى

به»[٧٥] «انه يوم مبارك، ذلك اليوم الذي تتحطم فيه سلطة الناهبين الدوليين على شعبنا المظلوم وسائر الشعوب المستضعفة وتتمكن عندها جميع الشعوب من استعادة حقها في تقرير مصيرها»[٧٦] «يمكن أن تهزمنا امريكا، ولكنها لن تتمكن من هزيمة ثورتنا، لذا فإني واثق من انتصارنا، فالحكومة الامريكية لا تدرك معنى الشهادة»[٧٧].

يقول الامام الخميني حول ماهية الكيان الاسرائيلي الغاصب ومنشأه «ان امريكا ـ الارهابية الطبع هي التي اضرمت النار في العالم بأسره وربيبتها الصهيونية العالمية، هي التي ارتكبت في سبيل تحقيق اغراضها جرائم تأنف الاقلام والألسن عن كتابتها وذكرها»[٧٨] «ان اسرائيل غاصبة ومعتدية بنظر الاسلام والمسلمين واستناداً الى جميع الموازين الدولية»[٧٩] «انني اعتبر الاعتراف الرسمي باسرائيل فاجعة بالنسبة للمسلمين، وانفجاراً بالنسبة للدول الإسلامية»[٨٠].

بعد انتصار الثورة الإسلامية، أعلن الامام الخميني آخر جمعة من شهر رمضان المبارك كل عام يوماً عالمياً للقدس، وطالب جميع المسلمين بتنظيم المظاهرات والاعلان عن تضامنهم مع المجاهدين الفلسطينيين في ذلك اليوم من كل عام ما دامت القدس رازحة في قيود أعداء الاسلام.

ان الامام الخميني يعتقد بأن الطريق الوحيد لتحرير القدس والقضاء التام على إسرائيل يتمثل في الإيمان بالله والاعتقاد بعقيدة الشهادة والجهاد المسلح.

يقول الامام الخميني حول الشيوعية: «منذ بدء ظهور الشيوعية، كان مدّعوها هم اشدّ الحكومات استبداداً وتسلطاً في العالم»[٨١] وقال حول التقدم الغربي: «اننا نقبل بالتقدم الذي حققه الغرب، ولكننا نرفض الفساد الغربي الذي يئنّون هم انفسهم من آثاره المخربة»[٨٢]

«ان التربية الغربية تجرد الانسان من انسانيته»[٨٣] «اننا لانعارض التحضر، انما نعارض التحضر المستورد»[٨٤] «اننا نريد حضارة تقوم عى اساس العزّة والانسانية»[٨٥].

اكدّ الامام مراراً على الدور الاساسي للثقافة ، فقال «الثقافة هي الاساس الذي تعتمد عليه سعادة اي شعب أو شقائه... ان ما يبني الشعوب هو الثقافة الصحيحة»[٨٦] «إن حالة الشبع الحيواني ليست هي الملاك، المهم كرامة الانسان»[٨٧] «ما دام البشر يريدون مواصلة حياتهم تحت ظل السلاح، فإنهم لن يتمكنوا من ان يصبحوا اناساً بمعنى الكلمة، ولن يتمكنوا من بلوغ الاهداف الانسانية»[٨٨] «لتبذلوا مساعيكم لاستبدال الاسلحة بالبيان والقلم، واجعلوا الميدان ميدان صراعٍ بالأقلام والعلوم والفكر»[٨٩].

الامام الخميني يرى بأنّ الفن المسخر لخدمة الاستعمار والاستغلال و«الفن من اجل الفن» امرٌ سلبي يفتقد الى أية قيمة، يقول سماحته: «ان الفن في العرفان الاسلامي هو ترسيم واضح للعدالة والعزّة والانصاف. وتجسيم لمرارة الجوع التي يعاني منها المغضوب عليهم من قبل اصحاب القدرة والمال»[٩٠].

كان الامام الخميني استاذاً نموذجياً في مجال التعليم والتربية سواء في المجال النظري ام العملي. فقد تمكن بأساليبه التربوية من النجاح في دفع مجتمعه الى الانسجام في نهضةٍ دينية كبرى رغم انه كان - ونتيجة لجرائم العائلة البهلوية الخائنة وعملاء الفكر الغربي - قد جُرّ نحو ثقافةٍ وقيمٍ منحلة، ورّوضَ على عدم الاكتراث.

نُقل بأنّ البعض من اصدقاء الامام سألوه - اثناء وقوع انتفاضة الخامس من حزيران وما رافقتها من ظروف اجتماعيةٍ مؤسفةٍ وما كان شائعاً من اجواء الكبت - عن الطاقات والآمال التي بنى عليها نهضته

من اجل إقامة حكومة العدل. فأشار حينها الى مهد ينام فيه طفل صغير[٩١] ، والغريب ان الدور الأساسي الذي لُعب في ايام الثورة بعد خمسة عشر عاماً من تاريخ تلك الحادثة، قام به الطلاب والتلاميذ المسلمون الإيرانيون!.

كان الامام يعتقد أنّ مراقبة النفس والسعي الدؤوب في تهذيبها من الأهواء النفسانية والشيطانية في جميع مراحل الحياة يعدّ ضرورة لبلوغ الكمال الحقيقي ويعتقد بأن التربية يجب ان تبدأ منذ الطفولة ـ حتى مراحل الجنينية منها وذلك عن طريق التزام الام بنوع من السلوك ـ لذا فهو يقول: «لا يوجد عمل اشرف من الأمومة»[٩٢] «ان أول مدرسة يدخلها الطفل هي حضن الأم»[٩٣] .

كان الامام يخاطب المسؤولين عن التربية في المجتمع بالقول: «انتبهوا الى ان المرحلة المدرسية اهم من المرحلة الجامعية، ذلك لأن الرشد العقلي للأطفال انما يتشكل في تلك المرحلة»[٩٤] «آن المعلم مؤتمن على شيء يختلف عن كل الأمانات فهو مؤتمن على الانسان»[٩٥] «ان جميع اشكال السعادة والشقاء انما تنبعث من المدارس ومفتاح ذلك بأيدي المعلمين»[٩٦] .

الامام يرى بأنّ التعليم هو مهمة الانبياء، واهم مسؤولية تقع على عاتق المعلم ـ بغض النظر عن تقديمه العلوم المختلفة ـ هي هدايته المجتمع نحو الله.

الامام يسمي الانسان «عصارة جميع موجودات العالم» ويقول «الانسان اعجوبة، فمنه يمكن ان يصنع موجود الهي ملكوتي أو موجود جهنمي شيطاني»[٩٧] ويقول: «يتمّ اصلاح العالم، بتربية الانسان فقط»[٩٨] كما انه يعتبر التربية والتزكية مقدمة على التعليم، ويرى بأنّ المتعلم اذا لم يقرن تعلمه بتزكية النفس فإنه يصبح ـ رغم ـ سمو العلم ـ مثل الآلة في خدمة الاهداف الشيطانية. ويقول: «اذا دخل العلم في

قلب أو عقل فاسد من الناحية الاخلاقية، فإن ضرره اشدّ من الجهل»[٩٩] .

احد اهم منجزات نهضة الامام الخميني في إيران، استعادة المرأة لدورها الفعال في المجال الاجتماعي، ويمكن القول بجرأة بأن المرأة الايرانية لم تبلغ طوال التاريخ الايراني هذا المستوى من الوعي السياسي العام، ولم يكن لها مثل دورها الآن في تقرير مصير البلاد. ففي اشتداد وتنامي القيام الجماهيري على النظام الملكي، كانت المرأة جنباً الى جنب الرجل ـ بل قد تقدمت عليه احياناً ـ وطوال الحرب العراقية المفروضة، قامت النساء المسلمات في إيران، ومن خلال تهيأة الإمكانات لجبهات الحرب، وتشجيع اخوانهن وازواجهن على المشاركة في الدفاع عن الاسلام والثورة، بل حتى المشاركة المباشرة في توفير ما يلزم في الخطوط الأمامية للجبهة بدورٍ منقطع النظير في الحروب المعاصرة.

والآن ايضاً، فإن النساء في المجتمع الايراني، لهن الدور البارز في النشاطات الاجتماعية وامور التربية والتعليم، والجامعات، والمجالات الصحية وفي الادارات الحكومية وسائر المجالات.

في حين ان النساء كن قبل انتصار الثورة الإسلامية ـ ونتيجة للمحيط الفاسد الموبوء الذي أوجده النظام الملكي البائد ـ مضطرات لالتزام المنزل، وكانت الكثير من الفتيات ـ خصوصاً في المدن والقرى ـ محرومات من نعمة التعليم أما أولئك اللاتي كانت الفرص متاحة لهن في المدن الكبيرة لممارسة دورهن في النشاطات الاجتماعية، فقد انشغلن في مواجهة هجوم الثقافة المنحلة وفي ظروف غاية في التعقيد للدفاع عن شرفهن وعفتهن، في حين اضطرت الأخريات الى ترك العمل والدراسة من اجل ذلك.

ان التحول الذي حصل في المجتمع النسوي الايراني مرهون وقبل كل شيء بنظرة الامام الخميني الخاصة الى شخصية ومنزلة المرأة ودفاعه عن حقوقها. يقول سماحته «ان للمرأة في النظام الاسلامي نفس الحقوق التي للرجل، حق الدراسة، حق العمل، حق التملك، حق التصويت، حق الترشيح»[١٠٠] «ليس هناك من تفاوت بين الرجل والمرأة من ناحية الحقوق البشرية، ذلك لأن كلاهما انسان، وللمرأة الحق في تقرير مصيرها كالرجل تماما»[١٠١] ويقول سماحته: «ان ما يعارضه الاسلام ويعدّه حراماً هو الفساد، سواء كان من طرف المرأة أم الرجل»[١٠٢] «اننا نريد للمرأة ان تتسنم موقعها الانساني السامي، لا ان تكون ملعبة... الاسلام لا يريد للمرأة ان تكون شيئاً أو دمية بيد الرجال، الاسلام يريد حفظ شخصية المرأة ويهدف أن يخلق منها انساناً جدّياً»[١٠٣] «ان المرأة كالرجل حرة في اختيار مصيرها ونوع نشاطها»[١٠٤] «ان الحرية بالاسلوب الغربي الذي يؤدي الى ضياع الشبان والفتية والفتيات مردود بنظر الاسلام والعقل»[١٠٥] .

أمّا على الصعيد الاقتصادي فقد كانت توصيات الامام ومواقفه تستند عموماً الى اجراء العدالة واعطاء الاولوية لاعطاء حقوق المحرومين والمستضعفين في المجتمع[١٠٦] . فسماحته يسمي خدمة المحرومين «اعظم العبادات» ويعتبر المحرومين أولياء نعمته ونعمة المجتمع. اكثر ما اوصى به الامام مسؤولي النظام الاسلامي، هو توصيته بالاهتمام بأمر الفقراء وتجنب اخلاق المترفين. سماحته يعتقد بأنّ الحكومة والمسؤولين والمدراء خدام للشعب، ولا حق للخادم ان يطالب بامكانات تفوق مخدوميه. يقول سماحته: «شعرة من رأس أحد سكان الاكواخ والأقبية ومقدمي الشهداء، اشرف واعزّ من جميع القصور وسكانها»[١٠٧] «ان من هم معنا الى آخر الشوط هم اولئك

الذين تذوقوا طعم الفقر والمحرومية والاستضعاف»[١٠٨] «في اليوم الذي تتوجه فيه حكومتنا للاهتمام بالقصور الفخمة، علنيا ان نقرأ الفاتحة على الحكومة والشعب معاً»[١٠٩] .

من الصفات البارزة لدى الامام الخميني، هي ان حديثه ينبع دوماً من اعتقاده الراسخ بما يقول وصدق ما يقول، وتطبيقه لما يقول. فقد كانت حياة الامام نموذجاً في الزهد والقناعة والبساطة. وهذا الأمر لا يصدق على عهد مرجعيته وقيادته فقط وانما يمتد الى عهد حكومته، فهو يرى بأن على القائد ان يعيش حياة بسيطة كحياة ابسط طبقات المجتمع، بل حتى أوطأ من ذلك. وقد اصرَّ طوال عمره المبارك على الحياة الزاهدة، ومع ان هناك الكثير مما كُتب حول هذا الجانب من حياة الامام[١١٠] ومما يحتاج جمعه الى كتابٍ ضخم، غير ان ابعاد اعتماد حياته على الزهد والبساطة لم يزل حتى الآن امراً غير معروف تماماً.

ولتوضيح بساطة حياة الامام الخميني واعتقاده بضرورة الاحتياط الكامل في إنفاق بيت المال، يكفي ان نذكر ان المادة ١٤٢ من الدستور - والتي اقترحت من قبل الامام تنص على ان (ديوان القضاء العالي) مسؤول عن حصر وتشخيص ممتلكات القائد والمسؤولين الحكوميين الرفيعي المستوى قبل وبعد تصديهم للمسؤولية، لضبط اية زيادة تطرأ عليها دون حق. وقد بادر الامام الخميني بتسجيل كافة ممتلكاته البسيطة في كشف رسمي بتاريخ ١٤/١/١٩٨١ وسلمها (لديوان القضاء العالي) ثم وبعد وفاته مباشرة، طالب نجله - ومن خلال رسالة نشرتها الصحف المحلية[١١١] السلطة القضائية، باعادة حصر وتشخيص ممتلكات الامام مجدداً وطبقاً للدستور.

وفي ٢/٧/١٩٨٩ اعلنت نتيجة الحصر في بيان اصدره رئيس

ديوان القضاء العالي[١١٢] صرح فيه: بأن ممتلكات الإمام الخميني البسيطة لم تبق على حالها وحسب، بل انها نقصت عما كانت عليه، فقطعة الارض التي كان قد ورثها عن ابيه في خمين، اعطاها في حياته الى الفقراء في منطقته، فخرجت من ملكيته[١١٣] وامواله غير المنقولة تتمثل في المنزل القديم الذي يمتلكه في قم، والذي كان ومنذ عام (١٩٦٤) - عام بدء النهضة - في خدمة اهداف النهضة، ومركزاً لتجمع الطلبة والمراجعين من الجماهير ولا يزال حتى الآن مفتقداً لصفة كونه مسكناً.

ذُكر في الكشف المذكور - والذي تم تنظيمه في عام ١٩٨١، تمَّ على اساس اعادة البحث القانوني لحصر ممتلكات الامام بعد وفاته، واعلنت نتيجته رسمياً - وقلنا انه لم يخلف الا باتجاه النقصان - بأن ممتلكات الامام تشمل الآتي: عدد من الكتب، بعض الوسائل الاولية والمستعملة والتي كانت في منزله وهي تخصُّ زوجته، قطعتين من السجاد المستعمل (وقد أوصى باعطائها للفقراء بعد وفاته) كا أشير الى عدم وجود اثاث شخصي، وعدم وجود اموال شخصية وإن وجد مال، فهو من الحقوق الشرعية التي يقدمها المسلمون الى الامام لانفاقها في مواردها الشرعية المعينة، ولا حق للورثة فيها.

عليه فإن ما ورثه هذا الرجل - الذي عمّر ما يناهز التسعين عاماً، وعاش يتمتع بأقصى درجات المحبوبية من قبل الناس - تشمل ما يلي: نظارات، قراظة اظافر، مشط، مسبحة، مصحف وسجادة صلاة وعمامة وثيابه الخاصة ومجموعة كتب في مختلف العلوم الدينية.

ذلك كشف بممتلكات رجل لم يكن قائداً لبلدٍ نفطي غني يبلغ تعداد سكانه عشرات الملايين فحسب، بل انه كان حاكماً على قلوب

الملايين من الناس، ممن وقفوا في صفوف طويلة ليتطوعوا للشهادة حينما اصدر اوامره بتشكيل قوات التعبئة للدفاع عن الاسلام، ممن كتبوا الرسائل او تجمعوا امام المستشفى التي رقد فيها الامام يعلنون عن استعدادهم للتبرع بقلوبهم لسماحته[١١٤] .

ان السرَّ في كل هذه المحبوبية يجب ان يُبحث عنه في ذلك الإيمان الحقيقي والزهد، والصدق.

كان الامام الخميني يعتقد بشدّة بأهمية البرمجة لجوانب حياته وبالنظم والانضباط. فهو يتوجه للعبادة وذكر الحق وقراءة القرآن والدعاء والمطالعة في ساعات محددة من الليل والنهار. ممارسة المشي والانشغال بالذكر والتفكر كان جزءاً من برنامجه اليومي. جدوله حافل يفوق العديد من القادة السياسيين. رغم اقترابه من التسعين من العمر . لم يفرط من خلاله بالنشاط في الخدمة في سبيل الله تعالى، وخدمة المجتمع الاسلامي، وحل مشكلاته، حتى في اشدّ الحوادث تعقيداً. وعلاوة على ممارسته المطالعة يومياً، فقد كان يطّلع كذلك على اهم الاخبار والتقارير والصحف والمجلات الرسمية للبلاد وعشرات المقاطع الخبرية، ويستمع الى اخبار الاذاعة والتلفزيون الايرانية، والى التحليلات والتقارير والاخبار التي تذيعها الاذاعات الاجنبية باللغة الفارسية ليلاً، وعلى مختلف ساعات الليل، ليكوّن صورة عن الاعلام المعادي للثورة، ويفكر في طرق مواجهته.

كذلك فإن ازدحام جدوله اليومي وعقد الجلسات مع مسؤولي النظام الاسلامي لم يحل ابداً دون ارتباطه بالجماهير العاديين، على انه اهم رصيد للثورة الإسلامية.

وقد تمّ جمع ما يزيد على (٣٧٠٠) لقاء له مع الجماهير في كتاب سميّ «محضر النور»[١١٥] «وذلك فقط في السنوات التي تلت انتصار

الثورة الإسلامية، الأمر الذي يوضح عمق علاقة الامام بجماهيره.

تجنب سماحته اتخاذ أيّ قرار يرتبط بمصير مجتمعه الا بطرحه على الجماهير بصدق. فقد كان يرى بأن الجماهير تمثل اهم شريحة محترمة لمعرفة الحقائق.

تقاطيعه حازمة، ووجهه عطوف، نظرته مشحونة بالجاذبية فياضة بالمعنوية حينما تجلس الجماهير في محضره تغرق دون اختيارها في جاذبية معنويته، فتنطلق الدموع من عيون الكثير من الحاضرين دون وعي. ان للجماهير الايرانية الحق في الدعاء الذي تعارفت عليه بعد انتصار الثورة من التضرع لله بتحويل اعمارها الى دقائق مضافة على عمر الامام[١١٦] فإذا كان العالم لا يعتقد بالمعنوية، فانهم - وهم الذين نشأوا مع الامام - يعرفون عملياً قدر اللحظات في عمر هذا العزيز، فقد أوقف حياته لله ولخدمة خلق الله.

ورغم ان عالم الاستكبار ووسائل الاعلام الغربية قد ارتكبت ظلماً كبيراً بحق الامام الخميني - وقبله بحق البشرية جمعاء - فمارست حملة مكثفة من الاعلام المضلل للنيل من شخصية الامام وثورته الإسلامية، ورغم انها ما زالت تواصل ذلك اليوم وبعد أن مرت عدة اعوام على رحلته. فما زالت عشرات المحطات الاذاعية والتلفزيونية تبث برامجها المعادية للثورة ولأهداف الامام باللغة الفارسية ليل نهار، ورغم ان امكانات هائلة قد وضعت في امريكا واوروبا تحت تصرف المجموعات المعادية للثورة بدءً من الملكيين وانتهاءً باليساريين ومجاهدي خلق (المنافقين) ورغم انها سمحت - ولا تزال - سنوياً بنشر عشرات الكتب ومئات المقالات والمنشورات لقلب الحقائق المتعلقة بنهضة الامام الخميني، الا ان من المحتم ان شمس الحقيقة ستبدد سُحب الخداع والتضليل.

لقد نجح العالم الغربي ـ والذي اقام وجوده ومنذ عدة قرون والى الآن على السعي في احكام سلطته على سائر الشعوب واستغلالها على خداع الرأي العام العالمي ـ في تحديد الخطر الحقيقي الذي يهدده. وإلا فأي حرٍّ تعرف على حياة الامام الخميني وبياناته ثم لم يسلم قلبه طواعية للسير على نهجه ولم ينتفض بوجه هذا النظام الظالم الحاكم على هذا العالم؟

حقاً لماذا يمنع نشر ومطالعة وصية الامام الخميني والكثير من آثاره وبياناته وخطاباته الاخرى في اغلب الدول العربية والإسلامية التي تعيش تحت سلطة الحكومات العميلة؟ ولماذا يعدّ هذا العمل جرماً يطاله القانون؟ ولماذا كل هذا الدأب والتنسيق على مستوى قادة العديد من الحكومات من اجل السيطرة على تسرب مفاهيم وافكار الامام الخميني؟ أليس لأن سماحته كان يدافع عن الحقائق والقيم التي عاشت البشرية قروناً من المعاناة نتيجة فقدانها؟

المهم ان جميع من تعرفوا على حياة الامام الكريمة الطيبة، وجميع من بلغهم نداءه وجميع من عرفوا شخصيته واثقون من ان المشعل الذي حمله سماحته لن يخبو رغم كل هذا الصخب المعادي ورغم كل هذا السيل المخرب المحرف للحقائق **﴿والله متم نوره ولو كره الكافرون﴾**[١١٧].

رحيل الامام الخميني:
وصال المحبوب، وفراق الاحبة

لقد بلّغ الامام الخميني ـ ومارس عملياً ـ بجميع الأهداف والغايات وكل ما ينبغي عليه قوله أو فعله، بل انه على الصعيد العملي سخّر كل وجوده من اجل تحقيق جميع ذلك. والآن ـ وعلى اعتاب منتصف خرداد عام ١٣٦٨ (اوائل حزيران ١٩٨٩م) ـ هيأ الامام نفسه للقاء عزيز افنى جميع عمره من اجل كسب رضاه. ولم يحن قامته لغيره ولم يبكِ سوى له، وانشد كل اناشيده العرفانية في الم فراقه وبيان عطشه للحظة وصاله. والآن فقد أزف الوقت وحانت ساعة اللقاء الرائع بالنسبة له، العصيب بالنسبة لانصاره ومحبيه فهو قد كتب في وصيته يقول: «والآن فإني أستأذنكم أيّها الأخوات والأخوة لأسافر نحو مقري الأبدي بقلب هادئ. وفؤاد مطمئن وروح فرحة وضمير آمل بفضل الله، وأسألكم بإلحاح الدعاء بالخير، كما أسأل الله الرحمن الرحيم ان يقبل عذري عن قصوري وتقصيري، وآمل من الشعب ان يقبل عذري لما قصرت أو كنت قاصراً فيه، وان ينطلق الى الأمام بقدرة وإرادة وتصميم».

وحينما تقف الجماهير المحبة للامام بجنب ضريحه، فإنها تتمتم للردّ على هذه العبارات المتواضعة التي قالها سماحته فتقول: «ايّها الامام! عن اي قصور أو تقصير تتحدث؟ فعلى حدّ علمنا وعلم آبائنا

وطبقاً لما رأيناه وسمعنا فأنت كنت صلاحاً ونوراً وطهراً خالصاً «أشهد انك قد اقمت الصلاة وآتيت الزكاة وأمرت بالمعروف ونهيت عن المنكر وجاهدت في الله حق جهاده»(١١٨) .

الغريب ان الامام الخميني قال في احدى قصائده التي نظمها قبل عدّة سنوات من وفاته:

تمر السنون وتتوالى الحوادث

وانا انتظر الفرج في منتصف خرداد(١١٩) .

وكانت الأبيات التي سبقت هذا البيت من الشعر تتحدث عن الم الهجران والأمل بتحقق لحظة الوصال.

وها هي لحظة وصال المحبوب قد حانت في النصف من خرداد.

منذ عدّة ايام سابقة لوفاته كانت الجماهير على علم بمرض الامام وما اجري له من عملية جراحية، وحقاً فإن الوضع الروحي للجماهير في تلك الأيام مما يعجز الانسان عن وصفه، فمراسم الدعاء والتوسل تجري في كل حدب وصوب، في المنازل في الحسينيات في التكايا والمساجد وفي مختلف انحاء البلاد، بل في كل مكان من العالم وجد فيه محب للامام. ولعلك في تلك الايام لا تكاد ترى احداً وقد تمكن من اخفاء آثار الحزن والغم عن محيّاه. العيون باكية، والقلوب هافية لجماران الساعات تمرّ ببطء شديد، وإيران كلها تلهج بالدعاء. الفريق الطبي المشرف على علاج الامام استنفذ ما في وسعه، غير ان امر الله يدفع المقادير باتجاه آخر **﴿يا أيتها النفس المطمئنة* ارجعي الى ربك راضية مرضية﴾**(١٢٠).

في تمام الساعة الحادية عشرة وعشرين دقيقة قبيل منتصف الليل من الثالث عشر من خرداد ١٣٦٨ (حزيران ١٩٨٩م) حانت لحظة الوصال. وتوقف القلب الذي اضاء الملايين من القلوب بنور الله والمعنوية.

في الأيام التي لازم فيها سماحته فراش المستشفى. وضع محبو الامام جهاز تصوير مخفي تم من خلاله تصوير الامام في تلك الايام،

اثناء العملية الجراحية، واثناء الساعات التي كان يلتقي فيها بالحق[١٢١] «وحينما بثّ التلفزيون الايراني في تلك الايام جانباً من حالات الامام المعنوية والاطمئنان الذي كانت عليه، كادت القلوب ان تتفجر من الشوق والى الحدّ الذي لا يمكن وصفه الا من خلال الرؤية والمباشرة.

الشفاء في ذكر دائم، وفي آخر ليلة من عمره وبينما كانت عدّة حقن من المواد المغذية موصولة بذراعيه قام ليلتها يؤدي نافلة الليل ويتلو القرآن. بدت على محياه في الساعات الاخيرة طمأنينة وهدوء ملكوتيين، وكان يردد الشهادة بوحدانية الله ويقرّ بالاعتقاد برسالة النبي الاكرم (ص) حتى حلّقت روحه العظيمة نحو الملكوت الأعلى، فكانت الرحلة التي خلّفت في القلوب ناراً لم تنطفئ.

وحينما أُذيع خبر ارتحال الامام، حدث ما يشبه وقوع زلزال عظيم وقع فتفجرت الأحزان وانفجرت الدموع في وقت واحد من جميع العيون في إيران وفي كل مكان وجد فيه من عرف الامام وانتهل من فيض هدايته.

وراح المحبون يلطمون الرؤوس والوجوه... وتعجز الاقلام، بل يعجز أيّ بيان على تصوير ابعاد ما حصل وما تدفق من امواج من الاحساسات المتلاطمة.

وللشعب الايراني وللمسلمين الثوريين الحق في الضجيج بتلك الصورة التي لم يسجل التاريخ نموذجاً يضاهيها بالشدّة والعظمة فهم قد فقدوا عزيزاً أعاد لهم عزتهم المهدورة، وكفّ ايدي الملوك الظالمين والناهبين الامريكان والغربيين عن اراضيهم، وأحيا الاسلام وحقق للمسلمين المجد والعزّة، واقام الجمهورية الإسلامية، ووقف بوجه جميع القوى الشيطانية في الدنيا بثبات ليواجه مئات المؤامرات الهادفة لاسقاط النظام، والطروحات الهادفة لقلب نظام الحكم أو إثار الفتن في الداخل والخارج وعلى مدى عشرة اعوام، وقاد الدفاع المقدس لثمانية اعوام في جبهة واجه فيها عدواً كان يتمتع وبوضوح

بدعم القوى الشرقية والغربية الكبرى.

لقد فقدت الجماهير قائدها المحبوب ومرجعها الديني والمنادي بالاسلام الاصيل... لعل أولئك العاجزون عن درك واستيعاب هذه المفاهيم، يقفون حيارى حينما يشاهدون حالة الجماهير التي عرضتها الافلام التلفزيونية اثناء مراسم توديع وتشييع ودفن الجثمان الطاهر للامام الخميني، ولعلهم يدهشون حينما يسمعون بوفاة العشرات الذين لم يتمكنوا من تحمل ثقل الصدمة فتوقفت قلوبهم عن العمل، أو بسقوط العشرات الآخرين مغشياً عليهم نتيجة شدّة الحزن وانتقالهم من يدٍ الى يد فوق امواجٍ هائلة من البشر لينقلوا الى المستشفيات... الى غير ذلك...

لكن أولئك الذين يعرفون معنى العشق والذين امتحنت قلوبهم لذته، يرون كل ذلك أمراً طبيعياً، والحق أن الجماهير الايرانية كانت عاشقة للامام الخميني، وما أجمل الشعار الذي رُفع في الذكرى السنوية لوفاته «عشق الخميني عشقٌ لكلّ ما هو جميل».

في الرابع من حزيران ١٩٨٩م، عقد مجلس خبراء القيادة جلسته الرسمية، وبعد ان قُرئت وصية الامام الخميني من قبل آية الله الخامنئي ـ الأمر الذي استمر ساعتين ونصف الساعة ـ ابتدأ البحث والتشاور حول تعيين من يحلُ محل الامام الخميني ليكون قائداً للثورة الإسلامية، وبعد عدّة ساعات تمّ وبالاجماع ترشيح آية الله السيد علي الخامنئي (رئيس الجمهورية آنذاك) لتسلم هذا الموقع الخطير، وآية الله الخامنئي احد طلاب الامام الخميني (سلام الله عليه) ومن الوجوه البارزة في الثورة الإسلامية، ومن انصار انتفاضة الخامس من حزيران، وقف حاملاً روحه على كفيه طوال فترة نهضة الامام وفي جميع الحوادث مع سائر انصار الثورة.

لقد سعى الغربيون وعملاؤهم في داخل البلاد لسنوات طوال من اجل الحاق الهزيمة بالامام، ولما يئسوا من ذلك وعدوا ذيولهم بعهد ما بعد وفاة الامام. لكن وعي الشعب الايراني، وسرعة مجلس خبراء

القيادة في الاختيار المناسب للتشخيص للقيادة، ودعم انصار الامام لذلك، بدد آمال أعداء الثورة، ولم يخب أملهم في أن تكون وفاة الامام نهاية طريقه فحسب، بل ان عصر الامام الخميني - في الحقيقة - ابتدأ على نطاقٍ أوسع من السابق بعد وفاته. فالفكر والصلاح والمعنوية والحقيقة لا تموت ابداً.

في يوم وليلة الخامس من حزيران ١٩٨٩م تجمع الملايين من ابناء طهران والمعزون من ابناء المدن والقرى في مصلى طهران الكبير ليلقوا النظرة الاخيرة على الجثمان الطاهر لرجل اعاد لقامة القيم والكرامة المهطعة في عصر الظلم الاسود استقامتها بقيامه وثورته، وفجر في الدنيا نهضة من التوجه لله والعودة نحو الفطرة الانسانية.

لم يكن هناك من أثر للمراسم الرسمية الخالية من التوجه فكل شيء كان جماهيرياً تعبوياً وعشقياً. وكان جثمان الامام الموشح باللون الأخضر موضوعاً على دكة عالية يتحلق حولها الملايين من اصحاب العزاء ويضيء كدرّة نفيسة. وكان كل واحدٍ من ذلك الجمع الغفير يتمتم بحزن مع إمامه الفقيد ويذرف الدموع. امتلأ المكان وحتى الطرق السريعة المؤدية الى المصلى بالجماهير الموشحة بالسواد ورفعت اعلام العزاء على الابواب والجدران وانطلق صوت القرآن من جميع المساجد والمراكز والادارات والمنازل وما إن هبط الليل حتى أوقدت آلاف الشموع تذكيراً بالمشعل الذي أوقده الامام، واضاءت منطقة المصلى وما حولها. تحلقت العوائل المفجوعة حول شموعها وقد تعلقت انظارها بذلك المرتفع النوراني الذي رقد فيه امامهم المحبوب.

وكانت صرخات «يا حسين» التي تنطلق من التعبويين الذين شعروا باليتم قد احالت المكان الى عاشوراء جديدة. فقد قصمت الظهور، هل حقيقة ان هذا الصوت الرباني لن ينطلق مجدداً من حسينية جمران؟...

بقيت الجموع المفجوعة تندب فقيدها حتى الصباح.

وفي أول ساعات يوم السادس من حزيران، أدّت الملايين صلاة

الميت على جثمانه الطاهر بأمانة آية الله العظمى الكلبايكاني.

إن من المواقف التي أثبتها التاريخ يوم ١٢ بهمن ١٣٥٧ (١١ شباط ١٩٧٩) ويوم تشييع الامام اذ تكرر في اليومين اجتماع الملايين وانطلاق مختلف المشاعر الحماسية والمعنوية. لقد قدر مراسلو وكالات الانباء عدد المستقبلين للامام في عام ١٩٧٩ بستة ملايين شخص كما صرحوا بأن عدد المشيعين قد تجاوز التسعة ملايين شخص، والحال ان الدول الغربية والشرقية تحالفت خلال الأحد عشر عاماً التي امضاها الامام الخميني في الحكم ومارست مختلف انواع المؤامرات وحمّلت ايران حرباً ضروساً دامت ثمانية اعوام، الى المئات من المخططات الخبيثة التي كان يهدف من خلالها صد جماهير الشعب عن الالتفاف حول قائدها ،غير ان ذلك لم يتحقق رغم مئات المشاكل التي تحملها ابناء الشعب، ورغم ما قدموه من الشهداء وذلك نتيجة للتربية العقائدية التي مارسها الامام الخميني، فالشعب المجيد كان يعتقد برسوخ بمقولة الامام الخميني «ان القدرة على تحمل المصائب والمصاعب والمحرومية والتضحية بالأنفس انما تتناسب مع حجم الهدف وعلو مرتبته».

بدأت مراسم التشييع، فانطلقت الجموع الغفيرة من المصلى الى مرقد الامام - بجوار مقبرة جنة الزهراء (مزار الشهداء) وضجّت الجموع اطفالاً ونساءً ورجالاً وكأن أرواحهم تُخلع من ابدانهم. مرت ساعات دون ان يتمكن الجمع من التقدم نتيجة اضطراب الاحاسيس، وبالنتيجة تم حمل الجثمان الطاهر بطائرةٍ سمتية ليُنقل الى المثوى الاخير.

ورغم انه قد تمّ وضع عوائق عالية للحيلولة دون ازدحام المعزّين في محل الدفن، الا أنه ما ان حطت الطائرة على الأرض، حتى اضطرب كل شيء، فقد تأججت نار الفراق في القلوب وادى الاحساس بالفراق الطويل الى تصاعد الحزن والغضب والى الدرجة التي جعلت كل جهود المأمورين - لاتمام عملية الدفن - تذهب سُدى. كانت الوقائع تنقل بشكل

مباشر الى التلفزيون (والافلام الخاصة بذلك اليوم موجودة الآن أيضاً).

ثم وبصعوبة بالغة تم استرداد الجثمان من ايدي الجماهير، واعيد الى الطائرة وحمل من جديد نحو حسينية جماران.

إن أولئك القابعين في مغرب الأرض، أو في ظل الفكر الغربي، ممن يرون أن الحياة عبارة عن نافذة تطل على المال والهوس وممن لا يتمكنون ونتيجة حياتهم الصاخبة المكتظة بالأصوات المدمرة للماكنة والآلة، الغافلون عن الاصالات والعشق الحقيقي والقيم، لا يمكنهم ان يدركوا ابعاد ما يشاهدونه من الصور التي نقلتها الافلام عن يوم دفن جثمان الامام.

ولو ان جهود المحرفين واصوات الاعلام المسموم لأعداء الحقيقة اتاحت الفرصة لهم ليقرأوا وصية الامام أو احد بياناته دون حكم مسبق. وبانصاف وعلى اساسٍ من الوجدان والفطرة، فان احكامهم ستتغير لا شك.

بعد تعذر اتمام مراسم الدفن نتيجة شدة احاسيس المعزين، اعلنت الاذاعة وعبر بيانٍ رسمي عن تأجيل المراسم الى اشعار آخر. غير ان المسؤولين كانوا علىً يقين بأنّ مرور الوقت يضاعف من اعداد الوافدين من عشاق الامام من المدن والقرى البعيدة لذا فقد اضطروا الى اتمام الدفن في عصر ذلك اليوم متحملين شدّة الضغط والصعوبات البالغة. وقد نقلت بعض وكالات الانباء جانباً من تلك المراسم.

ان عشرات المجلدات التي ضمت القصائد الشعرية التي نظمها الإيرانيون وغير الايرانيين والتي تم جمعها ونشرها في الأيام التالية. تعدّ بحدّ ذاتها تعبيراً عن طبيعة الأحاسيس الجماهيرية التي تفجرت في تلك الأيام. وكان من بينها ما عُدّ من امهات القصائد ومن أروع الملاحم الشعرية في الأدب الفارسي.

بعد ذلك اقيمت مراسم الثالث والسابع والأربعين في العام الأول - وحتى تاريخ كتابة هذه المقالة، اذ مرت الذكرى الخامسة - بنفس

العظمة في الرابع من حزيران من كل عام.

وتم وبهمّة عشّاق الامام بسرعة خارقة تشييد مبنى حول ضريحه المقدس كتعبير عن نوعٍ من التقدير من قبل الأمة الإسلامية لهذا القائد المعنوي العظيم، وكتعبير عن ابدية ذكراه، وصار مزاره الشريف يضم كل يوم خصوصاً في المناسبات الدينية زائريه وعشاقه الوافدين من انحاء إيران ومن سائر البلدان. وصار العلم الاحمر الذي يرفرف على قمة قبة ضريحه يُذكر بالعلم الاحمر المنصوب على قبة الحسين بن علي(ع) وعن ان النهضة العاشورية للامام الخميني ايضاً ـ وكما هو الحال مع الثورة الحسينية في كربلاء ـ ستحرك دماء العزّة والانسانية والاستقامة على دين الله في عروق المعتقدين بالاسلام الغيارى ما دام التاريخ موجوداً.

وهكذا فإن رحيل الامام اصبح هو الآخر وكما كانت حياته منشأ لليقظة والصحوة والنهضة وخلد نهجه وذكراه، ذلك لأنه كان حقيقة، والحقيقة خالدة ما خلد الدهر.

لقد كان مظهراً من مظاهر «الكوثر» كوثر الولاية الجاري في الأرض والزمان وستظل حكاية هذا العبد الصالح باقية مدى الدهر.

والسلام عليه يوم ولد ويوم مات ويوم يبعث حياً.

آثار ومؤلفات الامام الخميني

ترك سماحة الامام الخميني عشرات الكتب والآثار القيّمة في المباحث الاخلاقية، العرفانية، الفقهية، الأصولية، الفلسفية، السياسية، والاجتماعية وقد تمّ نشر اكثرها الى الآن. غير ان عدداً من رسائله ومؤلفاته النفيسة فقدت اثناء الانتقال من منزل مستأجر الى آخر، وأثناء العديد من حملات ازلام السافاك على منزله ومكتبته الشخصية.

كان للإمام خط جميل، وكان يتبع في الكتابة قواعد التأليف القديمة، والنظم في الكتابة ويتجنب الاطالة.

كذلك فإن اسلوبه النثري واستخدام المحسنات البديعة والابداع في التركيب وبالاسلوب المحبب مما كان يستخدمه سماحته في بياناته السياسية والدينية، احدثت تحولاً في الأدبيات الدينية والسياسية في ايران، والآن فإن المفردات والتركيبات الخاصة بالامام اصبحت جارية الاستعمال في المتون الأدبية الفارسية بل حتى في عرف المحاورات العامة.

بعض مؤلفات الامام وتناسباً مع موضوعها التخصصي (الفقه، الاصول والعرفان) كتبت اساساً باللغة العربية، كما ان بعضها ايضاً كُتب باللغة الفارسية.

وعلاوة على مؤلفاته الخاصة، فإن لديه عدداً من الرسائل العلمية لبعض المفكرين يمتلك منها نسخاً فريدةً، قام سماحته باعادة كتابتها بخط جميل ولم تطبع حتى الآن.

بعض مؤلفات الامام الخميني كتبها باسلوب وبطريقة تخصصية بحتة بحيث يتعذر فهم متونها ومطالبها دون الاستعانة بشرح أو تفسير أساتذة ذلك العلم. وبعضها ايضاً كتب باسلوب بسيط.

ان الكتب التي نشرت من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(س) مؤخراً، تتميز بأمورٍ ايجابية كثيرة من حيث ما قدّم لها من مقدمات، وما اضيف اليها من هوامش توضيحية وفهارس، ومن حيث دقتها وصحة متونها، وما ارفق من صور عن اصل نسخها الخطية، ولا يفوتنا ان نشير الى أن بعض اثار الامام تمّ نشرها من قبل المؤسسة المذكورة، وان البقية تنتظر دورها في الصدور بعد ان يتم تهميشها وكتابة التوضيحات عليها وتنظيم الفهارس لها.

نورد هنا جرداً بأسماء آثار ومؤلفات الامام الخميني حسب تاريخ كتابتها، وطبيعي ان التعريف بأي واحدٍ من هذه الآثار يحتاج الى تحقيق مفصل ومستقل، وقد تمّ انجاز الكثير من ذلك عبر مقالات وكتب مختلفة نُحيل القارئ الراغب في المزيد اليها[١٢٢] .

١ ـ شرح دعاء السَحَرْ:

كتاب يضم مسائل عرفانية، فلسفية وكلامية عميقة، استند فيه الامام على الآيات القرآنية وروايات اهل بيت العصمة(ع) في شرح دعاء المباهلة المعروف بدعاء السحر ١٣٤٧هـ (١٩٢٨م) كتبه باللغة العربية وقد ترجمه سماحة السيد احمد الفهري وطبع عدة مرات. اخر طبعة صدرت منه عن انتشارات مؤسسة اطلاعات طهران في عام ١٩٩١م ويقع الكتاب في ٢٣٩صفحة.

٢ ـ شرح حديث رأس الجالوت:

شرح لحديث رأس الجالوت (احتجاجات الإمام الرضا(ع) على اصحاب الأديان المختلفة، ومن جملتها احتجاجاته على اليهود في

قضية رأس الجالوت كتبه عام ١٣٤٨هـ (١٩٢٩م) ذكره مؤلف كتاب «ائينة دانشوران» الذي نشر عام ١٣٥٢ق ١٩٣٤م.

٣ ـ حاشية الامام على شرح حديث رأس الجالوت:

علاوة على شرح الامام للحديث المذكور في كتاب مستقل، فقد كتب سماحته تعليقه على شرح المرحوم القاضي سعيد القمي (من عرفاء القرن الحادي عشر) لحديث رأس الجالوت ايضاً وقد ذكره ايضاً مؤلف كتاب (آئينه دانشوران) ومؤلف كتاب الذريعة المرحوم الشيخ آغا بزرك الطهراني.

٤ ـ الحاشية على شرح الفوائد الرضوية:

في هذا الأثر العرفاني، كتب الامام الخميني اراءه على شكل حاشية على كتاب شرح الفوائد الرضوية للمرحوم القاضي سعيد القمي. وسوف ينشر هذا الكتاب قريباً من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(س).

٥ ـ شرح حديث جنود العقل والجهل:

اثر نفيس في علم الاخلاق، يضم اراء الامام الكلامية والاخلاقية والعرفانية بشكل أوضح، ومن خلاله اتاح سماحته الفرصة لقطاعٍ اوسع من الجماهير للاستفادة منه، كما هي الحال مع كتاب شرح الأربعين حديث. والكتاب الآن في قسم التحقيقات (فرع قم) التابع لمؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام، وسوف ينشر بعد ان ينتهي العمل بهوامشه وفهارسه وسائر الامور التحقيقية، ويتوقع ان يقع الكتاب في ٨٠٠ صفحة.

٦ ـ مصباح الهداية الى الخلافة والولاية:

يعتبر هذا الكتاب من اعمق وألمع آثار العرفان الاسلامي في

عصرنا الحاضر فرغ الامام من تأليفه في عام ١٣٤٩هـ (١٩٣٠م) وهو في سن الثامنة والعشرين من عمره. آخر طبعة صدرت من الكتاب كانت عن انتشارات مؤسسة تنظيم ونشر آثار الامام في عام ١٩٩٣، ويقع الكتاب في ٢١٥صفحة تشمل متن الكتاب ومقدمة مفصلة وشرح لحياة الاستاذ جلال الدين الاشتياني.

٧ـ الحاشية على شرح فصوص الحكم:

كتاب فصوص الحكم من تأليف الشيخ الاكبر محي الدين بن عربي (من العرفاء اللامعين في العالم الاسلامي) وقد كُتبت لهذا الكتاب شروح عديدة. يعدّ افضلها ما كتبه القيصري. وفي عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) كتب الامام الخميني تعليقه باللغة العربية على شرح فصوص الحكم للقيصري، والحاشية تشير الى تسلط الامام على آراء أساطين العرفان، نظير الشيخ الاكبر، القونوي الملا عبد الرزاق الكاشاني، الفرغاني، العراقي والقيصري. وقد طبع هذا الكتاب مع الكتاب الذي سنورده ادناه في مجلد واحد.

٨ـ الحاشية على مصباح الانس:

كتاب «مصباح الانس بين المعقول والمشهود» شرح كتبه محمد بن حمزة بن محمد الغفاري على كتاب (مفتاح الغيب) لأبي المعالي محمد بن اسحاق القونوي (من تلامذة محي الدين بن عربي البارزين) والذي كتب في موضوع العرفان النظري. وقد كتب الامام الخميني اراءه ونقده العلمي على الكتاب بشكل حاشية استوعبت ثلث الكتاب المذكور وذلك في عام ١٣٥٥هـ (١٩٣٦م) تم طبع الحاشيتين المذكورتين اعلاه (على فصوص الحكم ومصباح الانس) في كتاب واحد تحت عنوان «تعليقات على شرح فصوص الحكم ومصباح الانس» ويقع الكتاب في ٣٢٩صفحة، تمّ طبعه عام ١٩٨٦م بواسطة مؤسسة (باسدار اسلام) في قم.

٩ ـ شرح الأربعين حديثاً:

«الاربعين حديثاً» أو «شرح الاربعين حديثاً» احد الاثار الأخلاقية والعرفانية النفيسة للامام الخميني كتبه بالفارسية في عام ١٣٥٨هـ (١٩٣٩م) تعرض فيه لشرح مجموعة من احاديث اهل البيت (٣٤ حديث أولاً. ثم احد عشر حديثاً في المسائل الاخلاقية. وستة احاديث اخرى في المسائل الاعتقادية) اخر طبعاته صدرت عن مؤسسة تنظم ونشر تراث الامام الخميني في عام ١٩٩٣م، ويقع في ٩٠٠ صفحة.

١٠ ـ سرُّ الصلاة (صلاة العارفين ومعراج السالكين):

كتابٌ قيّم في العرفان، كتبه سماحة الامام باللغة الفارسية في بيان الاسرار المعنوية والعرفانية للصلاة وقد اتمه في عام ١٣٥٨هـ ١٩٤٢م) ويمكن من خلال مباحث هذا الكتاب والكتب السابقة التي ذكرناها الوقوف على تسلط الامام الخميني على العرفان النظري وطيّه المقامات المختلفة في العرفان العملي. آخر طبعات الكتاب صدرت عن مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام في عام ١٩٩٠م،ويقع الكتاب في ٢٦٦صفحة، ويتألف من مقدمة كتبها آية الله الجوادي الآملي، وفي الكتاب، عدة فهارس توضيحية مع صورة كاملة من النسخة الخطية للكتاب.

١١ ـ آداب الصلاة:

تم تأليف هذا الكتاب في عام ١٣٦١هـ (١٩٤٢م) وبُعيد تأليف كتاب سرّ الصلاة. كتب الامام الخميني في بداية الكتاب يقول: «قمت قبل أيام بتحرير رسالة... ولأن الرسالة لا تناسب حال العامة قررت تأليف رسالة اخرى لشرح الآداب القلبية لهذا المعراج الروحاني».

فهو اذن شرح مبسوط لاداب الصلاة واسرارها المعنوية، والكتاب يفيض بالمطالب الاخلاقية والعرفانية، وقد كتبه الامام باللغة

الفارسية. آخر طبعاته صدرت عن مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام في عام ١٩٩٣م، ويقع الكتاب في ٨٣٦ صفحة، يشمل، مقدمة، متن الكتاب، فهارس وصورة كاملة عن النسخة الخطية للكتاب، كما صدرت منه طبعة اخرى تقع في ٤٢١ صفحة لم تشتمل على الصورة الخطية.

١٢ ـ رسالة لقاء الله:

رسالة موجزة كتبت باللغة الفارسية وتدور حول المسائل العرفانية، وقد طبعت من قبل مؤسسة الفيض الكاشاني وذلك عام ١٩٩١م كملحق مع رسالة (لقاء الله) التي ألفها آية الله الحاج الميرزا جواد الملكي(ره).

١٣ـ الحاشية على الاسفار:

قام الامام الخميني وخلال سنوات عديدة في قم بتدريس كتاب (الاسفار الاربعة) تأليف الفيلسوف الشهيد صدر المتألهين، وكتب على مباحثه حاشية لم نعثر وللأسف على نسخةٍ منها الى الآن. وتنوي مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني، جمعَ ونشر مختارات من الآراء الفلسفية للامام الخميني والتي تمّ جمعها من تقريرات دروسه في الفلسفة من بعض تلامذته لينتفع بها المجتمع الاسلامي.

١٤ ـ كشف الاسرار:

كتاب سياسي، عقائدي واجتماعي، كتبه سماحته في عام ١٩٤٤م (١٣٦٤هـ) اي بعد عامين من عزل رضا خان عن السلطة ردّ فيه على ما اثاره احد الوهابيين من شبهات وتهم باطلة ضد الدين والعلماء في كتابه «اسرار هزار ساله» استند الامام في كتابه على حقائق تاريخية، واستعرض ونقد فيه آراء الفلاسفة اليونانيين القدماء، والفلاسفة الاسلاميين والغربيين المعاصرين، ليثبت في النتيجة حقانية مذهب التشيّع ويبرز الدور الفعال الذي نهض به العلماء المسلمون. طرح في

هذا الكتاب فكرة الحكومة الإسلاميّة وولاية الفقيه في عصر الغيبة وفصّل القول في السياسات المضادة للقومية التي مارسها رضا خان ومن لف لفه في البلدان الإسلامية (في ذلك الوقت) ويقع الكتاب في ٣٣٤صفحة.

١٥ ـ انوار الهداية في التعليقة على الكفاية (مجلدين):

كتاب يتناول المباحث العقلية في علم اصول الفقه، كتبه الامام الخميني باللغة العربية وعلى شكل حاشية على المباحث المذكورة من كتاب كفاية الاصول لآية الله العظمى الآخوند الخراساني (ره) وقد اتمه في عام ١٣٦٨هـ (١٩٤٩) يوضح هذا الكتاب القيّم مع كتاب (مناهج الوصول) والرسائل المستقلة للامام الخميني في المسائل الاصولية والى حد كبير آراء ومدرسة الامام الخميني الاصولية. طبع مؤخراً (في عام ١٩٩٣م) ولأول مرة في مجلدين من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(س).

١٦ ـ بدائع الدرر في قاعدة نفي الضرر:

رسالة تحقيقية، اجتهادية كتبها الامام باللغة العربية حول (قاعدة لا ضرر) التي تعتبر من القواعد الفقهية المهمة. اتمّ تأليفها في غرّة جمادي الاولى عام ١٣٦٨هـ (١٩٥٠م) طبعت هذه الرسالة مع عدّة رسائل اصولية للامام في مجموعة تحت عنوان «الرسائل» في عام ١٣٥٨هـ (١٩٦٥م) وقد تمّ اخيراً (في عام ١٩٩٣م) طبعها بشكل مستقل من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س) مع مجموعة من التعليقات والفهارس وتحت الاسم المذكور أعلاه.

١٧ ـ رسالة الاستصحاب:

رسالة تفصيلية اجتهادية، كتبها سماحته باللغة العربية حول مبحث «الاستصحاب» الذي يعدّ من المباحث البالغة الأهمية في عالم اصول الفقه. اتمّ تأليفها في عام ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) ويقع الكتاب في ٢٩٠ صفحة، وقد تم نشرها مع مجموعة «الرسائل» التي ذكرناها سابقاً وذلك عام ١٣٨٥هـ (١٩٦٥م).

وسيتم قريباً طبع هذه الرسالة بشكل مستقل ومنقح من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(س).

١٨ ـ رسالة في التعادل والتراجيح:

تم تأليف هذه الرسالة في عام ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) والتعادل والتراجيح من المباحث التكميلية في علم اصول الفقه، يدور حول المعايير في انتخاب الدليل في مقام تعارض الأدلة. وقد طبعت ايضاً في ١٣٨٥هـ ضمن مجموعة «الرسائل» الآنف ذكرها.

١٩ ـ رسالة الاجتهاد والتقليد:

الاجتهاد والتقليد ايضاً من المباحث التكميلية والمهمة في علم اصول الفقه. وقد استدل الامام الخميني في هذه الرسالة الاجتهادية على آرائه. تم تأليف هذه الرسالة في عام ١٣٧٠هـ، وقد طبعت ايضاً مع مجموعة «الرسائل».

٢٠ ـ مناهج الوصول الى علم الاصول (مجلدين):

كتاب تحقيقي واجتهادي في مباحث الفاظ علم اصول الفقه، كتبه باللغة العربية بعد عام ١٣٧٠هـ (١٩٥١م) وصدر في مجلدين لأول مرة في عام ١٩٩٣م مع تعليقات وفهارس ومقدمة كتبها آية الله الفاضل اللنكراني، وقد اهتمت بطبعه مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(س).

٢١ ـ رسالة في الطلب والارادة:

كتاب اصولي، فلسفي وعرفاني، اتم تأليفه الامام الخميني في عام ١٩٧١هـ (١٩٥٢م) طبعت هذه الرسالة من ترجمة لها باللغة الفارسية في كتاب يقع في ١٥٧ صفحة في عام ١٩٨٣م من قبل مركز الانتشارات العلمية والثقافية، في طهران.

٢٢ ـ رسالة في التقيّة:

رسالة فقهية واجتهادية كتبها الامام في مبحث «التقية» في عام ١٣٧٢هـ (١٩٥٣م) باللغة العربية، وثبت من خلالها بأن فلسفة وجوب التقية انما تدور حول حفظ الدين لا محوه، طبعت ضمن مجموعة «الرسائل» في عام ١٣٨٥هـ في قم.

٢٣ ـ رسالة في قاعدة من ملك:

رسالة اجتهادية في القاعدة الفقهية الموسومة بـ «قاعدة من ملك» وقد ذكرها مؤلف كتاب آثار الحجة (المطبوع سنة ١٣٧٣هـ ١٩٥٤م).

٢٤ ـ رسالة في تعيين الفجر في الليالي المقمرة:

رسالة فقهية واستدلالية في بيان كيفية تعيين طلوع الفجر في «الليالي المقمرة» طبعت تحت هذا العنوان في عام ١٩٨٨م في قم.

٢٥ ـ كتاب الطهارة (٤ مجلدات):

كتاب يشتمل على المباحث المتعلقة بـ«الطهارة» وهو من ابواب الفقه وقد كتبه الإمام الخميني باللغة العربية بين عامي ١٣٧٣ و١٣٧٧هـ (١٩٥٤ و ١٩٥٨م) وبأسلوب فقهي استدلالي واجتهادي، يقع الكتاب في اربعة مجلدات، طبع مجلدين منها في عام ١٩٦٧ هـ في قم والمجلدين الاخرين في عام ١٣٨٩هـ في النجف الاشرف، ويتألف الكتاب كلّه من ١٢٠٢ صفحة.

٢٦ ـ تعليقه على العروة الوثقى:

حاشية الامام الخميني على مسائل كتاب «العروة الوثقى» (كتاب آية الله العظمى السيد محمد كاظم الطباطبائي اليزدي المشهور) تمّ تأليفها في عام ١٣٧٥ (١٩٥٦م) ويشتمل الكتاب على فتاوى الامام الفقهية في ابواب الفقه المختلفة وقد طبع مستقلاً ومع العروة الوثقى عدة مرات.

٢٧ ـ المكاسب المحرّمة (مجلدين):

أثر اجتهادي في الفقه الاستدلالي في موضوع انواع المكاسب المحرمة والمسائل المتعلقة بهذا الأمر، كتبه الامام الخميني في الفترة ما بين عام ١٣٧٧ ـ ١٣٨٠هـ (١٩٥٦و ١٩٦١م) باللغة العربية، طبع في عام ١٣٨١ هـ في مجلدين يقعان في ٦١٢ صفحة ويضم الكتاب بحوثاً لطيفة حول حكم الموسيقى والغناء والرسم والنحت.

٢٨ ـ تعليقة على وسيلة النجاة:

حاشية الامام الخميني، الحاوية لفتاواه الفقهية على كتاب وسيلة النجاة (رسالة عملية، لآية الله العظمى السيد ابو الحسن الاصفهاني).

٢٩ ـ رسالة نجاة العباد:

رسالة تحوي فتاوى الامام الخميني في الاحكام الفقهية، كتبها باللغة الفارسية، ويتألف الكتاب من ثلاثة مجلدات على ما يبدو طبع المجلد الثاني منها في عام ١٣٨٠هـ (١٩٦١م) في قم.

٣٠ ـ الحاشية على رسالة الارث:

حاشية الامام الخميني، التي تحوي فتاواه الفقهية في احكام الارث، كتبها على (رسالة الارث) للمرحوم الحاج ملا هاشم الخراساني

(صاحب كتاب «منتخب التواريخ») طبع مع اصل الرسالة المذكورة (باللغة الفارسية) في قم ويبدو أن ذلك تمّ بعد عام ١٩٦١م.

٣١ ـ تقريرات درس الاصول آية الله العظمى البروجردي:

كتب الامام الخميني في هذا الكتاب تقريراته عن دروس الاصول التي حضرها عند آية الله البروجردي، وباللغة العربية. والكتاب في طريقه الى النشر لأول مرة من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س).

٣٢ ـ تحرير الوسيلة (مجلدين):

كتاب يحوي فتاوى الامام الخميني، كتبه باللغة العربية اثناء وجوده في منفاه الاول (تركيا وذلك بين عامي ١٩٦٤ و١٩٦٥م) طبع لأول مرة في مجلدين (١٣٠٩صفحات) في النجف الاشرف ثم اعيد طبعه لمرات عديدة في النجف وبيروت وايران.

٣٣ ـ كتاب البيع (خمسة مجلدات):

اثر نفيس في الفقه الاستدلالي في الابواب المختلفة المتعلقة بالبيع والتجارة، كتبه سماحته في الفترة ما بين عامي ١٣٨٠و ١٣٩٦هـ (١٩٦١و ١٩٧٦م) في النجف الاشرف، وقد تم طبعه لاول مرة في النجف الاشرف ايضاً، تقع المجلدات الخمسة معاً في ٢٣٧١ صفحة.

٣٤ ـ الحكومة الاسلامية أو ولاية الفقيه:

طبع قبل وبعد انتصار الثورة عدّة مرات باللغة العربية والفارسية، يضم الكتاب آراء الامام الاجتهادية حول الحكومة الإسلامية، وحول عدم امكانية الفصل بين الدين السياسة، وحول ولاية الفقيه في زمن الغيبة، وقد عرضها الامام على شكل سلسلة من الدروس كان قد

القاها في النجف الاشرف وذلك في عام ١٩٦٩م.

آخر طبعة صدرت من الكتاب في عام ١٩٩٣م ضمت مقدمة وتوضيحات وفهارس، وذلك من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(س).

٣٥ـ كتاب الخلل في الصلاة:

كتاب ضم آراء الامام الخميني الاجتهادية والاستدلالية حول مبحث الاحكام الفقهية للخلل في الصلاة كتبه الامام باللغة العربية في السنوات الاخيرة من اقامته في النجف الاشرف يقع الكتاب في ٣١٤ صفحة، وقد طبع في قم.

٣٦ـ الجهاد الاكبر (أو جهاد النفس):

دروس للامام الخميني حول ضرورة واهمية تهذيب النفس. القاها في النجف الاشرف.

وفي الوقت الذي تميزت فيه هذه الرسالة بالاختصار فقد حوت من المسائل الاخلاقية والتربوية والسياسية الكثير، طبع هذا الكتاب سابقاً على شكل ملحق لكتاب ولاية الفقيه وآخر طبعة صدرت منه كانت في عام ١٩٩٣م مقرونة مع مقدمة وتوضيحات من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س).

٣٧ـ تقريرات دروس الامام الخميني:

علاوة على مؤلفات الامام الخميني في مباحث علم الفقه والاصول، فقد كتبت العديد من التقريرات عن دروسه من قبل طلابه، وقد تمّ طبع العديد منها الى الآن، ولا زال العديد منها ايضاً ينتظر دوره لدى مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س) وفي فرع المؤسسة في قم.

٣٨ ـ توضيح المسائل (رسالة عملية):

كتاب يضم فتاوى الامام الخميني في ابواب الفقه المختلفة، كتبه سماحته باللغة الفارسية ليكون رسالة عملية ينتفع منها مقلدي الامام وقد طبع عدة مرات.

٣٩ ـ مناسك الحج:

فتاوى الامام الخميني حول اعمال ومناسك الحج، آخر طبعة صدرت من هذا الكتاب كانت في عام ١٩٩١م عن مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام (س) ويقع الكتاب في ٢٧٢صفحة.

٤٠ ـ تفسير سورة الحمد:

تفسير عرفاني لفاتحة الكتاب (سورة الحمد المباركة) وهذه الرسالة هي مجمل ما عرضه الامام الخميني من موضوعات حول سورة الحمد خلال عدة احاديث في عام ١٣٥٨هـ ثم طبعت في كتاب تحت العنوان اعلاه.

٤١ ـ استفتاءات:

مجموعة من فتاوى الامام الخميني ردّ بها على اسئلة الجماهير الشرعية في الابواب الفقهية المختلفة وخصوصاً المستحدثات من الأمور، وقد طبع منها حتى الآن مجلدان من قبل رابطة مدرسي الحوزة العلمية في قم وذلك في عامي ١٩٨٧ و ١٩٩٣م.

٤٢ ـ ديوان شعر:

كتب الامام الخميني منذ صباه بعض القصائد الشعرية العرفانية والسياسية والاجتماعية، غير ان القسم الاعظم مما كتبه في الماضي فقد اثناء الانتقال من منزل الى منزل، أو نتيجة مداهمة شرطة

السافاك لمنزله ومصادرتهم لبعض ما تحتويه مكتبته الشخصية. كما فقد بعضها لأسباب اخرى. كذلك فقد كتب الامام بعض الاشعار وبقوالب ادبية (خاصة بالشعر الفارسي) مختلفة.

وقد جمعت قصائد الامام الاخيرة وبعض ما بقي من القصائد القديمة ونشرت في كتاب مستقل اطلق عليه اسم «ديوان الامام». وقبل نشر هذا الكتاب كانت بعض قصائد الامام الشعرية قد نشرت مع بعض آثاره مثل «حافلة العشق» و «مستودع الاسرار» و «نقطة عطف».

ويجد القارئ في المقدمة التي صُدّر بها الديوان معلومات جامعة حول اسلوب وسبك الامام لأشعاره وتاريخ ما نظمه. وكذلك فقد خصص ملحق في الكتاب لتوضيح المعالم الفنية والأدبية لتلك القصائد أو الأشعار .يقع الكتاب في ٤٤٥صفحة، ويتمتع الكتاب بهيئة فاخرة، وقد نشرت في عام ١٩٩٣م. من قبل مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(س). وقد اعيد طبعه عدة مرات.

وتجدر الاشارة الى ان مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام قامت ايضاً بنشر كتاب تحقيقي حول شرح الاصطلاحات العرفانية التي استخدمها الامام في اشعاره اطلق عليه «معجم ديوان الامام».

٤٣ ـ الرسائل العرفانية:

كتب الامام الخميني عدّة رسائل الى بعض اقاربه وارحامه ضمنها بعض الاشارات الاخلاقية والمسائل العرفانية والتربوية، ونجد نماذج منها في كتاب «مستودع الاسرار» وطريق العشق» و«نقطة عطف» التي قامت مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س) بطبعه ونشره، وكذا كتاب «التجلّيات الرحمانية» الذي قامت مؤسسة شهداء الثورة الإسلامية بطبعه ونشره.

٤٤ ـ الوصيّة السياسية الإلهية:

إنّ اكثر بيانات الامام الخميني خلوداً والذي خاطب به الأجيال الحاضرة واللاحقة هو ما تضمنته وصيته السياسية والإلهية، وضمن توضيحه لعقائده الحقّة، عرض الامام في هذه الوصية أهم الآراء، وأهم الارشادات حول المسائل السياسية والاجتماعية في المجتمعات الإسلامية والمجتمع البشري على العموم، وفي قالبٍ من التحليلات الوثائقية والنصائح المشفقة.

لقد طبع من الوصية ما يناهز البضعة ملايين من النسخ من قبل الكثير من دور النشر، والمؤسسات الثورية وانصار الامام، وقد ترجمت ايضاً الى مختلف اللغات.

واحدث طبعة منها ما نشرته مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س) والتي ضمت علاوة على المتن الكامل للوصية وصورة عن نسختها الخطية، توضيحات حول تاريخ تدوين الوصية وسير في مطالبها مع فهارس موضوعية وفهارس اخرى تحت عنوان «دراسة موضوعية للوصية السياسية الإلهية».

٤٥ ـ البيانات، الأحاديث، اللقاءات، الاحكام والرسائل (٢٢ مجلداً)

(مجموعة الآثار السياسية والإجتماعية للإمام الخميني):

علاوة على الكتب التي نشرت مثل (كشف الاسرار ـ الحكومة الإسلاميّة ـ الوصيةالسياسية الإلهية) فإن الامام الخميني قام بعرض آراءه وتوجيهاته السياسية والاجتماعية والدينية ضمن المئات من الخطب والبيانات والاحكام والرسائل طوال سنوات الجهاد وسنوات ما بعد انتصار الثورة الإسلامية، وقد انتشرت هذه التوجيهات بصور مختلفة وتحت عشرات العناوين.

وتمثل «صحيفة النور» المتكونة من ٢٢ مجلداً (ومجلد آخر كمفتاح

ومرشد للصحيفة) اشمل كتاب تمّ نشره حتى الآن. فقد درجت في هذا الكتاب آثار كثيرة على اساس تسلسلها الزماني. وطبيعي ان هناك الكثير من الآثار والرسائل والبيانات والاحكام الصادرة عنه لم تطبع في هذه الدورة مما يشكل عدّة مجلدات اخرى.

ويوجد في ارشيف مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (ص) حتى الآن ١١٢٦ خطبة، وما ينيف عن ٤٧٠ حكم، و٣٦٧ رسالة موجهة الى شخصيات سياسية ودينية خارج البلاد و٤٢٠ رسالة موجهة الى شخصيات ايرانية دينية وسياسية. واكثر من ٣٥٠ بيان مما يعد اكمل دورة للآثار السياسية والاجتماعية للامام يتم نشرها لعدّة مراحل في كتاب اطلق عليه اسم «الكوثر». وقد صدر حتى الآن خمسة مجلدات تقع كلها في ٣٢٠٠ صفحة من هذه المجموعة (وتشمل الكوثر «خلاصة بيانات الامام منذ البدء وحتى الوفاة» وتقع في مجلدين. والكوثر «شرح وقائع الثورة الإسلامية مند انطلاقتها وحتى انتصارها في شباط ١٩٧٩ م وتقع في ٣ مجلدات») كذلك فإن مجلة حضور لعام ١٩٩٢، وفي اعدادها الخامس والسادس عرضت في مقالة حول ما صدر عن الامام اكثر من ٢٣٠ عنوان من آثار الامام الخميني والآثار المرتبطة بحياته وجهاده وما كتب حول افكاره.

هوامش القسم الثاني من كتاب حديث الانطلاق

(١) للاطلاع على تفاصيل لقاء ممثلي قصر الاليزيه بالامام الخميني في (نوفل لوشاتو) ومحادثاتهم معه، راجع كتاب الكوثر شرح وقائع الثورة الإسلامية ج٢ ص ٥٨١ كذلك فقد اشار الامام الخميني في حديثة الذي القاه بتاريخ ١٩٧٨/٦/٢٥ في الوفد الكويتي، الى تلك المحادثات. ن. ك المصدر اعلاه ج٣ ص ٥٤٥.
(٢) للاطلاع على تفاصيل خطاب الامام الخميني في (مقبرة جنة الزهراء) وتفاصيل الحوادث والنتائج التي ترتبت على ذلك، راجع كتاب الكوثر ـ شرح وقائع الثورة الإسلامية ج٣ ص ١٨ ـ ٤٧.
(٣) المصدر السابق ج٣ ص ١٣٨ ـ ١٥٥
(٤) للاطلاع على تفصيل الملاحم المنقطعة النظير والتي سطرها الشعب الايراني والتي انتهت بسقوط النظام الملكي في يوم ١٩٧٩/٢/١١ راجع كتاب الكوثر ـ شرح وقائع الثورة الإسلامية الصفحات ٢٦١ ـ ٣١٥.
(٥) ن. ك «مؤامرة في إيران» تأليف سايروس فانس (وزير خارجية امريكا الاسبق) وزبيغنيو برجنسكي (مستشار الامن القومي الامريكي). ترجمة محمود مشرفي (الى اللغة الفارسية) طبع انتشارات الاسبوع ١٩٨٣م وكذلك (مأمورية في إيران) وليام سوليفان ترجمة مشرقي طبع انتشارات الاسبوع ١٩٨٢ وكذا «مأمورية طهران» مذكرات الجنرال هايزر ترجمة حسين عادلي نشر مؤسسة الخدمات الثقافية (رسا) ١٩٨٦م و «القدرة والحياة» جيسكار ديستان ـ ترجمة طلوعي، طبع دار الترجمة ١٩٨٩م.
(٦) ن. ك الـ «كي جي بي في إيران» فلاديمير كوزيجفين (ضابط سابق في المخابرات السوفياتية) ترجمة اسماعيل زند والدكتور ابو ترابيان طهران ١٩٩١م، وكذلك مجموعة وثائق وكر التجسس الامريكي في إيران، ترجمة وتنظيم الطلبة المسلمون السائرون على نهج الامام الخميني، طبع مركز نشر وثائق وكر التجسس الامريكي ـ طهران.
(٧) كان تشكيل الحكومة المؤقتة والتي ضمت اكثرية مطلقة من اعضاء نهضة الحرية والجبهة الوطنية خلافاً لحكم الامام الخميني والاتفاق المبدئي، حول هذا الموضوع راجع التفاصيل في كتاب الكوثر شرح وقائع الثورة الإسلاميّة ج٢ ص ٣٥٩ ـ ٣٦٣.
(٨) بعد هذه الاحداث، نشرت كتب عديدة في الخارج، وقد تمت ترجمة البعض منها الى اللغة الفارسية ويمكن من خلالها الوقوف على الاحداث والاهداف غير المعلنة ومدى الفضيحة التي لحقت بالبيت الابيض ن. ك «الهدف: طهران» تأليف جو ليتو غيزا، ترجمة سهرابي، الدار الجديدة ١٩٨٣م، «الأزمة» هميلتون جرون، طبع دار الكتاب ١٩٨٣، «أمريكا في القيد» سالينجر، طبع دار الكتاب ١٩٨٣، و «٤٤٤يوم» تيم ويلز، ترجمة ابو ترابيان، طبع دار الثقافة رجا ١٩٧٨م.

(٩) راجع الاصول من الكافي. كتاب الإيمان والكفر باب حب الدنيا والحرص عليها، الحديث.

(١٠) صحيفة النور ج١٤ ص ٢٧٦.

(١١) العقيد المعزّي. تعرضت منظمة مجاهدي خلق (المنافقين) بعد الفرار الى مشكلات حقيقية في اقناع مؤيديها الذين خدعتهم بالشعارات الثورية والمعادية للامبريالية، ودعوى الأسبقية في الوقوف بوجه النظام الملكي. فعدا عن انقاذهم لقائدهم (مسعود رجوي) بمساعدة الطيار السافاكي ومؤتمن الملك، هناك العديد من الموارد الاخرى التي جعلت الكثير من انصار المنظمة يتركونها او ينشقون عليها، ومن جملة ذلك يمكن الإشارة الى الإئتلاف السياسي بين تيار بني صدر الليبرالي المحافظ مع تيار رجوي الثوري واليساري الظاهر (في ذلك الوقت) الأمر الذي أدى الى الزواج القلق بين مسعود رجوي وابنة بني صدر، وكذلك لجوء اعضاء المنظمة الى الدول التي تدور في فلك الامبريالية واستجدائهم الامكانات من امريكا واوروبا واخيراً اسرائيل، وعقدهم اتفاقية تجسس وعمالة لصدام في مقابل الحصول على معسكرات وامكانات تسليحية، وكذا الزواج الثالث الفاشل بين مسعود رجوي واحدى عضوات المنظمة والذي تمّ تحت شعار «الثورة الايديولوجية»!.

(١٢) إن الاغتيالات العشوائية في الأزقة والشوارع الايرانية، والتي نفذها عناصر «منظمة مجاهدي خلق» اتسعت واشتدت منذ الوقت الذي اعلنت فيه قيادة المنظمة في باريس عن مطالبتها مؤيديها العمل على سلب الأمان في داخل البلاد، فقد صرح رجوي في باريس بالقول: «المرحلة الاولى، كان المستهدف هم القادة السياسيون، وفي المرحلة الثانية تكون الأهمية في الدرجة الاولى من نصيب الجهاز التنفيذي... ينبغي زيادة العمليات الى الحد الذي يجعل الآخرين يرون ان عملية حراسة الثورة ليست بالعمل الهين ولا تتم بسهولة، وان يرى حارس الثورة بعينيه بأن الثمن باهظ جداً، حينها لن يجرؤ احد على التفكير بحراسة الثورة» ن. ك « رجوي، مجموعة عام واحد ١٩٨٢/٦/٢٠م». وكانت نتيجة مواقف كهذه وتوجيهات ارهابية من هذا النوع، ان تعرض العشرات من الاطفال والنساء والرجال الى الوقوع ضحية تلك العمليات العشوائية. وقد اعتمدت عمليات الاغتيال العشوائية تلك - والتي درست بعناية - على عنصر المباغتة وسلب الضحايا أيّة قدرة على الدفاع عن انفسهم، فقد تعرض الضحايا للقتل بينما كانوا نياماً أو على مائدة الافطار في شهر رمضان، أو اثناء ممارسة اعمالهم اليومية، أو اثناء التردد على المسجد أو صلاة الجمعة وكان المهاجمون يفرون بعد تنفيذ عملياتهم بواسطة وسيلة نقل مسروقة في الغالب وقد نشرت وثائق واعترافات ممن تم القاء القبض عليهم من منفذي تلك العمليات في كتاب صدر عن محكمة الثورة الإسلامية تحت عنوان «الصحيفة السوداء مناظرات سجناء سجن ايفين»، والملفت ان الدولة التي تصدر منها مباشرة الاوامر للقيام بهذه العمليات الاجرامية كانت تتهم - ولسنوات مع انجلترا وامريكا - الجمهورية الإسلامية الايرانية بدعم الارهاب!!

(١٣) كانت عملية إعادة التجهيزات السرية العسكرية والجاسوسية الامريكية في إيران، والطائرات الخاصة بالبنتاغون والصواريخ المتطورة ارض ـ ارض وارض ـ جو والتي كانت منصوبة في صحاري شرق إيران والمناطق الشمالية والشمالية الشرقية للبلاد وبمحاذاة الحدود السوفياتية (سابقاً) احدى ثلاث مهمات كان على الجنرال هايزر (مساعد قيادة حلف الناتو) ان يقوم بها خلال فترة الشهرين التي وفد فيها الى ايران. راجع «مأمورية في طهران» مذكرات الجنرال هايزر وكذلك «المساعي الاخيرة في الأيام الأخيرة» الدكتور اليزدي، طبع انتشارات القلم ١٩٨٤م.

(١٤) سورة البقرة ـ الآية ٢٤٩.

(١٥) «الفناء في الله» مصطلح عرفاني يراد به التعبير عن حالة فناء العبد في الحق (الله) بمعنى فناء الجنبة البشرية منه في الجنبة الربوبية من الخالق، وهو نهاية سير العبد نحو الله.وبعد الربوبية يأتي دور العبودية، الذي تقرّ فيه ذات العبد وتعترف، إذا فسلوك العبد من مقام الذات نحو الكمالات يبدأ بالصعود حتى يصل به الى مقام العلم بجميع الاسماء عدا تلك التي خص الباري تبارك وتعالى بها ذاته، وما ان يصل الى هذا المقام حتى تكون صفاته وافعاله فانية في صفات وافعال الحق، وفي هذا المقام يحصل له مقام «الفناء من الفناء» الذي يمثل مقام اخفاء الفناء.

(١٦) كتاب «الاسفار الاربعة» احد مؤلفات صدر المتألهين، ويقسم فيه سماحته مسائل الفلسفة باعتبارها (الفكر) نوعاً من السلوك المختص بالذهن، الى اربعة اقسام:

١ ـ السفر من الخلق الى الحق: ويشمل الأمور التي تعدّ اساساً ومقدمة لبحث التوحيد وفي الحقيقة سير الفكر البشري.

٢ ـ السير بالحق في الحق: ويشل مباحث التوحيد ومعرفة الله وصفاته.

٣ ـ السير من الحق الى الخلق بالحق: ويشمل مباحث الافعال الاليهة.

٤ ـ السير في الخلق بالحق: ويشمل مباحث النفس والمعاد.

وهو من اشهر كتبه واكثرها تداولاً في الحوزات العلمية.

(١٧) صحيفة النور ج ١٣ ص ٩٠.

(١٨) صحيفة النور ج١٣ ص ٩٤.

(١٩) صحيفة النور ج١٣ الصفحات ٩٥ ـ ١٢٠.

(٢٠) صحيفة النور ج١٣ ص ١٢٣ ـ ١٢٩، حديث الامام في جمع من سفراء الدول الإسلامية ولقائه مع الحبيب الشطي الامين العام للمؤتمر الاسلامي.

(٢١) سورة الحجرات ـ الآية ٨.

(٢٢) صحيفة النور ج٢٠ ص ٢٢٧.

(٢٣) قسم من الآية ٧ من سورة محمد.

(٢٤) قسم من الآية ٢ من سورة الحشر.

(٢٥) صحيفة النور ج ٢١ ص ٣٦.

(٢٦) صحيفة النور ج١ـ ص ١٢٢.

(٢٧) تم نشر النص الكامل لرسالة الامام الخميني مع شرحٍ من قبل آية الله الجوادي الآملي في كتاب «نداء التوحيد ـ رسالة الامام الخميني الى غورباتشوف». طبع مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(س).

(٢٨) المصدر السابق.

(٢٩) صحيفة النور ج٢١ ص ٨٦.

(٣٠) جعل الله الكعبة البيت الحرام قياماً للناس» المائدة ـ الآية ٩٧ **﴿واذانٌ من الله ورسوله إلى الناس يوم الحج الأكبر ان الله بريء من المشركين﴾ التوبة ـ الآية ٣.**

(٣١) كتبت هذه الرسالة بتاريخ ١٩٨٩/٣/٢٨م، ونصها الكامل في صحيفة النور ج١ ص ١١٢.

(٣٢) للاطلاع على معاناة الامام الخميني من هذا الموضوع والوثائق والرسائل المتبادلة، راجع كتاب «رسالة العذاب» لحجة الاسلام والمسلمين السيد احمد الخميني، وكذلك كتاب «المذكرات السياسية» لآية الله المحمدي الري شهري.

(٣٣) صحيفة النور ج٢١ ص ١١٦.

(٣٤) «بيان العلماء» بيان الامام الخميني الموجه الى الحوزات العلمية، طبع مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س).

(٣٥) قامت مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(س) ولحد الآن بطبع الوصية الإلهية السياسية للامام الخميني تحت عنوان (النداء الاخير) مع توضيحات وفهارس باكثر من عشرة لغات منها، العربية، الاردو، الانجليزية، الفرنسية، الالمانية، الروسية، التركية والآذرية... وغيرها. كما قامت بطبع النسخة الفارسية مقرونة بفهارس موضوعية وصورة عن النسخة الخطية تحت عنوان: دراسة موضوعية للوصية السياسية الإلهية للامام الخميني(س).

(٣٦) سورة النساء الآية ١٤١.

(٣٧) ان ما تم استعراضه في هذه المقالة، هو خلاصة لاراء ومواقف توجيهات الامام الخميني في المسائل التي تطرقت المقالة لها. ولدى قسم التحقيق في مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني فهارس موضوعية لجميع آراء الامام ونظراته الاعتقادية والسياسية والثقافية، مستخرجة من كل موضوع، وتوضع هذه المادة القيّمة تحت تصرف المحققين للاستفادة منها. وقد استند المؤلف في هذه المقالة الى تلك الفهارس الموضوعية مضافاً الى الكتاب القيّم «منهجية الثورة الإسلامية» والذي يضم اهم اراء واعتقادات ومواقف الامام الخميني مستلة من احاديثه وكتاباته وكذلك كتاب الكلمات القصار (وكلا الكتابين من منشورات المؤسسة) والوصية السياسية الإلهية للامام الخميني.

(٣٨) الكلمات القصار ص ٩٣.

(٣٩) منهجية الثورة الإسلامية ص١.

(٤٠) الكلمات القصار ص٢٠.

(٤١) الكلمات القصار ص٢١.

(٤٢) الكلمات القصار ص ١٨.
(٤٣) الكلمات القصار ص ٢٢.
(٤٤) الكلمات القصار ص ١٧.
(٤٥) الكلمات القصار ص ٢٥.
(٤٦) الكلمات القصار ص ٢٥.
(٤٧) الكلمات القصار ص ٣٠.
(٤٨) الكلمات القصار ص ٤٣.
(٤٩) الكلمات القصار ص ٤٤.
(٥٠) الكلمات القصار ص ٤٦.
(٥١) الكلمات القصار ص ٣٥.
(٥٢) نسبةً الى الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وثاني السبطين (سيدي شباب اهل الجنة) أمّه فاطمة الزهراء (ع) بنت النبي محمد (ص) ولد في الثالث أو الخامس من شعبان سنة ثلاث او اربع للهجرة، يُكنى أبا عبد الله ويُلقب بالرشيد والطيب والزكي والوفي والسيد والمبارك والتابع لمرضاة الله والسبط. اقام مع الرسول (ص) سبع سنين ومع أبيه أمير المؤمنين (ع) سبعاً وثلاثين سنة ومع أخيه الحسن (ع) سبعاً وأربعين سنة، وكانت خلافته بعد أخيه احدى عشر سنة. عرف عنه كباقي الأئمة من أهل البيت الذين «أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيرا» الورع والصلاح والسداد في الرأي والتقوى والزهد والكرم والشجاعة: فروي انه كان يصلي في اليوم والليلة ألف ركعة، وحج خمساً وعشرين مرة ماشياً على قدميه، لا من عسر، بل تواضعاً لله. شهد مع أبيه حرب الجمل وصفين وقتال الخوارج. ويذكر بعض المؤرخين انه شهد مع بعوث الفتح الإسلامي فتح افريقيا وغزوة طبرستان وغزوة القسطنطينية. بقي مع أبيه وأخيه في الكوفة حتى استشهادهما (عليهما السلام)؛ وبعد وفاة أخيه الحسن (ع) مسموماً واستتباب الأمر لمعاوية بن أبي سفيان انتقل الى المدينة المنورة وبقي فيها حتى هلك معاوية، فخرج الى مكة بعد ان رفض مبايعة يزيد شارب الخمرة المجاهر بالفسق على خلافة المسلمين، فأتته، كتب أهل العراق تبايعه بعد موت معاوية، فأرسل اليهم أبن عمه مسلم بن عقيل، فأخذ بيعتهم وأرسل إليه (ان اقدم) فتوجه صوب الكوفة إلا ان الأمور تبدلت بسرعة وقُتل مسلم بن عقيل وقطع جيش عبيد الله بن زياد الذي عُدَّ بعشرات الآلاف الطريق عليه ولم يكن معه من أصحابه وأهل بيته غير نيف وسبعين رجلاً فقتلوه وأصحابه واهل بيته حتى الأطفال الرضّع وأُحرقت خيم عياله وشُرّد الأطفال وسُبيت نساؤه بعدان حالوا بينهم وبين ماء الفرات، وذلك في العاشر من محرم الحرام سنة ٦١هـ. ق وحُز رأسه الشريف ورؤوس اصحابه وجيل بها البلدان.
(٥٣) الكلمات القصار ص ٢٦.

(٥٤) الكلمات القصار ص ٧١.
(٥٥) الكلمات القصار ص ٦١.
(٥٦) الكلمات القصار ص ٦٢.
(٥٧) صدر المتألهين الشيرازي المشهور بالملا صدرا المتوفي عام ١٠٥٠هـ والذي اسس للحكمة المتعالية، ومن الجدير بالذكر ان كلمة «الحكمة المتعالية» قد استخدمت من قبل ابو علي سينا ايضاً وذلك في كتابه (الاشارات) غير ان مدرسة ابو علي سينا لم تعرف قط باسم الحكمة المتعالية. وصدر المتألهين هو الذي سمى فلسفته بالحكمة المتعالية فتميزت مدرسته الفكرية بذلك.
ومدرسة صدر المتألهين الفلسفية تشبه المدرسة الاشراقية من حيث الاسلوب، بمعنى انه يعتقد بالاستدلال والكشف والشهود معاً، لكنها تختلف عنها من الناحية الاصولية ومن حيث الاستنتاجات وعلاوة على ما حققته مدرسة صدر المتألهين من المسائل الخلافية بين المدرسة المشائية والاشراقية فإن المسائل الخلافية بين الفلسفة والعرفان، او الفلسفة وعلم الكلام قد حُلّت عند صدر المتألهين تماماً. وتجدر الاشارة الى ان فلسفة صدر المتألهين ليست فلسفة التقاطية، وانما فلسفة تمثل نظاماً فلسفياً خاصاً وان كانت الاتجاهات الفكرية الاسلامية قد اثرت فيها.
تمكن صدر المتألهين من استيعاب ما جاء من الفسلفة عن قدماء اليونان خصوصاً ما أثر عن افلاطون وارسطو. كما تمكن من استيعاب ما تركه حكماء المسلمين من امثال الفارابي وابو علي سينا والشيخ الاشراقي وما اضافوه على الفلسفة، مستعيناً على ذلك بعرفانه الكبير وقوته وهدايته الباطنية، ثم لجأ بعد ذلك الى وضع اسس جديدة للفلسفة تستند الى اصول وقواعد محكمة وثابتة من حيث الاستدلال والبرهان، وقد تمكن من نظم مسائل الفلسفة باسلوب رياضي يعتمد فيه كل مطلب على الآخر ويستنبط منه، وبذلك فقد اخرج الفلسفة من طرق الاستدلال المتناثرة.
(٥٨) نسبة الى حسين بن منصور المعروف بالحلاج، من عرفاء القرن الثالث الهجري (المتوفي سنة ٣٠٩هـ ٩٢٢م) تم اعتقاله نتيجة ما كان يحمله من الاعتقادات وظل حبيساً لعدة سنوات، ثم اصدر العلماء المعاصرين له حكماً الاعدام عليه، بذا قامت السلطات في بغداد بربطه وجلده الف جلدة ثم قطع سيقانه وحرق جسده وإلقاء رماده في نهر دجلة واشدّ الاتهامات التي وجهت اليه حينها هي قوله في حال الجذبة «انا الحق».
(٥٩) قامت مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س) بجمع العديد من تقريرات دروس الامام الخميني، وقسم التحقيق التابع للمؤسسة والكائن في قم يقوم بطبعها تدريجياً.
(٦٠) ن. ك: بيان الامام الخميني الذي وجهه الى العلماء والحوزات العلمية بتاريخ ١٩٨٨/٤/٢٣م والذي عُرف فيما بعد بـ «بيان العلماء» وقد نشر نصه الكامل في كتاب مستقل تحت نفس العنوان سنة ١٩٩٠م. راجع ايضاً صحيفة النور ج٢١ص ٨٨.

(٦١) المصدر السابق.
(٦٢) المصدر السابق.
(٦٣) الكلمات القصار ص ١١٧.
(٦٤) جاءت وجهة النظر هذه في دستور الجمهورية الإسلامية الايرانية، خصوصاً في مقدمته، وكذا في المادة المتعلقة بالقيادة ومسؤولياتها.
(٦٥) الكلمات القصار ص ١١٩.
(٦٦) الكلمات القصار ص ١١٩.
(٦٧) الكلمات القصار ص ٢٢٧.
(٦٨) الكلمات القصار ص ٢٢٧.
(٦٩) الكلمات القصار ص ١٣٠.
(٧٠) الكلمات القصار ص ١٣٩.
(٧١) الكلمات القصار ص ١٢١.
(٧٢) الكلمات القصار ص ١٢١.
(٧٣) الكلمات القصار ص ١٢٧.
(٧٤) الكلمات القصار ص ١٢٧.
(٧٥) الكلمات القصار ص ١٥١.
(٧٦) الكلمات القصار ص ١٥٣.
(٧٧) الكلمات القصار ص ١٥٦.
(٧٨) الكلمات القصار ص ١٥٤.
(٧٩) الكلمات القصار ص ١٤٨.
(٨٠) الكلمات القصار ص ١٤٨.
(٨١) الكلمات القصار ص ١٥٩.
(٨٢) الكلمات القصار ص ١٥٨.
(٨٣) الكلمات القصار ص ١٥٨.
(٨٤) الكلمات القصار ص ١٧٦.
(٨٥) الكلمات القصار ص ١٧٦.
(٨٦) الكلمات القصار ص ١٧٥.
(٨٧) الكلمات القصار ص ١٧٤.
(٨٨) الكلمات القصار ص ١٧٤.
(٨٩) الكلمات القصار ص ١٨٠.
(٩٠) الكلمات القصار ص ١٨١.
(٩١) «منزل الايام» محمد رضا الحكيمي
(٩٢) الكلمات القصار ص ٢١٢.
(٩٣) الكلمات القصار ص ٢١٢.

(٩٤) الكلمات القصار ص ١٨٥.
(٩٥) الكلمات القصار ص ٢٠٤.
(٩٦) الكلمات القصار ص ٢٠٤.
(٩٧) الكلمات القصار ص ١٧٣.
(٩٨) الكلمات القصار ص ١٨٤.
(٩٩) الكلمات القصار ص ١٨٧.
(١٠٠) الكلمات القصار ص ٢١٠.
(١٠١) الكلمات القصار ص ٢١٠.
(١٠٢) الكلمات القصار ص ٢١١.
(١٠٣) الكلمات القصار ص ٢١١.
(١٠٤) الكلمات القصار ص ٢١٠.
(١٠٥) الكلمات القصار ص ١١٢.
(١٠٦) عُرضت اراء ونظريات الامام الخميني الاقتصادية الى البحث والتحليل والشرح من قبل الاساتذة والمحققين والمتخصصين الاقتصاديين في مؤتمر اقيم تحت هذا العنوان في جامعة طهران عام ١٩٩٢م وقد قامت مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني(س) بجمع خلاصة البحوث والمقالات المقدمة في المؤتمر ونشرها.
(١٠٧) الكلمات القصار ص ٢٢٢.
(١٠٨) الكلمات القصار ص ٢٢٢.
(١٠٩) الكلمات القصار ص ٢٢١.
(١١٠) ن. ك «مقاطع مختارة من حياة الامام الخميني (٦ مجلدات) برواية جمع من الفضلاء، جمع وترتيب مصطفى وجداني/ «في ظلال الشمس» بقلم محمد حسن الرحيميان/«خطوة بخطوة مع الشمس ما ذكر وما لم يذكر عن حياة الامام الخميني» (٤ مجلدات) جمع وتدوين أمير رضا ستودة وترتيب افسانه شعبان نجاد «مذكراتي عن الامام الخميني» علي الدواني/ وكذلك كتاب «دراسة وتحليل لنهضة الامام الخميني» (٣ مجلدات) للسيد حميد الروحاني.
(١١١) ن. ك: الصحف الرسمية للبلاد والصادرة بتاريخ ١٧ حزيران ١٩٨٩م.
(١١٢) ن. ك: الصحف الرسمية المحلية الصادرة بتاريخ ١٩٨٩/٧/٢م.
(١١٣) في ٢١/ ٤/ ١٩٨٩م ارسل الامام حكماً لامام جمعة مدينة خمين وكّله فيه عنه في توزيع الارض التي ورثها الامام عن والده على الفقراء في المدينة، وتم العمل طبقاً لذلك. راجع صحيفة النور ج ١٩ ص ١٤٨.
(١١٤) تحتفظ مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س) بأكثر من ميلون رسالة مرسلة الى الإمام الخميني، وقد اقدمت المؤسسة في عام١٩٩٣ على نشر جانب من هذه المخاطبات في كتاب تحت عنوان «تجليات الكلام» ومن ضمن تلك الرسائل، عرض الكتاب رسائل البعض ممن بعثوا بتفاصيل عن فصائل دمهم

ودم ابنائهم للتبرع بقلوبهم للامام.

(١١٥) «محضر النور فهرست لقاءات الامام الخميني» (مجلدين) طبع ونشر مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س).

(١١٦) لسنوات طوال كانت الجماهير الايرانية المسلمة تدعو في اجتماعاتها الدينية وفي المظاهرات وبعد صلوات الجماعة بالدعاء التالي وبشكل جماعي «الهي. الهي حتى ظهور المهدي احفظ لنا الخميني، وخذ من اعمارنا وأطل عمر قائدنا».

(١١٧) قسم من الآية ٨ من سورة الصف.

(١١٨) قسم من الزيارة التي اعدت لزيارة الامام الخميني(س)

(١١٩) ورد هذا الشعر تحت عنوان «الانتظار» في ديوان الامام الخميني الشعري»، ص ١٥٢.

(١٢٠) الآيات ٢٧ و ٢٨ من سورة الفجر.

(١٢١) هذه الأفلام موجودة في ارشيف مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س) وقد تم تقديم العديد منها في عدة برامج تلفزيونية وعلى اشرطة الفيديو، والمؤسسة تقدمها للراغبين فيها. وتعتبر هذه الافلام من حيث نوعية التصوير لحالات خلوات الامام الخميني بربه وحالاته في تحياته الشخصية فريدة من نوعها، الا انها تعتبر من الناحية الفنية ليست على المستوى المطلوب، وذلك لأن الإمام لم يكن يجيز التضيحة بصفاء زهده واخلاصه ومعنوياته للأهداف الاعلامية.

(١٢٢) تم لاعداد هذا الفهرست عن آثار الامام الخميني الاستفادة من مقالة لآية الله رضا الاستادي (نشرت في مجلة حضور عام ١٩٩١ العدد الاول) وكذلك على مقالة اخرى نشرت في مجلة حضور ايضاً عام ١٩٩٢م العدد الخامس والسادس، وعلى المعلومات المتوفرة في ارشيف مؤسسة تنظيم ونشر تراث الامام الخميني (س) وكذلك مجموعة من الكتب الرجالية مثل: نقباء البشر (اغابزرك الطهراني) الذريعة الى تصانيف الشيعة (آغا بزرك الطهراني) فهرست الكتب المطبوعة (للمرحوم خان بابابشير) فهرست الكتب العربية المطبوعة (للمرحوم خان بابابشير) آثار الحجة، آئينه دانشوران ١٩٧٤ بالاضافة الى كتاب دراسة وتحليل لنهضة الامام الخميني وكتاب «سير في مؤلفات الامام الخميني» وكتاب «عطر الورد» وغيرها.

الفهرست